حـــوار
الأديان والثقافات

إشراف وتقديم ومشاركة

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

بِسمِ اللهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ
عِندَ اللهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحُجُرَات: ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين، وعلى خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعـــــد :

ففي إطار اهتمامنا بالحوار وآدابه ؛ لما له من أهمية بالغة في التواصل الإنساني والتعارف الحضاري بين الأمم والشعوب ، وما يمثله من وسيلة للتعاون في ظل القواسم المشتركة التي تجمع ولا تفرق ؛ يسرني أن أقدم في هذا الكتاب نخبة مختارة من البحوث المقدمة للمؤتمر الدولي الحادي والثلاثين الذي عقده المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة يومي التاسع والعشرين من شهر رجب وغرة شهر شعبان لعام ١٤٤٢هـ الموافقين الثالث عشر والرابع عشر من شهر مارس ٢٠٢١م، تحت عنوان : "حوار الأديان والثقافات "، بحضور نحو مائة وزير ومُفْتٍ وعالم ومُفكِّر من مختلف دول العالم.

وأمهد لهذه البحوث بأمرين في غاية الأهمية:

الأول: وثيقة القاهرة للحوار التي صدرت بإجماع المشاركين في المؤتمر، ولقيت إشادة واسعة على المستويين الوطني والدولي.

الآخـر : ملخص لابـد منه لأبجديات الحوار ، التي لا يتم الحـوار إلا بها ، ولا يمكن أن ينجح بدونها.

آملًا أن يسهم هذا الكتاب في تعزيز قيم الحوار، والتسامح الديني، وإعلاء صوت الحكمة والعقل، وأن يقدم حلولًا منطقية وإسهامًا جادًّا في القضاء على كثير من الخلافات، ويعمل على تقريب المسافات والمساحات الإنسانية، بما يرسخ ويعزز أسس العيش الإنساني المشترك ، وإحلال السلام الإنساني بين بني البشر كافة دون تمييز على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو العرق ، حوار يحترم الآخر ولا ينال منه، ويراعي الخصوصيات الدينية والثقافية ولا يعتدى عليها.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

وثيقة القاهرة للحوار
الصادرة عن مؤتمر "حوار الأديان والثقافات"

١. الحوار البناء هو الذي يقوم على التفاهم والتلاقي على مساحات مشتركة وأهداف إنسانية عامة ، لا تمييز فيها على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو القبلية .

٢. إعلاء قيمة الحوار مطلبٌ أكدت عليه جميعُ الشرائع السماوية، وجميعُ الحضارات والثقافات الرشيدة باعتباره صمام أمان للجميع.

٣. ضرورة العمل على نشر لغة الحوار ومراعاة ضوابطه عبر وسائل الإعلام المختلفة .

٤. إحلال لغة الحوار محل لغة الصدام والاحتراب ، وترسيخُ مبدأ الرأي والرأي الآخر ، وعدمِ التعصب الأعمى والاستعلاء بالرأي على حساب الرأي الآخــر.

٥. ضرورة العمل على تعزيز الحوار الديني والثقافي والحضاري على جميع المستويات الوطنية والدولية .

٦. التأكيد على أن الحوار بين الأفراد، يعادله التفاهم بين المؤسسات ، والتفاوض بين الدول ، وتحقيق ذلك على أرض الواقع يدعم السلام المجتمعي والعالمي.

٧. التأكيد على أن وحي السماء ما نزل إلا ليرسم للإنسان طريق السعادة في الدنيا

والآخرة ، ويعلمه قيم الرحمة والحق والخير ، ويحفظ دمه وماله وعرضه ، وأن من خرج عن ذلك فقد خرج عن فهم صحيح الدين .

٨. التأكيد على أن أوطاننا أمانة في أعناقنا يجب أن نحافظ عليها – أفرادًا ومؤسسات وشعوبًا وحكومات – وبكل ما أوتينا من قوة وأدوات وفكر.

٩. التأكيد على أهمية دور الإعلام في دعم قيم التسامح ونبذ العنف وأهمية التغطية الإعلامية المهنية للأحداث ، وضرورة وضع ميثاق شرف إعلامي دولي يوفق بين ضرورات حرية التعبير والرأي وبين مقتضيات احترام الثقافات والأديان .

١٠. التأكيد على الرفض المطلق للتطرف والإرهاب وللكراهية والتعصب ورفض التوظيف السياسي لأي من ذلك كأداة لتفتيت الدول وهدمها أو لحصد الأصوات وكسب الانتخابات ، والتأكيد على رفض ربط التطرف والإرهاب بأي دين ، ورفض الزج بالأديان والمقدسات في ساحات الصراعات الانتخابية والسياسية والتحذير من أن مخاطر الإساءة للمقدسات والرموز الدينية هي تهديد للأمن والسلم الدولي، ولا ينجم عنها سوى المزيد من العنف والتطرف وتأجيج المشاعر وخلق العداوات.

١١. التأكيد على أن الهدف من الحوار بين الثقافات ليس محاولة تغيير ثقافة أو هيمنة ثقافة على باقي الثقافات ، ولكن أن نصبح أكثر فهمًا ومعرفة واحترامًا لثقافاتنا المتنوعة .

١٢. التأكيد على أن لغة الحوار البناء تقوم على انتقاء الألفاظ والأسلوب الراقي الذي يجمع ولا يفرق ويحتوي ولا ينفر.

١٣. الحوار البناء هو الذي ينأى بالمتحاورين عن كل أشكال الجمود والاستعلاء، ويحمل كلا منهما على احترام رأي الآخر وتقديره والتسامح تجاهه.

١٤. التأكيد على مراعاة البعد الإنساني للحوار، بحيث يُبنى على الموضوعية دون المساس بالأشخاص أو التشهير بهم أو السخرية منهم.

١٥. التأكيد على أهمية دور المرأة في ترسيخ ثقافة الحوار، والاستفادة من جهودها الدعوية والثقافية في هذا المجال، مع تثمين اهتمام وزارة الأوقاف المصرية بالمرأة وحسن إعدادها وتأهيلها واعظة وقيادية.

١٦. إن احترام المقدسات والرموز الدينية يسهم بقوة في صنع السلام العالمي ويدعم حوار الأديان والحضارات والثقافات، أما النيل من مقدسات الآخرين ورموزهم الدينية فلا يُذكي إلا مشاعر الكراهية والعنف، والتطرف والإرهاب.

١٧. تأصيل قيم الحوار والتسامح انطلاقًا من المشتركات الإنسانية والدينية، مع احترام الخصوصية الثقافية والدينية للآخرين، وكذلك احترام عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم المستقرة.

١٨. إدانة التوظيف السياسي للأديان، والضرب بيد من حديد على أيدي النفعيين والمتاجرين بالقيم والمبادئ الدينية والإنسانية.

١٩. قيام المؤسسات التشريعية بإصدار قانون لتجريم ازدراء الأديان والإساءة للمقدسات الدينية ورموزها، وإدراج ذلك في الدساتير الوطنية والمواثيق الدولية.

٢٠. التأكيد على أهمية دور البرلمانيين كممثلين للشعوب في تعزيز الحوار بين الثقافات، وفي إصدار تشريعات تجرم التحريض على التطرف والإرهاب والتحريض على الكراهية والتعصب، وإصدار قوانين تجرم الإساءة للأديان والرموز والمقدسات الدينية كجريمة تدخل في خانة التمييز العنصري والديني، والمحظورة بموجب المادة (٢٠) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية والتي تنص على: "تُحْظَرُ بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضًا على التمييز أو العداوة أو العنف".

٢١. التأكيد على دور البرلمانات التشريعي والرقابي في ترسيخ دولة المواطنة التي لا تميز بين المواطنين على أساس الدين أو العرق أو اللون، وتؤمن بالتنوع وتحترم التعددية وتعدها ثراءً للمجتمع.

٢٢. ضرورة التعاون المشترك بين المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية لتعزيز قيم الحوار وآدابه وضوابطه ، وتفنيد ضلالات الجماعات المتطرفة تجاهه وفق استراتيجية تشاركية دقيقة ومحددة على المستويات الوطنية والدولية .

٢٣. تعزيز دور التبادل الثقافي بين الدول ، لدعم لغة الحوار وتعزيز أسس العيش المشترك والسلام العالمي .

٢٤. العمل على تدعيم مناهج التعليم في مراحله المختلفة بما يعزز أسس ومفاهيم الحوار وضوابطه، وغرسها في نفوس الدارسين منذ الصغر.

٢٥. إنشاء مراكز بحثية متخصصة في مختلف دول العالم تهتم بقضية الحوار، والتصدي للأفكار التي تعمل على هدم أسسه .

٢٦. تكثيف جهود العلماء والمفكرين والمثقفين في مواجهة ظواهر الكراهية والتمييز العنصري لبناء حضارة إنسانية آمنة ، والوصول بعملية الحوار إلى هدفها المنشود .

٢٧. الإفادة من وسائل الاتصال الحديثة وتوظيفها التوظيف الأمثل في إرساء ركائز مشتركة للحوار بين الثقافات المختلفة .

٢٨. ضرورة التحول بنشر ثقافة الحوار وترسيخ قيم التسامح واحترام الآخر والخروج بالحوار بين الثقافات من ثقافة النخبة إلى ثقافة عامة في جميع المجتمعات ، مع تعزيز أنماط التعليم التي لا ترسخ لأحادية الرأي أو ترفض الحوار مع الآخـر .

٢٩. العمل على إصدار ميثاق دولي يجرم الإساءة للمقدسات والرموز الدينية ويتصدى لخطاب الكراهية والعنصرية باعتبارهما جرائم تهدد السلم والأمن الدوليين.

٣٠. الإشادة بإنشاء المركز الدولي لحوار الأديان والثقافات بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة والتأكيد على دعمه ودعم هذه الوثيقة على المستوى الدولي.

والله الموفق

*　　*　　*

أبجديات الحوار(*)

الحوار على زنة فِعال ، والمحاورة على زنة مُفاعلة ، يقتضيان المشاركة، ولا يقعان من طرف واحد ، يقال: تحاور محمد وعلي ، أو توافقا، أو تشاركا، أو تطاوعا، أي حاور، أو وافق ، أو شارك ، أو طاوع كل منهما صاحبه ، ولا يُتصوَّر أن يحاور الإنسان نفسه.

وعليه فالحوار يقتضي أن تُعامل الآخر بما تحب أن يُعاملك به ، وأن تنصت إليه قدر ما تحب أن ينصت إليك، وأن تأخذ إليه الخطوات التي تنتظر منه أن يخطوها نحوك ، وإلا فحاور نفسك ، واسمع صوت نفسك ، ولا تنتظر أن يسمع الآخرون صوتك.

الحوار الناجح هو القائم على الحق، المبني على الصدق، لا على الكذب، ولا التزييف، ولا السفسطة، ولا المغالطة، ولا مجرد المغالبة لذات المغالبة.

فالحوار لا يعني الشقاق، ولا يمت للعصبية العمياء بصلة، ولا يجعل من المتغيرات ثوابت، ولا يقدس غير المقدس، ولا يرمي الناس بالإفك والبهتان، ولا يخرج عن الموضوعية إلى غيرها قصد إحراج المحاوَر، أو إسكات صوته بالباطل، كأن يحاور شخص شخصًا آخر في قضية فكرية فإذا هو يتحول إلى هجوم شخصي عليه، أو على أسرته، أو قبيلته، أو حزبه ، أو دولته، عجزًا منه عن

(*) أ.د/ محمد مختار جمعة ، وزير الأوقاف .

مقارعة الحجة بالحجة، وهروبًا من الموضوعية التي لا قبل له بها إلى السباب والفحش الذي قد لا يجيد غيرهما.

كل ذلك شيء والحوار شيء آخر، ألم يقل الحق سبحانه وتعالى لسيدنا موسى وهارون (عليهما السلام): ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣-٤٤)، فأمرهما الحق سبحانه وتعالى أن يقابلا طغيان فرعون بالحكمة والموعظة الحسنة، والقول اللين الحسن، وألا يقابلا طغيان جبروته بمثل فعله أو لغته.

وانظر إلى أدب أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في محاورته لوالده، حيث يقول والده: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٦)، فيجيبه سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في غاية البر والأدب: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٧)، وفي الحوار الذي دار بينه وبين نمرود بن كنعان كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، وهنا لم يرد عليه سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بالنفي المباشر، إنما انتقل إلى أمر آخر قائلًا: ﴿ فَإِنَّ الله يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾ (البقرة: ٢٥٨) ، وكأنه يقول له إن كنت تحيي وتميت حقًّا كما تقول فأت بالشمس من المغرب بدل المشرق، فبهت الذي كفر.

ومن أبجديات الحوار حسن الاستماع للآخر، وعدم مقاطعته، أو إبداء عدم الرغبة في سماعه، أو التأفف من كلامه، أو الإشاحة في وجهه، وإظهار التبرم منه غمزًا، أو لمزًا، أو سخرية، أو تهكمًا إشاريًّا، أو حتى تبسمًا ساخرًا ينم عن عدم تقدير المحاور، أو إظهار عدم الاقتناع بما يقول تهوينًا لشأنه، ناهيك عن ارتفاع الصوت واشتداد الصخب والجلبة، فضلًا عن سوء الأدب في الحوار.

الحوار الهادف ينأى بصاحبه عن كل أشكال الجمود والاستعلاء، ويحمله على احترام الرأي الآخر وتقديره، على حد قول الإمام الشافعي (رحمه الله) رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

بل إننا لنذهب أبعد من ذلك فنرى أن كلا الرأيين قد يكونان على صواب، غير أن أحدهما راجح والآخر مرجوح، فالأقوال الراجحة ليست معصومة، كما أن الأقوال المرجوحة ليست مهدومة، طالما أن لصاحبها حظًّا من النظر والحجة والدليل المعتبر.

وإن أخطر ما يعوِّق الحوار أمران هما: الأدلجة والنفعية ؛ فأما الأدلجة فإن العالم أو الكاتب أو المحاور المؤدلج تحمله عصبيته العمياء للجماعة التي ينتمي إليها إما على عدم رؤية الحق ، وإما على التعامي عنه، إذ يمكن لأحدهم أن يحاورك أو يجادلك أو يقبل نقاشك في مفهوم آية من كتاب الله (عز وجل) أو حديث صحيح من سنة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه

وسلم)، ولا يقبل منك أن تحاوره أو تناقشه أو تراجعه في كلام مرشده المقدس لديه.

وأما النفعيون والمتاجرون بالأديان والقيم والمبادئ فلا يدافعون أبدًا عن الحق، ولا ينتظر منهم ذلك ، إنما يدافعون عن مصالحهم ومنافعهم فحسب ولا شيء آخر.

*   *   *

مفهوم الحوار وغاياته(*)

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد:

فمن أجلّ النعم التي أنعم الله جل وعلا بها على الإنسان نعمة البيان والإفصاح عما في النفس من معانٍ وخواطر، وأنواع البيان المعبّرة عما يجيش في صدر الإنسان كثيرة جدًّا، ومن أهمها وأرقاها – على الإطلاق – الحوار؛ فهو وسيلة من وسائل التواصل مع الآخرين، والتعرف على رؤاهم واتجاهاتهم ومناحي تفكيرهم، كما أنه طريقة من طرائق الإصلاح الناجعة إذا ما التُزِم فيه بآدابه وضوابطه وشروطه ، من اختيار للألفاظ، والتزام بالهدوء في طرح الرؤى والأفكار، بعيدًا عن التعصب والانتصار للهوى أو للذات.

ونظرًا لما للحوار من قيمة عالية وأهمية بالغة في الوصول إلى غاية نبيلة وهدف سامٍ مرجوّ لا نكاد نجد صفحةً من صفحات المصحف الشريف خاليةً من حوارٍ ، إذ هو وسيلةٌ من وسائل الوصول بالإنسان إلى الحقيقة مشفوعةً بأدلتها الواضحة ، وبراهينها الساطعة على صدق الرسل الكرام جميعًا وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ فيما بلغوا عن الله (جل وعلا).

(*) أ.د/ عـوض إسمـاعيل عبد الله ، أستاذ اللغويات وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

وقد ترسَّم سيدنا محمد ﷺ طريق القرآن في الاعتماد على هذا الأسلوب الحكيم البليغ في تبليغ دعوته بالحوار مع الناس جميعًا مسلمين وغيرهم، حتى وصل إلى قلوب الناس وعقولهم بالحجة والإقناع .

مفهوم الحوار:

وردت مادة (ح و ر) في اللسان العربي في استعمالات متعددة منها: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، والمرادّة في الكلام، ومنه التحاور، قال تعالى: ﴿وَالله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة : ١)، وكلمته فما رجع إليّ حِوَارًا وحَوارًا، وحَوِيرًا، ومَحُورة، أي: جوابًا " [١].

وقد وردت المادة بهذا المعنى في القرآن الكريم في آية سورة المجادلة المذكورة آنفًا، وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ (الكهف:٣٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾ (الكهف:٣٧)، حيث كانت المراجعة والمرادة في الكلام من طرفين ، أي: يراجعه في الكلام ويجاوبه [٢]، وواضح من ذكر مادة (الحوار) في الآيات الثلاث أن الحوار: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين .

وانطلاقًا مما ذكر أستطيع القول بأن الحوار عبارة عن : كلام مباشر يدور بين طرفين (شخصين أو مجموعتين أو ما في معنى ذلك) يمثل كل طرف منهما اتجاهًا

---

(١) المفردات في غريب القرآن ١/ ١٦٢، وينظر: الصحاح ٢/ ٦٤٠، ومقاييس اللغة ٢/ ١١٧، ولسان العرب ٤/ ٢١٧-٢١٩ مادة (حـ و ر).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٠٢.

خاصًّا، أو فكرة معينة في نفسه، ويقوم بعـرض ذلـك بأسـلوب متسـم بالهـدوء، ويختار ألفاظُه بدقة لتدل دلالة مباشرة على ما يريد بعيدًا عن التعصب والهجوم.

ولكن من الناس من يخلط بين معنى الحوار والجدل وبينـه وبـين المنـاظرة، وكذلك بينه وبين المراء، مع أن بين هذه المصطلحات وبين بعضها فروقًـا دقيقـة، ودلالات معنوية لطيفة يمكنني ذكر بعضها:

الحوار: أسلوب فيه سهولة وليونة – هكذا ينبغـي أن يكـون – لأن كـلا الطرفين يريد إقناع الآخر بما عنده، والإقناع لا يتـأتّى إلا في هـذا الإطـار، إطـار الهدوء وعرض الفكرة بأدلتها المقنعة، ولعل الجذر اللغوي للمادة (الحاء، والواو، والراء) دال على هذا المعنى.

وأما الجدل، أو الجدال ، ففيه معنى المنازعة ، ومحاولة إقناع الآخر بأية حال، حتى وإن كان ذلك بطريق ملتوٍ وليّ أعناق الكلمات والأدلة .

فالجدال فيه معنى القوة والمغالبة ، ولعل اشتمال المادة على صوتين شديدين (الجيم والدال) موحٍ بذلك ، ولا يخلـو أسـلوب الجـدال مـن التمسـك بـالرأي والتعصب له بخلاف الحوار؛ فهو مجرد عرضٍ لرأي ومراجعة للكلام بين طرفين دون وجود خصومة، بل الغالب فيه الهدوء والبعد عن التعصب.

وأما المناظرة ، فالأسلوب فيها دالٌّ عـلى النظـر والتفكـر ، وبابهـا في الغالـب المسائل العلمية والقضايا الفكرية ؛ لأنها تحتاج إلى إعمال نظـر، أو لأنهـا تعتمـد عـلى

النظير. يقول الحافظ الذهبي:"إنما وضعت المناظرة لكشف الحقِّ، وإفادةِ العالِمِ الأذكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفل الأضعف"[1].

وأما المراء، فقد جاء في مفردات الراغب: (والمرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك)، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ (الحج:٥٥)، والامتراء و المماراة : المحاجّة فيما فيه مرية[2]، قال تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم:٣٤)، والمفهوم من معنى المراء في اللغة: أنه نوع من الجدال لكن صاحبه عازم على عدم الانتفاع بالوصول إلى نتيجة، فهو – فقط – يريد المجادلة، إما لأنه يهوى ذلك ويريد إظهار براعته في الحديث، أو للفت الانتباه إليه، أو لتضييع حق وإثبات باطل، و لذلك قال رسول الله ﷺ: "أنا زَعِيمٌ ببيَتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحًا ، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ " [3]، وربض الجنة: أدناها.

ومن خلال عرض المعاني لمصطلحات: الحوار، والجدال، والمناظرة، والمراء نخلص إلى ما يلي:

أن الحوار من أرقى وسائل الاتصال المباشر بين المتحاورين، إذ يعتمد على لغة راقية وألفاظ مختارة ومعبرة ، وحجج ساطعة ، وأفكار مرتبة تقوم على

---

(١) مفردات الراغب ١/ ٧٦٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٦٧.

(٣) الحديث رواه أبو داود برقم ٤٨٠٠ عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) .

المقدمات المحكمة التي توصل إلى نتائج مقنعة، بعيدًا عن الحدة في النقاش، ورفع الصوت في الحديث، والتعصب لرأي أو مذهب أو اتجاه شخصي لفرد أو لجماعة، ومن هنا كان الحوار صنعة أهل الحكمة والعقل، لا أهل الهوى والشهوة والحمق؛ ولذلك، اتخذه أنبياء الله جميعًا ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ وفي مقدمتهم سيدنا محمد ﷺ منهجًا في دعوتهم إلى الله جل وعلا، والأخذ بيد الناس إلى طريق الهدى والنور.

غايات الحوار:

ولأن حياة البشر عامة لا يمكن أن يُستغنى فيها عن الحوار في شتى مناحيها، معتقداتهم، واجتماعياتهم، وبيعهم، وشرائهم، وسياساتهم، وحكمهم، وثقافاتهم، وعلومهم ....إلخ، فقد كان لكل مجال حواره الخاص به، وألفاظه، وأدبياته ، وأدواته ، وكل متطلباته ، كما كان لكل حوار
– أيضًا – غاياته وأهدافه الخاصة .

إلا أن هناك غايات عامة تلتقي تحت مظلتها كل أنواع الحوارات نستطيع أن نجملها فيما يلي:

أولًا: غرس قيمة الحوار وأهميته، وإفساح المجال للطرف الآخر في عرض وجهة نظره في حدود أدب المحاورة والمراجعة، وإذا أردنا أن نذكر لذلك مثلًا ونموذجًا من القرآن الكريم -وما أكثرها- فلنذكر هذا الحوار الرائع بين المولى عزوجل والملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (البقرة: ٣٠)، فيتضح لنا من خلال هذا النموذج للحوار في كتاب الله عز وجل مدى أهمية الحوار على أنه عنصر أساسي من عناصر إيضاح وجهات النظر، وكشف ملابساتها، وفيه إفساح المجال للطرف الآخر المحاوَر أن يعرض وجهة نظره في حدود الأدب واللياقة المناسبة.

ثانيًا: الحرص على احتواء المخالف وتصحيح مسار فكره، ونموذج ذلك من السنة النبوية المطهرة ما ورد عن أبي أمامة – رضي الله عنه– أنه قال: إن فتى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال ﷺ: "ادنه"، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟"، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، قال: "أفتحبه لابنتك؟"، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم"، قال: "أفتحبه لأختك"، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم"، قال: "أفتحبه لعمتك؟"، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لعمّاتهم"، قال: "أفتحبه لخالتك"، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم"، قال: فوضع النبي ﷺ يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فَرْجَه"، فلم يكن بعد – ذلك الفتى – يلتفت إلى شيء"؛ رواه أحمد بإسناد صحيح.

والمتأمل في هذا الحوار الراقي بين رسول الله ﷺ والشاب يعجب لهذا الحوار أشد العجب في حكمته ﷺ وحواره الهادئ، حيث يصحح لهذا الشاب

مسار تفكيره ويخرج من عند النبي ﷺ وليس شيء على وجه الأرض أبغض إليه من الزنا.

واللافت أن النبي ﷺ لم ينظر إلى ذلك الشاب نظرة احتقار أو تعنيف على أنه فقد الحياء إلى هذا الحد والتجاوز في طلب الإذن بهذه الفاحشة، بل كان ﷺ متفهمًا ثورة الشهوة الغالبة، وتلمس جوانب الخير فيه، وحاوره بهذا المنطق العقلي الهادئ، مع الألفاظ الراقية المعبرة: ادن مني، فجلس أمام النبي ﷺ، ودعا له، زد على ذلك وضع يده عليه وهو يدعو له ، حتى أخذ بيده إلى العفة والطهارة.

ثالثًا: توضيح موقفٍ أُسِيء فيه الظن ، وهذه من الغايات والأهداف واسعة الانتشار فيما بين الناس ، ولا تكاد تجد جماعة بشرية تخلو محاوراتها من هذه الغاية.

ولعل من أبرز النماذج على هذا حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه– حيث قال: "لَمَّا أعْطى رسولُ الله ﷺ ما أعْطى من تلك العَطايا في قُرَيش وقَبائِلِ العَرَبِ، ولم يكُنْ في الأنْصارِ منها شَيءٌ، وَجِدَ (غضب) هذا الحَيُّ من الأنْصارِ في أنْفُسِهم؛ حتى كَثُرَت فيهم القالةُ؛ حتى قال قائِلُهم: لَقِيَ رسولُ الله ﷺ قَومَه، فدَخَلَ عليه سعدُ بنُ عُبادَةَ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ هذا الحَيَّ قد وَجِدوا عليكَ في أنْفُسِهم؛ لِمَا صَنَعتَ في هذا الفَيءِ الَّذي أَصَبتَ؛ قَسَمتَ في قَومِك، وأعْطَيتَ عَطايا عِظامًا في قَبائِلِ العَرَبِ، ولم يَكُ في هذا الحَيِّ من الأنْصارِ شَيءٌ، قال: فأين أنتَ من ذلك يا سَعدُ؟ قال: يا رسولَ الله، ما أنا إلَّا امرُؤٌ من قَومي، وما أنا؟ قال: فاجْمَعْ لي قَومَك في هذه الحَظيرةِ، قال: فخَرَجَ

سَعدٌ، فجَمَعَ الأَنْصارَ في تلك الحَظيرةِ، قال: فجاءَ رِجالٌ من المُهاجِرينَ، فتَرَكَهم فدَخَلوا، وجاءَ آخَرون، فرَدَّهم، فلمَّا اجتَمَعوا أتاهُ سَعدٌ، فقال: قد اجتَمَعَ لكَ هذا الحَيُّ من الأنْصارِ، قال: فأَتاهُم رسولُ الله ﷺ، فحَمِدَ اللهَ وأثْنى عليه بالَّذي هو له أهْلٌ، ثُمَّ قال: يا مَعشَرَ الأنْصارِ، ما قالَةٌ بَلَغَتْني عنكم، وجِدَةٌ وَجدتُموها في أنْفُسِكم؟! ألَمْ آتِكم ضُلَّالًا فهَداكمُ اللهُ؟ وعالةً فأغْناكمُ اللهُ؟ وأعداءً فألَّفَ اللهُ بيْنَ قُلوبِكم؟ قالوا: بَلِ اللهُ ورسولُه أمَنُّ وأفضَلُ ، قال: ألَا تُجيبونَني يا مَعشَرَ الأنْصارِ؟ قالوا: وبماذا نُجيبُكَ يا رسولَ اللهِ؟ وللهِ ولرسولِه المَنُّ والفَضْلُ، قال: أمَا واللهِ لو شِئتُم لَقُلتُم، فلَصَدَقتُم وصُدِّقتُم، أَتَيتَنا مُكذَّبًا فصَدَّقْناك، ومَخذولًا فنَصَرْناك، وطَريدًا فآوَيْناك، وعائِلًا فآسَيْناك، أوَجَدتُم في أنْفُسِكم يا مَعشَرَ الأنْصارِ، في لُعاعةٍ من الدُّنيا، تَأَلَّفتُ بها قَومًا لِيُسلِموا، ووَكَلتُكم إلى إسْلامِكم، أفَلا تَرضَوْنَ يا مَعشَرَ الأنْصارِ، أنْ يَذهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعيرِ، وتَرجِعون برسولِ اللهِ إلى رِحالِكم؟ فوالَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيَدِه، لولا الهِجْرةُ لَكُنتُ امرءًا من الأنْصارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وسَلَكَتِ الأنْصارُ شِعْبًا، لَسَلَكتُ شِعْبَ الأنْصارِ، اللهمَّ ارْحَمِ الأنْصارَ، وأبْناءَ الأنْصارِ، وأبْناءَ أبْناءِ الأنْصارِ! قال: فبَكى القَومُ، حتى أخْضَلوا لِحاهُم، وقالوا : رَضِينا برسولِ اللهِ قَسْمًا وحَظًّا ، ثُمَّ انصَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺ وتَفَرَّقوا (١).

وقد ورد هذا الحديث في سياق تقسيم الغنائم التي غنمها المسلمون في يوم حنين حيث تألف رسول الله ﷺ قلوب بعض الناس بالغنائم فأجزل لهم العطاء

(١) أخرجه أحمد (١١٧٣٠) واللفظ له ، وابن أبي شيبة (٣٣٠١٨)، وأبو يعلى (١٠٩٢).

لحداثة عهدهم بالإسلام، وكانوا زعماء من قريش وغطفان وتميم، وقد تأثر بعض الأنصار ووجدوا في أنفسهم بحكم طبيعتهم البشرية، وامتعض بعضهم لذلك، ووصل إلى النبي ﷺ هذا الشعور؟ فكان هذا الحوار الهادئ الرقيق، الذي أقيم بالحكمة والمنطق، ونضحت عباراته حبًّا وودًّا.

وكان الهدف واضحًا في الحوار، وهو إزالة هذا اللبس الذي وقع في أذهان بعض الأنصار، وسوء الفهم لصنيع الرسول ﷺ فهم الذين قاتلوا وتحملوا من العنت والمشقة ما تحملوا، ثم بعد ذلك يوزع ما غنموه، ولذلك ورد في رواية أخرى: (يعطي قريشًا ويدعنا وسيوفنا لا زالت تقطر من دمائهم!)، ولكن المصلحة التي يراها رسول الله ﷺ أوسع وأكبر من نظرتهم الضيقة المحصورة في مجرد زيادة هناك أو نقص هنا.

فكان هذا الحوار القائم على المقدمات بالاستفهامات التقريرية، وبالعبارات التي خاطب بها القلوب والعقول، فشرح لهم ﷺ ما خفي عليهم، وما غاب عن تفكيرهم فما كان منهم إلا أن عادوا راضين بما قسم به رسول الله ﷺ متأثرين بأسلوب الحوار الهادئ الذي أجرى دموعهم ، فهو واحد منهم، ولو أن الناس كلهم سلكوا شعبًا وسلك الأنصار شعبًا لاختار الرسول ﷺ شعبهم، ثم يدعو لهم، ولأبنائهم، وأبناء أبنائهم، ورأوا أن الغنيمة العظمى التي حصّلوها وفازوا بها، وتفردوا بها على سائر الناس أنهم رجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالهم وهذا يكفيهم.

رابعًا: إبراز قيمة الإنصات والاستماع للمخالف، وإعطاؤه الفرصة كاملة في عرض ما عنده، ومن أظهر النماذج التي يمكن الاستشهاد بها على هذه الغاية؛ ذلك الحوار الرائع بين رسول الله ﷺ وبين عتبة بن ربيعة عندما أرسله قومه إلى رسول الله ﷺ ليعرض عليه بعض المساومات لينصرف عن مهمة الرسالة وتبليغها.

فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال:" اجتَمَعَتْ قُرَيشٌ للنَّبيِّ ﷺ يومًا، فقالوا: انْظُروا أعلَمَكم بالسِّحرِ والكهانةِ والشِّعرِ، فلْيَأْتِ هذا الرَّجُلَ الذي قد فرَّق جماعتَنا، وشتَّت أمرَنا، وعابَ دينَنا، فلْيُكلِّمْه ولْينظُرْ ما يَرُدُّ عليه. قالوا: ما نعلَمُ أحدًا غيرَ عُتبةَ بنِ ربيعةَ، قالوا: أنتَ يا أبا الوليدِ، فأتاهُ عُتبةُ فقال: يا مُحمَّدُ، أنتَ خيرٌ أمْ عبدُ الله؟ فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: أنتَ خيرٌ أم عبدُ المطَّلِبِ؟ فسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، قال: فإنْ كُنتَ تزعُمُ أنَّ هؤلاء خيرٌ منكَ، فقد عَبَدوا الآلهةَ التي عِبتَ، وإنْ كُنتَ تزعُمُ أنَّك خيرٌ منهم، فتكلَّمْ حتى نسمَعَ قولَك، إنَّا والله ما رأيْنا سَخلَةً قطُّ أشْأَمَ على قومِكَ مِنكَ، فرَّقتَ جماعتَنا، وشتَّتَّ أمرَنا، وعِبتَ دينَنا، ففضحْتَنا في العربِ حتى لقد طارَ فيهم أنَّ في قُرَيشٍ ساحِرًا، وأنَّ في قُرَيشٍ كاهِنًا، والله ما ننتظِرُ إلَّا مثلَ صَيحةِ الحُبلى بأنْ يقومَ بعضُنا إلى بعضٍ بالسُّيوفِ حتى نتفانى، أيُّها الرَّجُلُ إنْ كان إنَّما بكَ الحاجةُ جَمَعْنا لك من أموالنا حتى تكونَ أغنى قُرَيشٍ رَجُلًا، وإنْ كان إنَّما بك الباءَةُ فاختَرْ أيَّ نِساءِ قُرَيشٍ شِئتَ، فنُزوِّجُك عَشرًا، فقال له رسولُ الله: أفَرَغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نَعَمْ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ : بسم الله الرحمنِ الرحيمِ ﴿ حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى بَلَغَ: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ

عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ (فصلت:١– ١٣)، فقال عُتبةُ: حسْبُكَ حسْبُكَ، ما عندَك غيرُ هذا؟ قال: لا، فرَجَعَ إلى قُرَيشٍ، فقالوا: ما وراءَك؟ قال: ما تَركتُ شيئًا أرى أنَّكم تُكلِّمونَه به إلَّا كَلَّمتُه، قالوا: هل أجابَك؟ قال: نَعَمْ، قالوا فما قال؟ قال: لا والذي نَصَبَها بَنِيَّةً ما فَهِمتُ شيئًا ممَّا قال غير أنَّه قال﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ، قالوا: ويْلَك! يُكلِّمُك رَجُلٌ بالعربيةِ لا تَدري ما قال؟ قال: لا، والله ما فَهِمتُ شيئًا مما قال غيرَ ذِكرِ الصاعقةِ(١).

فلعلنا نلحظ أن النبي ﷺ استمع بإنصات إلى عتبة على الرغم من أنه تجاوز الحد في البذاءة والإساءة ، وأعطاه الفرصة كاملة في عرض ما عنده، إلى أن قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ وفي رواية: أفرغت يا عم؟ والنبي ﷺ يضرب بذلك أروع الأمثلة في أدب التحاور مع الآخرين، ويؤصل لغاية مهمة من غايات الحوار هي الإقناع بالحجة والمنطق الحكيم.

خامسًا: تقريب وجهات النظر والوصول بالمخالف إلى طريق الصواب، ولعل من أبرز النماذج التي يمكن استقاء هذه الغاية منها موقف الرسول ﷺ مع زيد بن سعنة: وكان حبرًا من أحبار اليهود بالمدينة، حيث قال زيدُ بنُ سَعْنَةَ : "إنَّه لم يبقَ مِن علاماتِ النُّبوَّةِ شيءٌ إلَّا وقد عرَفْتُها في وجهِ محمَّدٍ ﷺ حينَ نظَرْتُ إليه إلَّا اثنتين لم أخبُرْهما منه: يسبِقُ حِلْمُه جهلَه، ولا يزيدُه شدَّةُ الجهلِ عليه إلَّا حِلمًا، فكُنْتُ أتلطَّفُ له لِأنْ أُخالِطَه فأعرِفَ حِلْمَه وجهلَه، قال: فخرَج رسولُ الله ﷺ مِن الحُجُراتِ ومعه عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فأتاه رجلٌ على راحلتِه كالبدويِّ

(١) تفسير ابن كثير:١/ ١٠٣-١٠٤.

فقال: يا رسولَ الله، قريةُ بني فلانٍ قد أسلَموا ودخَلوا في الإسلامِ،كُنْت أخبرتهم أنّهم إنْ أسلَموا أتاهم الرِّزقُ رغدًا وقد أصابهم شـدَّةٌ وقحطٌ مِـن الغيـثِ، وأنـا أخشى يا رسولَ الله أنْ يخرُجوا مِن الإسلامِ طمَعًا كـما دخَلـوا فيـه طمَعًـا، فـإنْ رأَيْتَ أنْ تُرسِلَ إليهم مَن يُغيثُهم به فعَلْتَ، قال: فنظَر رسولُ الله ﷺ إلى رجلٍ إلى جانبِه أراه عمرَ فقال: ما بقي منه شيءٌ يا رسولَ الله، قال زيدُ بنُ سَـعْنَةَ: فـدنَوْتُ إليه فقُلْتُ له: يا محمَّدُ، هل لك أنْ تبيعَني تمرًا معلومًا مِـن حـائطِ بنـي فـلانٍ إلى أجلِ كذا وكذا ؟ فقال: "لا يا يهوديُّ ولكنْ أبيعُك تمـرًا معلومًـا إلى أجـلِ كـذا وكذا ولا أُسمِّي حائطَ بن فلانٍ" قُلْتُ: نَعم، فبايَعني، فأطلَقْتُ هِمياني (الوعـاء) فأعطَيْتُه ثمانينَ مثقالًا مِن ذهبٍ في تمرٍ معلومٍ إلى أجلِ كذا وكـذا، قـال: فأعطاهـا الرَّجلَ وقال: "اعجَلْ عليهم وأغِثْهم بها".

قال زيدُ بنُ سَعْنَةَ: فلمَّا كان قبْلَ محلِّ الأجلِ بيومينِ أو ثلاثةٍ خرَج رسولُ الله في جِنازةِ رجلٍ مِن الأنصارِ ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ ونفرٌ مِن أصحابِه، فلمَّا صلَّى على الجِنازةِ دنا مِن جدارٍ فجلَس إليه، فأخَذْتُ بمجامعِ قميصِه ونظَرْتُ إليه بوجهٍ غليظٍ ثمَّ قُلْتُ: ألا تقضيني يا محمَّدُ حقِّي؟ فوالله ما علِمْتُكم بني عبدِ المطَّلبِ إلا مُطلٍ، ولقد كان لي بمُخالَطتِكم عِلمٌ، قال: ونظَرْتُ إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ وعيناه تدورانِ في وجهِه كالفلَكِ المستديرِ، ثمَّ رماني ببصرِه وقال: أيْ عدوَّ الله أتقولُ لرسولِ الله ما أسمَعُ وتفعَلُ به ما أرى؟ فوالَّذي بعثَه بالحقِّ لولا ما أُحاذِرُ فَوْتَه لضـرَبْتُ بسيفي هذا عنقَك، ورسولُ الله ﷺ ينظُرُ إلى عمرَ في سكونٍ وتُؤَدةٍ ثمَّ قال: (إنَّا كنَّا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمرُ، أنْ تأمُرَني بحُسنِ الأداءِ وتأمُرَه بحُسنِ الطلب ، اذهَبْ به يا عمرُ

فاقضِه حقَّه وزِدْه عشرينَ صاعًا مكانَ ما رُعْتَه) قال زيدٌ: فذهَب بي عمرُ فقضاني حقِّي وزادني عشرينَ صاعًا مِن تمرٍ فقُلْتُ: ما هذه الزِّيادةُ؟ قال: أمَرني رسولِ الله أنْ أزيدَك مكانَ ما رُعْتُك، فقُلْتُ: أتعرِفُني يا عمرُ؟ قال: لا، فمَن أنتَ؟ قُلْتُ: أنا زيدُ بنُ سَعْنَةَ قال: الحبرُ؟ قُلْتُ: نَعم، الحبرُ، قال: فما دعاك أنْ تقولَ لرسولِ الله ﷺ ما قُلْتَ وتفعَلَ به ما فعَلْتَ، فقُلْتُ: يا عمرُ كلُّ علاماتِ النُّبوَّةِ قد عرَفْتُها في وجهِ رسولِ الله حينَ نظَرْتُ إليه إلَّا اثنتينِ لم أختبِرْهما منه: يسبِقُ حِلْمُه جهلَه ولا يزيدُه شدَّةُ الجهلِ عليه إلَّا حِلْمًا، فقد اختبَرْتُهما فأُشهِدُك يا عمرُ أنِّي قد رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا، وأُشهِدُك أنَّ شَطْرَ مالي - فإنِّي أكثرُها مالًا – صدقةٌ على أمَّةِ محمَّدٍ، فقال عمرُ: أو على بعضِهم فإنَّك لا تسَعُهم كلَّهم ، قُلْتُ : أو على بعضِهم، فرجَع عمرُ وزيدٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال زيدٌ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه"[1].

وهنا نتعلم كيف يأخذ الحوار الهادئ طريقه إلى القلوب، والأخذ بيد المخالف إلى طريق الحق ، كما رأينا في النموذج السابق غايات أخرى للحوار قد تحققت، فقد رأينا من خلاله نشر روح الألفة والمحبة فيما بين الناس، كما رأينا إزالة كل سبب يؤدي إلى التباغض أو التناحر فيما بينهم.

وختامًا.. فهذه مجموعة من الغايات العامة للحوار ، ولكن هناك من الغايات والأهداف الخاصة وراء كل حوار ينشأ بين فريقين أو شخصين حسب نوع الحوار الدائر بينهما، فقد يكون الحوار دينيًّا، أو فكريًّا، أو ثقافيًّا، أو سياسيًّا،

---

(١) رواه الحاكم برقم ٦٥٤٧، والبيهقي برقم ١١٠٦٦.

أو اقتصاديًّا، أو علميًّا، في أي منحى من مناحي الحياة الإنسانية، وتضيق دائرة الغايات من الحوار حتى تكون محصورة في موضوع بعينه في مجال من المجالات السابق ذكرها.

فالحوار باب واسع جدًّا من أبواب الدربة على اختيار الكلمات المناسبة عند الحديث، وترتيب الأفكار، والوصول إلى أفضل النتائج بطريق الإقناع المختصر، والأسلوب المناسب، ولين القول، واستعمال الحجج والبراهين والأدلة بوعي كامل، وفهم دقيق.

*　　*　　*

مفهوم الحوار وآدابه وغاياته (*)

منذ خلق الله سبحانه وتعالى البشر وَوُجد الإنسان كانت لغة التخاطب وتبادل الحديث والمشاورة والحوار هي تلك المقدمة الساحرة للتعامل مع الطبيعة، وبديل الحوار هو التصادم والخصام، ومن هنا تبرز أهمية الحوار للتفاهم وتوحيد المواقف.

وإذا كانت أمتنا الإسلامية تفخر بأنها تنتمي لخير مدرسة في الحوار، فإن عالمنا اليوم أحوج ما يكون لتعزيز الحوار بكل صوره وأنواعه ووسائله بيننا وبين الآخر وبيننا وبين أنفسنا، في إطار من الصراحة والشفافية، والبحث عن مصادر القوة ونبذ الخلاف.

اختلاف الناس وأسبابه:

إن الاختلاف بين البشر في شئون دينهم وفي شئون دنياهم أمر قديم، وسيبقى هذا الاختلاف سنة بينهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الحقيقة أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ﴾ (هود: الآيتان ١١٨، ١١٩).

(*) المستشار الدكتور/علي عمارة ، الرئيس بمحكمة الجنايات وأمن الدولة العليا بمحكمة استئناف القاهرة.

أي : ولو شاء ربك أيها الرسول الكريم، الحريص على إيمان قومه، أن يجعل الناس جميعًا أمةً واحدة مجتمعة على الدين الحق لخلقهم على ذلك، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ليتميز الخبيث من الطيب، ولا يزال الناس ما بقيت الدنيا مختلفين في أفكارهم واتجاهاتهم ومقاصدهم وآمالهم، إلا الذين أصابتهم رحمة ربك فاهتدوا إلى طريق الحق والخير، ومن ثم فإن ديننا الحنيف قائم على التنوع والاختلاف فهو آية من آيات الله وسننه الكونية.

وبالواقع المشاهد ندرك أن أكثر الأمم إيمانًا بالتنوع والاختلاف، وقبول الآخر، وترسيخ أسس التعايش السلمي هي أكثر الأمم أمنًا واستقرارًا وتقدمًا ورخاءً وازدهارًا، وأن الأمم التي وقعت في أتون الاقتتال الطائفي أو المذهبي، أو العرقي أو القبلي دخلت في دوائر فوضى ودمار عصف بكيانها وأصل وجودها.

والاختلاف بين الناس في القضايا الدينية أو الدنيوية له أسباب متعددة وبواعث متنوعة منها:

١- تقليد الآخرين دون دليل أو برهان:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ الله قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠)، أي أنه إذا قيل لأولئك الذين آثروا الضلالة على الهدى اتبعوا ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ أعرضوا عن سماع النصيحة، وقالوا بسفاهة وعناد: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا.

٢- عدم وضوح الرؤية للموضوع من كل جوانبه:

فهذا فهمه من زاوية معينة وآخر فهمه من زاوية أخرى، وقال الحكماء قديمًا: إن الحق لم يصبه الناس من كل وجوهه ولم يخطئوه من كل وجوهه، بل أصاب بعضهم جهة منه وأصاب آخرون جهة أخرى.

٣- التعصب للرأي والحسد للآخر على ما آتاه الله من فضله:

ولقد ذكر القرآن الكريم في كثير من آياته أن بعض الناس كانوا يعرفون أن الرسول ﷺ صادقٌ فيما يبلغه عن ربه، إلا أن العصبية والأحقاد والغرور والعناد كل ذلك حال بينهم وبين اتباعه، وحملهم على أن يخالفوه بغيًا وظلمًا، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ الله يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: إن بعض المشركين لم يكن خلافهم للرسول ﷺ سوء ظنهم به أو تكذيبهم له، وإنما كان خلافهم له الدافع إليه هو العصبية والأحقاد والعناد .

وعلى ذلك يمكن القول: بأن العلم كالمطر، لا تستفيد منه إلا الأرض الطيبة والقلوب الواعية والأفئدة المستقيمة.

التعريف بالحوار وآدابه:

يعرف الحوار بأنه كلام يجري بين طرفين يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به ويراجع الآخر في منطقه وفكره قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره.

وفي رأي البعض الآخر أن الحوار شكل من أشكال التفاعل بين القوى الاجتماعية ووسيلة للتواصل لتجنب الصراعات وتلطيف المجابهات.

- أهمية الحوار:

لا شك أن المتأمل في حياة البشر منذ سيدنا آدم – عليه السلام – وحتى الآن يدرك ما للحوار من أهمية عظيمة، حيث يسهم في التواصل الجيد بين الأفراد والمجتمعات، ونقل الخبرات، واقتراب وجهات النظر من نقطة الالتقاء بين المختلفين بل هو السبيل الأسمى لضبط الاختلاف، وتفعيل قيم التعاون والتآلف.

والحوار ضروري لاكتساب العلم وتلقي المعرفة، ويعمل على إبراز الجوامع المشتركة بين المتحاورين في العقيدة والأخلاق والثقافة وتعميق المصالح المشتركة بينهم.

- أسس وآداب الحوار في الإسلام:

إذا كان الاختلاف بين الناس في شئون دينهم ودنياهم أمرًا قديمًا وسيبقى قائمًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد ساقت شريعة الإسلام من المبادئ السامية والآداب العالية، والهدايات الرفيعة ما ينظم هذه الخلافات والمحاورات والمناظرات التي تحدث بين الناس ، وما يجعلها تدور في إطار من المنطق السليم والفكر القويم، والجدال بالتي هي أحسن مما يجعل هدفها الوصول إلى الحق والخير ومنفعة الناس في حدود ما أهله الله لهم.

ومن المبادئ والآداب التي جاءت بها شريعة الإسلام لضبط الحوار ما يلي:

١- التزام الصدق:

وذلك بأن يكون الحوار بين المتحاورين قائمًا على الصدق وتحري الحقيقة بعيدًا عن الكذب والسفسطة والأوهام، وقد ساق القرآن الكريم ألوانًا من المحاورات التي دارت بين الرسل وأقوالهم، وبين المصلحين والمفسدين، وعندما نتدبرها نرى الأخيار فيها لا ينطقون إلا بالصدق الذي يدفع الأكاذيب، وبالحق الذي يزهق الباطل.

ففي (سورة الشعراء: الآيات من ١٠ – ٤٨) نرى محاورة بين نبي الله موسى – عليه السلام– وبين فرعون بأسلوب فيه صدق موسى وشجاعته وفطنته.

وتبدأ المحاورة بأمر الله – تعالى– لموسى – عليه السلام– أن يذهب إلى فرعون ليأمره بإخلاص العبادة لله وحده، وبترك العصيان والظلم، ويبشر الله – تعالى – نبيه موسى– عليه السلام–، بأنه معه بعونه ورعايته فيقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ١٠-١٧).

ولبى موسى (عليه السلام) أمر ربه، وما أن وصل إلى فرعون حتى دارت بينهما المحاورة التي حكاها القرآن الكريم: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٨ – ١٩).

لكن موسى –عليه السلام – رد عليه ردًّا صادقًا حكيمًا كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ٢٠ – ٢٢).

أي أنني وبعد هذه الفعلة التي فعلتها وأنا لا اقصد من ورائها إلا دفع الظلم عن المظلوم توقعت منكم الشر ففرتُ من وجوهكم حين خشيت منكم على نفسي فكانت النتيجة أن وهبني ربي علمًا نافعًا وجعلني من الذين اختارهم – سبحانه – لحمل رسالته، ثم هل استعبادك لقومي، وقتلك لرجالهم واستبقاؤك لنسائهم تعده نعمة أنعمت بها عليَّ؟ لا، إن ما فعلته معي ومع قومي إنما هو نقمة وأنا واحد من قومي يؤلمني ظلمهم كما يؤلم كل عاقل رشيد.

بهذا الجواب أفحم موسى (عليه السلام) فرعون، وجعله يحول الحديث إلى الحديث عن شيء آخر حكاه القرآن فقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣)، أي قال فرعون لموسى(عليه السلام) بكل غرور وصلف: وما رب العالمين الذي جئت يا موسى لتطالبني بعبادته. فرد نبي الله موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢٤).

وهنا يلتفت فرعون إلى من حوله من حاشيته، ليشاركوه التعجب من قول موسى فيقول لهم: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء: ٢٥) أي ألا تستمعون إلى القول الغريب الذي يقوله موسى- عليه السلام- والذي لا عهد لنا به ولا قبول عندنا له.

ثم لم يملك فرعون إلا الرد الدال على إفلاسه وعجزه فقال: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء: ٢٧)، أي قال فرعون: على سبيل السخرية من موسى عليه السلام مخاطبًا كبراء قومه: إن موسى هذا الذي تكلم بالكلام الذي سمعتموه مجنون فاحذروا أن تصدقوه.

ولم يضطرب موسى- عليه السلام- من قول فرعون بل رد عليه بكل صدق وشجاعة: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٨). وهكذا انتقل بهم نبي الله موسى- عليه السلام- مستدلًا على وحدانية الله وقدرته بالأدلة العقلية؛ لكي لا يترك مجالًا في عقولهم للتردد في قبول دعوته.

ولما شعر فرعون بأن حجة موسى- عليه السلام- قد ألقمته حجرًا، انتقل من أسلوب المحاورة إلى التهديد والوعيد، فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩) فردَّ عليه موسى - عليه السلام- ردًّا حكيمًا فقال: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ٣٠)؛ ولذا لم يملك فرعون أمام موسى - عليه السلام- إلا أن يقول له: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ

ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (الشعراء: ٣١)، وهنا كشف موسى عما أيده الله به من معجزات حسية خارقة عبر عنها القرآن في قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ (الشعراء: ٣٢- ٣٣)، هنا أحس فرعون بالرعب يسري في أوصاله وبأن معجزة موسى- عليه السلام- توشك أن تجعل الناس يؤمنون به فأخذ يحرضهم على مقاومة موسى – عليه السلام- فقال للملإ من حوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء: ٣٤- ٣٥)، أي قال فرعون بعد أن زلزلته معجزة موسى – عليه السلام–لكبار المحيطين به: إن هذا الذي أمامكم لساحر بارع في السحر يريد أن يخرجكم من أرضكم التي نشأتم عليها فبأي شيء تشيرون عليَّ لكي نتغلب عليه؟

فأشاروا عليه أن يجمع مهرة السحرة، ووعدهم فرعون بأنه سيعطيهم العطايا الثمينة إن تغلبوا على موسى – عليه السلام –.

وجاء يوم المبارزة: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الشعراء: ٤٥). أي تبتلع بسرعة ما فعلوه من السحر، ولما رأى السحرة بأعينهم ومعهم الحشود وفرعون من خلفهم ما فعله موسى- عليه السلام-، أيقنوا أن هذا ليس سحرًا بل هو شيء فوق طاقة البشر، ففعلوا ما حكاه القرآن الكريم عنهم: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ (الشعراء: ٤٦ – ٤٨).

وهكذا انتهت المحاورة بين موسى وفرعون بانتصار الحق على الباطل والصدق على الكذب ، والخير على الشر والعدل على الظلم.

٢- التزام الموضوعية:

وهو ما يعني عدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل الحوار أو الخلاف بأن آفة كثير من الناس إذا ناقشوا غيرهم في موضوع معين تعمدوا أن يسلكوا ما يسمى في هذه الأيام بخلط الأوراق بحيث لا يدري العقلاء في أي شيء هم مختلفون مع غيرهم وتتوه الحقيقة في خضم هذه الفروع.

وكان جواب الرسل عليهم الصلاة والسلام على مخالفيهم منتزعًا من أقوال المخالفين دون خروج عن موضوع النزاع فيحكي القرآن الكريم مقالة قوم نوح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف: ٦٠)، فيرد عليهم نبي الله نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٦١- ٦٢).

وأعداء الحق جادلوا النبي ﷺ في كثير من القضايا وساق القرآن الكريم شبهاتهم بأمانة ثم علم النبي ﷺ الجواب الذي يقطع دابر هذه الشبهات فقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَالله أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ الله لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩-٢٨).

وليت الذين يختلفون مع غيرهم يسلكون طريق الالتزام بالموضوعية عند خلافهم مع غيرهم في مسألة من المسائل الدينية والدنيوية.

٣- إقامة الحجة بمنطق سليم:

وهو ما يعني إبراز الدليل الناصع والبرهان الساطع الذي يلقم المكابر أو المعاند حجرًا ويجعله لا يستطيع أن يمضي في جداله، ويحكي القرآن الكريم حوارًا يظهر فيه هذا المبدأ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَالله أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ الله لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

لقد قال إبراهيم - عليه السلام - لذلك المغرور الذي جادله في وحدانية الله وشمول قدرته: ربي وربك هو الله الذي ينشئ الحياة ويوجدها، وينهيها، ولا يوجد أحد سواه يستطيع أن يفعل ذلك. فما كان من ذلك الملك الجبار إلا أن قال لإبراهيم – عليه السلام– على سبيل الكبر والغرور، أنا أحيي وأميت، أي: قال له أنا أملك أن أعفو عمن يستحق القتل وأقتل من أشاء أن أقتله.

فقال له إبراهيم: ﴿ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَالله لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هذه الحجة الدامغة التي قذف بها إبراهيم في وجه هذا المغرور كانت نتيجتها كما حكى القرآن الكريم "فبهت الذي كفر".

٤ - أن يكون الهدف من الحوار الوصول إلى الحقيقة:

وهو ما يعني أن يقصد كل طرف من أطراف الحوار إظهار الحق والصواب في موضوع الاختلاف ، ولو كان على يد الطرف المخالف. يقول الإمام الغزالي: إنه يجب أن يكون المتحاوران في طلب الحق كناشد الضالة، لا يفـرق بين أن تظهـر الضالة على يده أو على يـد من يحـاوره ، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرفه خطأه وأظهر له الحق.

وهذا ما نراه واضحًا في اختلاف الصحابة وفي محاوراتهم في كثير من القضايا، ومن أمثلة ذلك المحاورة التي دارت بين أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما- في مسألة جمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي ﷺ حيث توقف أبو بكر في أول الأمر فلما أقنعه عمر - رضي الله عنه - برأيه فما كان من الصديق - رضي الله عنه- إلا الموافقة على رأي عمر- رضي الله عنه-.

كما تحاورا- رضي الله عنهما- في قتال المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، فلما اقتنع عمر - رضي الله عنه- برأي أبي بكر- رضي الله عنه - في وجوب قتالهم فما كان منه إلا أن رجع عن رأيه إلى رأي أبي بكر(رضي الله عنه).

٥- التواضع والتزام أدب الحديث:

ومن ذلك ما يظهر في قصة سيدنا سليمان– عليه السلام– الذي أعطاه الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، حيث يتفقد جنوده فلا يرى الهدهد من بينهم، فيتوعده، ويأتي الهدهد بعد ذلك؛ فيقول لسليمان – عليه السلام- بكل شجاعة: أحطت بما لم تحط به، ويقبل سليمان - عليه السلام- بكل تواضع حجة الهدهد، ويكلفه

بحمل رسالة إلى تلك الملكة التي أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، فيوصل الرسالة إليها، وتنتهي قصة هذه الملكة بأن تقول: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤).

وتأمل التوجيهات السديدة التي يعلمها القرآن الكريم للنبي ﷺ آمرًا إياه أن يقولها بكل تواضع وشجاعة وحكمة بقوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (سبأ: ٢٤- ٢٦)، ويقول (عز وجل):﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (الشورى: ١٥).

٦- إعطاء المعارض حقه في التعبير:

من التوجيهات الحكيمة التي قررتها شريعة الإسلام لتنظيم المناقشات التي تدور بين الناس؛ إفساح المجال أمام المنافس أو المعارض لكي يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله ، أو إساءة لشخصه. ومن أقوال الفقهاء الحكماء : "رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

ولقد ساق القرآن الكريم صورًا متعددة لمحاورات ومعارضات تجلى فيها إفساح المجال في هذا المقام حتى لمن جاهر بالمعصية لله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر: ٢٩).

ويحكي القرآن ما دار بين الخالق- عز وجل- وبين إبليس إذ يقـول تعـــالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ (الحجر:٣٢). أي قال الله تعالى لإبليس أي سبب حملك على مخالفة أمري، وجعلك تمتنع عن السجود لمن أمرتك بالسجود له؟ فكان رده أن قال: ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ﴾ (الحجر:٣٣). وفي آية أخرى " أنا خير منه " أي أنا خير من آدم: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢). وهنا أصدر الخالق عز وجل على إبليس أمره بالطرد واللعن: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (الحجر:٣٤- ٣٥) أي قال الله تعالى لإبليس بعد أن جاهر بالمعصية وبالإصرار عليها: اخرج منها فإنك مطرود، وإن عليك اللعنة والإبعاد من رحمتي إلى يوم الحساب والجزاء.

ولكن هل تقبّل إبليس هذا الحكم بالسكوت والرضا؟ وهل منعه الله – تعالى- من الكلام بعد أن أصدر- سبحانه- عقوبته العادلة عليه؟

إن المتدبر في القرآن الكريم في آيات متعددة يرى أن إبليس لم يسكت، وأن الله تعالى قد أفسح له المجال لكي يتكلم ، وفي ذلك إشارة إلى واسع حلمه تعالى وإلى أن واجب العقلاء وشأنهم أن يفسحوا صدورهم لخصومهم لإبداء وجهة نظرهم ، ثم بعد ذلك يكون الرد عليهم .

٧- تحديد مسألة الحوار:

كذلك من أدب الحـوار في الإســلام : عدم التعميم في الأحكام ، والاحتراس

في الأقوال وتحديد المسائل والقضايا تحديدًا دقيقًا، توضع فيه الألفاظ في موضعها السليم، وتقرر فيه الأمور تقريرًا لحمته وسداه : الصدق والعدل، وتوزن فيه الأفعال بالقسط، الذي لا يظلم أهل التقوى والعفاف والاستقامة، ولا يجامل الذين أطاعوا أهواءهم، وعموا وصموا عن الطريق القويم.

*   *   *

مفهوم الحوار وغاياته في واقعنا المعاصر(*)

تعد قضية الحوار الحضاري من القضايا المهمة والتي تشغل الإنسان المعاصر، وليس أدل على هذا من وجود العديد من الكتابات المتنوعة حول الحوار، وخاصة إثر كتابات صمويل هنتنجتون حول صدام الحضارات، وكتابات "فوكوياما" حول نهاية التاريخ، وكتابات "جون اسبوسيتو" عن الحوار الإيجابي البناء مع الحضارة العربية الإسلامية.

كل هذه الكتابات وغيرها قد أثر في شحذ العقل المعاصر نحو التفكير في إشكالية الحوار، وأهميته في التعاون البنَّاء بين البشرية جمعاء، إن كل هذه الثقافات والأديان مدعوة الآن أكثر من أي وقت مضى إلى ضرورة الحوار ووضع ضوابط وأسس وآليات لعلاج المشكلات التي تواجه العقل المعاصر، حتى يكون الحوار الحضاري حوارًا مثمرًا.

الحوار في المنظور الإسلامي:

جاء الإسلام بالدعوة العالمية ومع الحوار، ومع كل جنس أو لون أو عرق من منطلق قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ الله أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

(*) أ.د/ جمال رجب سيدبي، نائب رئيس جامعة السويس سابقًا.

والحوار قد يكون محمودًا وقد يكون مذمومًا، فأما الحوار المحمود أو المشروع فهو الجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

والجدال بالتي هي أحسن هو الجدال الموضوعي الذي ينشد الوئام والخُلق الرفيع، أما الحوار المذموم فهو الذي يكون بجهل وبغير علم، قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي الله بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ (الحج: ٨) دعوة الإسلام العظيمة إلى الحوار الراقي الموضوعي مع الناس جميعًا، ولا يتسع المقام لسرد تفصيلات أكثر، وتاريخ الحضارة الإسلامية مليء بنماذج وضيئة للغة وأسلوب الحوار الراقي والموضوعي.

حاجة الإنسانية إلى الحوار:

في ظل الثورة المعلوماتية والتدفق المعرفي والعولمة وما بعد الحداثة، وظهور الكثير من المشكلات التي باتت تؤرق الضمير البشري؛ أصبح من الأهمية بمكان المحافظة على القيم الإنسانية العليا لبني الإنسان في كل مكان، كما أن ملف حقوق الإنسان وما يترتب عليه من آثار، لَمِنَ الأهمية بمكان للحوار بين الثقافات والحضارات المختلفة، ولعل الميثاق العالمي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة جاء ليؤكد على هذه الحقيقة، كما أن ظهور مشكلات البيئة، والمخدرات، والهجرة غير الشرعية، وحقوق الأقليات – سواء في المجتمعات الغربية أو حتى الإسلامية–

وازدياد معدل الانتحار، وغياب المرجعية في مجتمع ما بعد الحداثة في الغرب، كل هذه القضايا والمشكلات في أمس الحاجة إلى الحوار الإيجابي البناء الذي ينشد المحافظة على إنسانية الإنسان، وخاصة أن النظرة المادية قد غلبت على ذهن وفكر ووجدان الإنسان الغربي، كما أن المحافظة على القيم السماوية التي نادت بها الأديان جميعًا، لَمِن أكثر الأمور أهمية من أي وقت مضى، وخاصة إثر ظهور ونمو التيار الإلحادي سواء في الغرب أو ما تطاير من شرره إلى الشرق، ومن هنا فإن أصحاب الديانات جميعًا مدعوّون إلى التعاون والحوار البناء لعلاج هذا المرض العضال.

أسس الحوار الحضاري:

١ - الحوار الحضاري لا يعني الذوبان في الآخر بقدر ما يعنى احترام ثقافته وخصوصيته: فالحوار الحضاري يعني في نظر الحضارة الإسلامية احترام ثقافة وخصوصية الآخر، وأن تعدد الحضارات يعتبر تعدد تنوع وتعاون لا تعدد صراع وتنابذ، ومن ثَمَّ فالحضارة الإسلامية عندما دان لها العالم، لم تسع إلى ابتلاع الآخر وفرض هيمنتها على الآخرين بل لو نظرنا إلى هذه الحضارة لوجدنا أن أهم سماتها هو التواصل والتفاعل مع الحضارات المجاورة، فلقد استفادت الحضارة الإسلامية من تراث الإغريق والرومان، فتمت ترجمة مؤلفات أرسطو وطب أبقراط وهندسية إقليدس، ثم أبدع العالِم المسلم من قريحته الفكرية وأضاف إلى هذه الأفكار أفكارًا أخرى، وظهر طب ابن سينا يتمثل ذلك في

كتابه "القانون في الطب"، ولم تسع الحضارة الإسلامية إلى أو الهيمنة على ثقافة الآخرين مثلما يعتقد فوكوياما، ودايفيد رونكويف، وغيرهما من الكُتَّاب والمفكرين الغربيين .

إن كل حضارة لها خصوصيتها الثقافية، فالحضارة الإسلامية نتاج عقيدة التوحيد، وما يترتب على هذه العقيدة من منظومة القيم الروحية المترتبة عليها، أقول: ليس معنى الحوار أن تطالبني بالتخلي عن ثوابتي العقدية وقيمي الأخلاقية التي هي أخص خصائص حضارتي، وحتى يكون الحوار حوارًا مثمرًا، فلابد أن نحترم ثوابت الآخر وثقافته التي يؤمن بها، ومن هنا تكون أرضية الحوار أرضية بناءة لمزيد من التلاقي والتلاقح الفكري بين الشعوب والحضارات.

٢- الاعتماد على القواسم المشتركة بيننا وبين الغرب لدعم الحوار الحضاري: يبدو لي أن القواسم المشتركة بيننا وبين الغرب كثيرة لتفعيل الحوار الحضاري، وأول هذه القواسم ترسيخ مبدأ التعايش في سلام، فالإسلام دين السلام بأوسع معانيه، لأن كلمة الإسلام تعني السلام، أو إسلام الوجه لله (عز وجل)، وتحية الإسلام هي السلام، والإسلام يدعو إلى السلام النفسي للفرد والمجتمع، ومن هنا فإن التأكيد على هذه الحقيقة كمبدأ أصيل، والذى دعا إليه الغرب في عصرنا الحديث، من خلال منظمة الأمم المتحدة كأحد مبادئها، أقول: إن البشرية الآن ترنو إلى تحقيق السلام الذي أصبح هدفًا بعيد المنال، وحتى لا يكون الكلام في حوار الحضارات مجرد أماني فلابد أن يكون المدخل الصحيح

للحوار أن ديننا يؤكد على حقيقة " السلام "، بمعناه الكامل، ولو نظرنا إلى تاريخ السيرة العطرة في دولة المدينة، وجدنا أن النبي ﷺ قد كتب ميثاق المدينة وهو عهد بين النبي ﷺ وبين المسلمين واليهود، فلقد حفظ النبي ﷺ لليهود حقوقهم كاملة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، فلم ينظر النبي ﷺ لهم على أنهم أقليات ليس لهم حقوق مكفولة، بل نظر إليهم على أنهم مواطنون من الدرجة الأولى بلغة الفكر السياسي المعاصر.

من القواسم المشتركة بيننا وبين الغرب أيضًا: التقارب بين الأمم والشعوب في شتى المجالات، اقتصادية، وسياسية، واجتماعية وغيرها، والدعوة إلى تعزيز العلاقات بين الأمم والشعوب يعزز الحوار الحضاري، ويزيل كابوس "الخوف من الآخر"، حيث ظهرت كتابات في الغرب تعزز مفهوم النظر إلى الإسلام كعدو، أو الخوف من ظهور الحضارة الإسلامية كبديل عن الحضارة الغربية، مثل كتابات نيكسون، "الفرصة السانحة"، والحق يقال: إن الإسلام الحضاري في صالح البشرية؛ لأنه لا يود أن يفرض نفسه بالقوة والهيمنة، بلغة موازين القوى المعاصرة، وإنما تنظر الحضارة الإسلامية إلى مصلحة البشرية جمعاء، وتحترم الإنسان وتقدره لكونه إنسانًا بصرف النظر عما يعتقد، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء: ٧٠).

٣- المسلمون والدور الحضاري لدعم الحوار: يجب توضيح صورة الإسلام بتوازنه بين مطالب البدن وعالم الروح، فنحن في أمس الحاجة لتوضيح

هذه الصورة للإنسان الغربي، فكما يقال:" الناس أعداء ما جهلوا"، ومن هنا فإن الصورة المزرية هي التي ما زالت تعشش في ذهن وذاكرة العديد من الغربيين، وتؤثر بشكل أو بآخر عليهم، وحتى يكون الحوار مثمرًا فلابد وأن نميط اللثام عن حقيقة الإسلام بمعناه الحضاري، الإسلام الفاعل في دنيا الناس حضارة وثقافة وعلمًا، وهذا الدور من أخطر الأدوار حتى نستطيع أن نقيم قاعدة ثابتة بيننا وبين الغرب.

٤- الموضوعية أساس الحوار: لابد أن تكون قيمة "الموضوعية" هي أساس كل حوار بيننا وبين الغرب، فليس من الإنصاف أن نتحاور مع غيرنا وتحكمنا أو تحكم غيرنا أفكار محددة، فإن النظرة الأحادية لَمِن أخطر الأمور في دنيا الحوار، وقد قال الإمام الشافعي قديمًا: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، إن هذه القاعدة المنهجية لَمِن أخطر الأمور في الحوار الحضاري، والغرب الآن في حاجة إلى تأسيس حوار بنَّاء، حوار يبني ولا يهدم، حوار يقيم مملكة العدل في الأرض و سعادة الإنسان، وفي هذا الصدد يقول الكندي أول فلاسفة العرب والإسلام: ينبغي ألا نستحي من الحق واقتناء الحق وإن أتي من الأجناس القاصية عنا، وهذا المبدأ يؤكد أن البحث عن الحقيقة لا يشترط جنسًا أو مكانًا، ولم يكن ابن رشد بمعزل عن هذه المبادئ العظيمة ، حيث يقول في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: يجب أن ننظر للأمم السابقة فيما قالوه وأثبتوه في كتبهم ، فما كان موافقا للحق قبلناه

وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم فيه[١] .

إن الحـوار والمجادلة بالحسنى منهج قرآني فريد، يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وتدل الآية على التعاون فيما اتفقنا عليه من الإيمان بالألوهية، وأن يعتمد المتحاور أحسن الأساليب في الدعوة والحوار، وأن يختار من بينها، فليست الآية مخيرة المحاور بين الحَسَن والقبيح، وإنما آمرة إياه أن يختار الأحسن بدلًا من الحسن، وهذا يدل على مدى احتفاء القرآن بمراعاة نفسية محاوره، وهناك آيات قرآنية كثيرة، ونكتفي بهذا النموذج[٢] .

حوار لا صراع: أطلق صمويل هنتنجتون مقولة صراع الحضارات، ولست أدري ما الذي أدى إلى هذا الصراع، فعندما كانت الحضارة الإسلامية في أوج مجدها بحثت عن التواصل مع الشعوب المجاورة، ومن يستنطق التاريخ يجد الكثير والكثير، فابن رشد الإسلامي أثر في المدرسة اللاتينية في فلسفة العصور الوسطى المسيحية واليهودية دون أن يكون هدف هذه الحضارات ابتلاع الآخر

---

(١) فصل المقال لابن رشد، ص ٢٨.

(٢) انظر: د/ رءوف عباس عوض، عرض لكتاب "جون أسبوسيتو"، عدد الهلال، فبراير ١٩٩٧م، ص ٧٢ وما بعدها.

تحت مسمى العولمة تارة والكوكبة تارة أخرى، وغيرهما من مسميات أخرى كثيرة، ونستطيع أن ننتهي إلى أن التدافع الحضاري هو البديل في نظر الإسلام عن الصراع[1]، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ الله ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ الله ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ (البقرة:٢٥١).

إن صمويل هنتنجتون يرى أن الصراع بين الغرب والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية، واعتبر أن الصراع القائم بين الغرب والإسلام هو النموذج الأمثل لصدام الحضارات ، ويبدو أن الأيديولوجيا التي كانت تحكم كتابه سياسية أكثر منها علمية، ومن ثم نعتقد أن كتاب (صدام الحضارات) لهنتنجتون قد قام على فروض وتخمينات لا ترقى إلى الحقيقة والموضوعية.

في المقابل نجد شخصية مرموقة في الغرب ألا وهو جون اسبوسيتو مدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي سعى من خلال دراساته العديدة إلى إبراء ساحة الإسلام من العدوانية، ووجَّه النشاط البحثي في هذا المركز لخدمة التقارب بين الإسلام والغرب، وقد نُشِر له العديد من الكتابات المنصفة عن الإسلام، مثل كتاب (الصراط المستقيم)، كما كتب كتابًا عن المرأة في الشريعة الإسلامية، ويعتبر كتابه "التهديد الإسلامي للغرب" من الكتب المهمة للدفاع عن الإسلام والحضارة الإسلامية.

وقد لاحظ اسبوسيتو أن العديد من الناس في دول الغرب لديهم مُسَلَّمة بدهية وهي: أن العرب ما هم إلا بدو أو شيوخ بترول يسكنون الصحراء، وأن

---

(١) انظر: دراستنا "منهج تجديد الخطاب الديني"، دار نيوبوك للطباعة والنشر، ص ٢٢١وما بعدها.

العربي انفعالي مقاتل ولا يُخْضِع تصرفاته للعقل، وغالبًا ما يتم مساواة الإسلام بالحرب المقدسة والكراهية والتعصب والعنف وعدم التسامح واضطهاد النساء؛ لهذا فهو ينتقد بشدة أساليب الإثارة التي اتبعتها الصحف الغربية في معالجتها لقضايا الإسلام والحضارة الإسلامية، كما سدد سهام نقده العنيف للدراسات الأكاديمية التي نهجت النهج نفسه ولجأت إلى معالجة الإسلام بصورة انتقائية.

وفى نفس الخط تقريبًا، كان خطاب الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني، ودعوته إلى النظر بإنصاف إلى حضارتنا العربية الإسلامية، وكما يقول السيد يسن: إن هناك خطأ شائعًا عن حوار الحضارات وكأننا نعيش في حضارات متعددة، مع أن الواقع يقول إننا نعيش في حضارة واحدة تقوم على أسس الثورة العلمية والتكنولوجية، وأضيفت إليها الثورة الاتصالية الكبرى، وذلك لا ينفي أننا نعيش في ظل ثقافات متعددة لكل منها رؤيتها المتميزة للعلم؛ ولذلك فمن الأفضل أن نتحدث عن حضارة واحدة وثقافات متعددة، وليس ثمة شك في أن كل ثقافة لها إستراتيجيتها في الفهم والتأويل والتعامل مع هذه الحضارة الواحدة، ومن هنا فلابد من ممارسة حوار الثقافات[١].

ولا شك أن الحضارة الغربية وإن بدت على قمة حضارات العصر فإنها ليست الحضارة الوحيدة في العالم، إذ إن هناك حضارات أخرى تتكامل وتتواصل معها، ولا أقول تتصارع معها، والحضارة الإسلامية بعمقها التاريخي

(١) د/ محمد عبد المنعم خفاجي، حوار الحضارات، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ١٩.

وفقهها بطبيعة الحياة وسنتها ومطالب وحاجات الإنسان لم تأفل ولم تذبل، بل هي حية وفاعلة لأنها حضارة متجددة لها عمقها التاريخي البعيد وامتدادها الروحي المديد، هذا إلى جانب شمولها وواقعيتها وصلاحيتها للتطبيق، والحضارة الإسلامية لا تعادي. أي عمل صالح يخدم البشرية ويهدي خطاها نحو التقدم المادي والروحي، وفي الوقت نفسه فإن لديها من عوامل المناعة والقوة ما يجعلها قادرة بحق على طرد الجراثيم والميكروبات الضارة عن نفسها[1].

بما يجعلنا نؤكد باطمئنان أن حضارتنا العربية الإسلامية هي حضارة حوار وتواصل، لا حضارة صراع وصدام كما يدعي الواهمون.

إن التوازن بين الحضارات سنة كونية من سنن الله (عز وجل) في خلقه، فكل شيء عنده بمقدار، وهذا القانون الإلهي كما يحكم الحياة، يحكم أيضًا – فيما نعتقد – سير الدول والشعوب والحضارات، ولو حادت عنه لبادت هذه الحضارات، كما حدث للحضارات السابقة، ومن هنا فإن التأكيد على المبادئ الأساسية التي تؤدي إلى التوازن بين الحضارات والشعوب لابد أن تكون سمة الحوار الحضاري، مثل مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، وحل النزاعات الدولية بالطرق السلمية، وعدم استخدام القوة لحل الصراع بين الأمم والشعوب، وهذه المبادئ التي دعت إليها عصبة الأمم في وقتنا الحديث هي

---

(١) د/ محمد محمد أبو ليلة، الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب، العدد ٦٩، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠١م، ص ١٢.

مبادئ إسلامية، كما أنها تحقق التوازن بين الشعوب والحضارات ، ولو حادت حضارة من الحضارات عن هذه المبادىء لتعرضت للأفول، والاحتضار.

وأرى أن هناك عدة وسائل تعين على التغلب على العقبات التي تواجه الحوار الحضاري، لعل من أهمها:

١ . ضرورة دراسة النفسية الغربية دراسة جديدة ومحاولة تصحيح المفاهيم المشَّوهة والمغلوطة فى الغرب عن العرب والمسلمين، حيث إن تراكمات العصور الغابرة وما أفرزته من مفاهيم مغلوطة تؤثر بشكل أو بآخر في نفسية الإنسان الغربي وتصوراته.

٢ . السعي الجاد نحو تصحيح المناهج الدراسية في الغرب وتصويبها بما يتفق مع المفاهيم الإسلامية الصحيحة عبر السفارات والقنوات الثقافية المختلفة.

٣. الاستفادة بالتقنية المعاصرة وخاصة الإنترنت في التعريف بالحضارة العربية والإسلامية، وبث المفاهيم الصحيحة عن العرب والمسلمين، وأعتقد أن هذا الأمر بمثابة فرض عين على الأمة العربية والإسلامية.

٤ . تشجيع إنشاء المراكز البحثية المتخصصة في عالمنا العربي التي تهتم بقضية الحوار، والاتصال بالمراكز المناظرة والمماثلة في العالم أجمع للاستفادة والإفادة.

٥. تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في بلاد الغرب؛ حيث إن دعم اللغة العربية للقاعدة الشعبية في الغرب مطلب ضروري لتفعيل الحوار.

٦. مراجعة أعمال الاستشراق، وإنشاء هيئة علمية لدراسة أعمال الاستشراق وتقييمها تقييمًا علميًّا والرد على الآراء والأفكار التي تصطدم مع صحيح التصور الإسلامي.

٧. دعم المراكز والأقسام المعنيَّة بدراسة اللغة العربية في الجامعات وتفعيلها، والتعاون معها ومع المراكز المناظرة في العالم العربي والإسلامي لإقامة مزيد من جسور التواصل بين الشرق والغرب.

*　　*　　*

ضوابط الحوار وغاياته(*)

خلق الله تعالى الناس مختلفين في الأجناس والألوان واللغات وغيرها لحكمة الهية فى تكوين الطبيعة البشرية ليقع التمايز ويتم التعارف حتى يُعمر الكون وتستمر الحياة، قال تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (الروم:٢٢).

وقد حفل البيان النبوي بالعديد من الحوارات والمواقف التي وجَّه الرسول (صلى الله عليه وسلم) أصحابه فيها للاحتكام إلى الكلمة الهادئة، والمعالجة السديدة والاتجاه الصائب قبل اتخاذ القرار، ومن ذلك ما كان منه عليه الصلاة والسلام قبل الخروج لملاقاة مشركي مكة في يوم بدر، فقد انعقد لذلك حوار استشاري كان الاحتكام والتصرف بنواتج ما كان فيه.

مفهوم الحوار:

تحاورا: تراجعا الكلام بينهما ، أي راجع كل مشارك في الحوار كلام الآخر في نفسه، وردّ عليه بما يعبر عن رأيه اتفاقًا أو اختلافًا.

متطلبات الحوار:

تتعدد متطلبات الحوار وبواعثه عند ذوي الخبرات والتجارب ، وأصحاب العقول والأفهام، المتحصنين بالعلوم والمعارف في الأديان وشتى والمعارف

(*) أ.د/ السيد محمد الديب، أستاذ الأدب والنقد المتفرغ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر – الزقازيق.

والثقافات، الذين يؤدون بها الواجب الإنساني الذي تتطلبه الحياة، وقد قال الحكيم العربي قديمًا: "من تعلم العلم لنفسه فقليله يكفي، ومن تعلم العلم للناس فحاجات الناس كثيرة"[1]، وتزداد أهمية الحوار بإدراك الواقع الذي يحياه العالم الإسلامي، ومعرفة مدى الحاجة إلى جمع الكلمة، وتسديد الفجوة، وإزالة الحواجز بين الفرقاء، لتحقيق الأمن الاجتماعي والتعايش السلمي.

ويتطلب الحوار التقريب بين وجهات النظر عند المتحاورين مع القبول لبعض التنازلات في سبيل التوافق، واقتلاع بذور الخلاف، وكشف الشبهات، والرد على الأباطيل، ومراعاة الأحوال عند دعوة المخالف وإرشاده إلى الصواب، والتعرف على كافة الأمور المتشابكة أو الملاصقة لأطراف القضايا المطروحة؛ لحضِّها على المشاركة والإسهام في الحلول بكافة الوسائل المتاحة.

ويعد الحوار من أنجح الوسائل لمواجهة المتشددين الذين لم يتطور تشددهم إلى عنف، ويكون ذلك عبر الكفاءات المتميزة بالمؤسسات الدينية، وكل التجمعات المدربة، والتي تجعل رسالتها تصحيح الفكر، وإزالة الغموض عن كثير من القضايا الدينية المختلف فيها؛ سعيًا نشر منهج الوسطية والاعتدال.

ضوابط الحوار:

تنوعت الكتابات عن ضوابط الحوار، وعما يقترب من هذا المصطلح في الدلالة والهدف ، ونذكر أهم الضوابط بشأن حوار الأديان والثقافات ، وما

---

(١) حوار لا مواجهة – دراسات حول الإسلام والعصر، د. أحمد كمال أبو المجد، ص٥، كتاب مجلة العربي العدد السابع، ١٥ إبريل ١٩٨٥م.

يقترب منها ويتداخل معها:

١- يجب أن يخضع الحوار لقواعد أو ضوابط يحتكم إليها المتحاورون، ويكونون على علم بها، مع حتمية الالتزام بها وعدم الخروج عنها، والتي تُعرف بميثاق العمل.

٢- الاتفاق على كل الموضوعات أو القضايا الكلية أو الجزئية المطروحة للنقاش، حتى يلتزم بها سائر المشاركين في الحوار، فلا يضاف إليها ولا ينقص منها، وذلك ما يعرف في بعض الأحوال بجدول الأعمال.

٣- الالتزام بآداب الحوار، وتقدير كل طرف للآخر، والبعد عن التعصب والغضب، والالتزام بالوقت المحدد للكلام، وحسن الاستماع، ومراعاة آداب الإنصات، والتواضع، وعدم السخرية بأية كيفية، وبحيث لا يستهدف إلغاء الآخر أو استبعاده، أو التقليل من شأنه، وقد حذر القرآن الكريم من النيل من الآخرين؛ لما في ذلك من تعميق للآثار الضارة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله فَيَسُبُّواْ الله عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام: ١٠٨).

٤- الالتزام بالصدق وتحري الحقيقة، والاعتماد على وسائل للاقناع من أدلة وبراهين صحيحة ومنطقية، حتى لا يكون الكلام فارغًا لا يقدم إضافة أو فائدة للموضوع.

٥- التزود بالمعارف والمعلومات وسائر الأدوات التي يمكن أن تسهم في التفهم للمكونات الثقافية والمعرفية لدى الطرف الآخر، والاحتياط لما قد يثيره من معوقات في سبيل الوصول إلى تحقيق الهدف من الحوار.

٦- التواضع وعدم التعالي، بقوة أو بقدرة كلامية ليست لدى الطرف الآخر.

٧- مراعاة الأحوال التي يجرى عنها الحوار، إذ إن طبيعة الموضوع تفرض بعض الاشتراطات، فما يكون في الحوار الديني غير الذي يكون في الحوار الاقتصادي والتاريخي أو غير ذلك.

٨- القبول والرضا بما تم التوصل إليه ما دام المتحاوران قد ارتضيا ما يتحاوران فيه، واحتكما إلى كل الاشتراطات والأدلة والبراهين، حتى لو لزم الأمر الاستكمال والتتميم في جلسة حوار إضافية؛ ليرضى طرفا الموضوع، واذكر في هذا الصدد قول بعض الفقهاء الحكماء: "رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ، ونتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه" (١).

من أهم النتائج:

١- لا حرج في الاختلاف الذي خلقه الله تعالى في الإنسان، والذي يتسع إلى المستويات الفكرية والدينية والثقافية، وغير ذلك مما يشمل سائر الطبائع والتوجهات.

---

(١) أدب الحوار في الإسلام ، د/ سيد طنطاوي ، ص٣١ ، طبع دار نهضة مصر عام ١٩٩٧م.

٢- حدّد العلماء بعض الأمور التي لا يجوز الخلاف فيها بين المسلمين.

٣- تعددت المواقف الحوارية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بما يكشف عن معالم المنهج الإسلامي في التعامل مع الآخر.

٤- إن الحوار هو المنهج الأمثل الذي يتم من خلاله إقناع المخالف بالأدلة والبراهين الصحيحة، وصولًا إلى الحق والصواب، كما أنه السبيل المختار لتجنب النزاعات وما يترتب عليها من أضرار وخسائر.

٥- إن الحديث عن القضايا الدينية المختلف فيها ينبغي أن يكون بالحوار البناء، الذي تُصان فيه الكرامة لكل ذي رأي سديد.

٦- تتعدد متطلبات الحوار وبواعثه؛ لإزالة الحواجز بين الفرقاء وتحقيق الأمن والسلام الاجتماعي والتعايش السلمي.

٧- إن أي حوار يستمد نجاحه من التمسك بالأسس والضوابط التي تجري وقائعه بمقتضاها، وتدور نقاشاته على أساسها، ويخضع بيان هذه الضوابط لطبيعة الحوار ومتطلباته.

٨- تتعدد غايات الحوار ونتائجه على مدى الالتزام بضوابطه، واحتياج كل طرف لحسم الأمور المختلف فيها أو المتنازع حولها.

٩- الحياة المعاصرة بما يموج فيها من تيارات متشددة، وصراعات عاصفة فى حاجة إلى التصدي لذلك من خلال الحوار باعتباره أساسًا ومنطلقًا لحياة مستقبلية هادئة وآمنة.

* * *

الحوار في الإسلام .. مفهومه وغاياته وآثاره(*)

إن الحوار من أسس المنهج الإسلامي، ومن معالم الشخصية الإسلامية ويرسم حركتها التفاعلية مع جميع الأمم.

والحوارُ والجدالُ بالتي هي أحسن يُثري الحياة الإنسانية، ويدفع الإنسان إلي اكتشاف إمكاناته وملكاته العقلية والروحية والابتكارية؛ لأن الحوار في جوهره هو عين البصيرة التي نرى بها كم هي واسعة وشاسعة ورائعة تلك الشراكة الحياتية بين الإنسان والإنسان، وفي المقابل فإن أخطر ما يهدد الإنسان أو الشعوب ويعزلها: هو الشعور بالاكتفاء الذاتي فكريًّا، وعدم الرغبة في قراءة الآخر والتعرف عليه (1).

وإن غياب الحوار والجدال بالتي هي أحسن في بعض المجتمعات المعاصرة أدى إلى انتشار ظاهرة التطرف، وطغيان التكفير والعنف، وإن هذا التطرف الفكري والعقدي مصدره الجهل، وضآلة التكوين الثقافي واللغوي والديني؛ وذلك الجهل بالأحكام الشرعية، ومقاصد الشريعة المعتدلة المتوازنة يدفع المتعصبين إلى الشطط والغلو، وإِصدار الفتاوى التكفيرية؛ لأنهم لم يدركوا الفرق الدلالي بين مصطلحي الاختلاف والمخالفة، فالاختلاف في دلالته اللغوية

(*) أ.د/ صابر عبد الدايم يونس، العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر- الزقازيق، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(1) انظر: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية من منظور تربوي، د/ آمال محمد عتيبة.

والعلمية يحمل معنى المنازعة والمشاقة ولكنه يؤدي إلى التنوع، وإلى تعدد الآراء وقبول الرأي الآخر، أما الخلاف فهو مقرون بالقطيعة والعصبية وعدم الوصول إلى كلمة سواء.

- حول مفهوم الحوار وآفاقه الدلالية:

تتعدد دلالات الحوار وتتشعب آفاقه، وكلها تصب في غاية واحدة وهي التآلف والتقارب بين البشر أجمعين؛ ومعجم لسان العرب لابن منظور يضيء بعض هذه الدلالات؛ ومنها: أن الحوار هو الرجوع عن الشيء و إلى الشيء يقولون: حار إلى الشيء وعنه أي رجع عنه وإليه ... وهذا المدلول اللغوي هو نفسه السمة المنهجية التي يتسم بها المحاور صاحب المنطق السليم والرؤية الصحيحة، فهو أيًّا كان تخصصه لا يتعصب لرأيه، ولا يغالي في مذهبه، ولا يناصب الآخر العداء؛ ومن دلالات التحاور: التجاوب: والمحاورة هي المجاوبة، ويقولون: استحاره أي استنطقه؛ ويدلل صاحب لسان العرب على هذه المعاني المشرقة بأسلوب الإمام علي – رضي الله عنه –، حيث يقول: يرجع إليكما ابناكما بحور ما بعثتما به، أي بجواب لك.

وفي ضوء هذه الدلالات نتأمل ما يشع به القرآن الكريم من إشارات تقودنا إلى تأكيد أهمية الحوار، وإلى المنهج القرآني نفسه في توجيه الأمة الإسلامية والبشرية كلها إلى أهمية الحوار في بناء الفكر وإلى استمرار النوع الإنساني.

فمادة القول وما اشتق منها مثل: قال، ويقول، وقل، وقالوا ويقولون، وقولوا، هذه المادة التي تدل على التحاور والجدال والمناقشة والمراجعة بين الناس،

قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وستمائة مرة، وفي دائرة الحقل الدلالي لمادة الحوار تدور عدة مصطلحات ومنها: المناظرة، والمجادلة، والمكايدة، والمحاجَّة، والمراء، فالمناظرة يقصد بها: الوصول إلى الحق والصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه، وأما المكايدة: فإنها تدل على مطلق اللجاجة أو الشهرة أو الانقياد للهوى، أو مجرد إثبات الوجود أو سوى ذلك من التصرفات التي لا تغني من الحق شيئًا[1]، وكذلك الجدل تدور دلالاته في سياق الذم في القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤). ولذلك يأمر الحق سبحانه وتعالى أن يكون الجدال بالتي هي أحسن في الدعوة إلى الله (عز وجل)، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقد وردت مادة الجدل في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعًا، والمادة اللغوية أصلها: الجدل: وهو يفيد استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة، ومراجعة الكلام، كما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

ومن دلالات الجدل اللغوية شدة الخصومة واللدد فيها مع القدرة عليها، والتعصب للرأي وإن كان باطلًا[2]، قال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (الكهف: ٥٦).

---

(١) انظر: أدب الحوار في الإسلام: د/ محمد سيد طنطاوي.

(٢) انظر: التعريفات: للجرجاني، ومقاييس اللغة، مادة (حور)، والحوار مع الآخر د/ آمال محمد عتيبة.

- من غايات الحوار:

تتعدد غايات الحوار وتتسع مراميه ومقاصده؛ لأنه سنة كونية نشأت منذ نشأة الخليقة، والقرآن الكريم في كثير من السور يعرض أمامنا مشاهد حوارية مقنعة بين الله (عز وجل) وبين مخلوقاته من الرسل الكرام، أو من الملائكة المقربين، أو الشيطان الرجيم، وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم؛ وسورة البقرة، وآل عمران ، والأعراف، والشعراء ، والنمل ، والقصص تقدم مشاهد حوارية حقيقية لتعلم الناس في كل زمان ومكان أن الحوار هو وسيلة التفاهم والإقناع والوصول إلى كلمة سواء.

ومن غايات الحوار في منهج الإسلام:

١ - التفتح على آفاق الحضارة الكونية والإنسانية:

وهذه الغاية من أَجَلِّ الغايات وأقوم السبل لإنشاء شبكة علاقات توكد أواصر القربى ووشائج المحبة بين الإنسان ومقومات وجوده في هذا الكون، فالحق سبحانه وتعالى سخر الشمس والقمر دائبين للإنسان، وسخر الليل والنهار، وكل ما في الكون من كائنات، ونباتات، وأجرام مسخرة للإنسان، وهي من دلائل قوة الله عز وجل.

وقد دعا القرآن الكريم إلى التأمل في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران: ١٩٠).

ومن مظاهر التفتح الحضاري التأثر والتأثير بين الثقافات: وقد أثرت الثقافة العربية والإسلامية في الثقافة الفارسية والهندية وكذلك في الثقافات العالمية والمعاصرة في جميع ميادين العلم والمعرفة، وفي ظل هذا الحوار الثقافي والتلاقح الفكري حدث تلاق بين الثقافة العربية والهندية في الأدب، والحكم، وأشرق نور الإسلام في بلاد الهند والسند في عهد الوليد بن عبد الملك، على يد القائد الفاتح بطل السند محمد بن القاسم الثقفي ومن مظاهر هذا الحوار والتلاقي الثقافي:

أ) ألفاظ هندية عربت أيام كان العرب يتاجرون مع الهند، وينقلون سلعًا هندية ويحملون مع هذه السلع أسماءها، فقد حكى السيوطي وأورد ألفاظًا هندية عُرِّبت ووردت في القرآن الكريم مثل: زنجبيل وكافور، ومما ورد في اللغة العربية من الألفاظ الهندية: الأبنوس، الببغاء، والخيزران، الفلفل، وغير ذلك من أسماء النباتات والحيوانات، وآراء في الأدب والمنطق والبلاغة نقلت إلينا عنهم.

ب) القصص الهندي: وقد أولع العرب به فكتاب كليلة ودمنة أصله هندي ونقل إلى الفارسية، ثم من الفارسية إلى العربية، وكذلك قصة السندباد وقصة ألف ليلة وليلة، وأثر هذا الحوار بين الثقافات يتضح في كتاب البيان والتبيين للجاحظ.

وإذا كانت جذورنا الحضارية تتكئ على أسس راسخة من الحوار والتلاقح الفكري المثمر فإن الحاجة إلى الحوار تتأكد ولا سيما في العصر الحديث،

الذي يدخل العالم فيه مرحلة من المتغيرات الجذرية، والتطورات والتحولات الكبرى والسريعة على مختلف الأصعدة، كما يشهد ثورة هائلة في وسائل الاتصال والإعلام وتدفق المعلومات وما تفرضه هذه الثورة من إمكانات غير مسبوقة للتواصل الثقافي والفكري بين الأطراف المختلفة في المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الكثيرة المتعددة؛ ولذا فقد أصبحت اليوم مفاهيم الحوار والآخر، والتعددية مفاهيم كونية يفسر البعض السبب في ذلك بالعولمة التي تزيل الحدود القومية للدول لتدرجها ضمن نظام عالمي أشمل(١)، الأمر الذي يعني انفتاح المجتمعات ومن ثم البحث عن صيغ ثقافية جديدة لهذا الانفتاح، ولكن لا بد من احترام خصوصية الشعوب في تمسكها بثوابت عقيدتها، وملامح ثقافتها، ومعالم تقاليدها.

٢- تحقيق التعايش مع واقع الأسرة الدولية:

إن هذه الغاية من غايات الحوار تؤكد المنهج الإسلامي في التواصل مع الآخر، المنهج الذي أكد عليه القرآن الكريم وأرسى دعائمه في قصصه ومحاوراته عبر تاريخ البشرية، ويرى أن أدب القرآن هو مبدأ المثالية العليا، وهو مبدأ الفضيلة الإنسانية والتي تقتضي أن نشمل الناس جميعًا برحمتنا ومحبتنا تخلقًا بأخلاق الله، والذي وسعت رحمته كل شيء، وتأسيًا برسول الله ﷺ الذي كان مضرب المثل في الشفقة على الجميع، والحرص على خير الجميع، وانتظامًا في

(١) انظر: الحوار مع الآخر، د/ آمال محمد عتيبة.

سلك المؤمنين الأولين الذين كانوا يحبون أهل الديانات السابقة، وإن كان هؤلاء لا يحبونهم، وأخيرًا عملًا بتوجيه الخالق الذي عقد بين الناس جميعًا الأخوة النسبية، ثم جعل التذكرة بهذه الأخوة النسبية وسيلة لاستدرار عاطفة الرحمة على كل من يشاركنا فيها أي في الأخوة الإنسانية، فقال عظمت حكمته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ (النساء: ١)، فوصَّى بصلة الأرحام قريبها وبعيدها ورحم الإنسانية الجامعة[١].

وإن الحوار بين الفكر الإسلامي والتيارات الفكرية الأخرى وكذلك الحوار بين من يدينون بالإسلام وبين غيرهم من الشعوب والأمم الأخرى تتعدد صوره وضوابطه، فإن العالم المعاصر بعد تجاربه المتعددة مع الصراعات الساخنة والحروب بأنواعها الملتهبة والباردة قد أدرك أنه لا مناص من الحوار، ولا مفر من التفاهم ، ولا مندوحة عن التقارب ، فكان ميثاق الأمم المتحدة وقبلها عصبة الأمم خطوات متتابعة للتأكيد على ضرورة الحوار ووضع ضوابطه وتفعيل مقاصده ، وظهر مصطلح الأسرة الدولية والمجتمع الدولي تأكيدًا على قيمة الحوار وجدواه وأهميته في ترسيخ قيم الحق والعدل والخير للبشرية جميعًا[٢].

والعلاقات الدولية في الإسلام أساسها احترام الإنسانية وسيادة الفضيلة في السلم والحرب ووصل المودة بالشعوب حتى ولو كانت الحرب القائمة

---

(١) نظرات في الإسلام، د/ محمد عبد الله دراز ، ص ٩٢- ٩٣.

(٢) انظر: مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ.

مشبوبة الأوار، ولكن الحرب في المنهج الإسلامي الذي يحرص على التعايش السلمي تُحمى فيها الدماء في كل الأحوال حسب تعاليم الإسلام ولا تُخَرَّب الديار ولا تقطع الأشجار ولا يُباد الحرث والنسل.

٣- التعايش السلمي مع أهل الكتاب وكل أصحاب الملل والعقائد:

لقد أوصى الإسلام بحسن معاملة أهل الكتاب وكل صاحب ملة يعيش في ظل الدولة الإسلامية ولا يمثلون خطرًا على الإسلام ولا على المسلمين وفي سورة آل عمران وغيرها من السور المباركة آيات كثيرة تحضُّ على الحوار والتآخي بين المسلمين وأهل الكتاب؛ يقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: ٦٤) يقول سبحانه ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران:٦٥).

من آثار الحوار وثماره :

- أثر الثقافة العربية الإسلامية في الثقافات العالمية:

إن الثقافة العربية والإسلامية كان لها أثرها البارز في تكوين الفكر الأوربي وهذا الدور واسع المدى عميق الأثر شمل العلوم كما شمل الصناعات ولم يقتصر على الفلسفة والعلوم الطبيعية والفيزيائية والرياضيات بل امتد كذلك إلى تأثر كبار الأدباء والشعراء بالثقافة الإسلامية السامقة متمثلة في القرآن الكريم والسيرة النبوية الحافلة بمشاهد العدالة والمساواة والبطولات والنماذج

الإنسانية العليا في القيادة والتخطيط، وتمت عملية الإخصاب بين الفكر العربي الإسلامي البالغ كمال تطوره وبين العقل الأوربي وهو بسبيل يقظته وتلمس طريقه في البداية، وتمت عملية الإخصاب هذه في منطقتين الأولى في إسبانيا وفي مدينة طليطلة منها بخاصة، والثانية صقلية وجنوب إيطاليا خصوصًا في عهد ملوك النورمان وأشهرهم رجار الثاني المتوفى سنة ١١٥٧م وفريدريك الثاني المتوفى سنة ١٢٥٠م فقد كانت هاتان المنطقتان نقطتي التلاقي بين الثقافة العربية الإسلامية الزاهرة وبين أوربا (١).

ومن أقوى الشواهد والبراهين على عمق تأثير الثقافة العربية الإسلامية في العقل الأوربي من خلال التأثير الثقافي والحوار الفكري والاطلاع على ترجمات معاني القرآن الكريم وترجمات السيرة النبوية ومشاهد من التاريخ الإسلامي أن شاعر ألمانيا الأكبر "جوته" يعترف ويؤكد تأثره بالثقافة الإسلامية ذات الأبعاد الإنسانية العميقة، وتقول مؤلفة كتاب: "جوته والعالم العربي" عن هذه الظاهرة التي تدعو للزهو والإشادة: إن علاقة "جوته" بالإسلام ونبيه محمد ﷺ ظاهرة من أكثر الظواهر مدعاة للدهشة في حياة هذا الشاعر، فكل الشواهد تدل على أنه كان في أعماق وجدانه شديد الاهتمام بالإسلام، وأن معرفته بالقرآن الكريم كانت بعد الكتاب المقدس أوثق من معرفته بأي كتاب من كتب الديانات الأخرى، ولم يقتصر اهتمامه بالإسلام وتعاطفه معه على مرحلة معينة من حياته بل كان هذا الاهتمام ظاهرة تميزت بها كل مراحل عمره الطويل، فقد نظم وهو في سن الثالثة

(١) دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ٥ وما بعدها.

والعشرين من عمره قصيدة أشاد فيها بالنبي محمد ﷺ وقد أسفرت الدراسات القرآنية التي قام بها في العامين (١٧٧١ - ١٧٧٢م) عن نتيجة على جانب كبير من الأهمية ألهمته التخطيط لكتابة عمل عظيم عن حياة النبي ﷺ، ولم تكتمل هذه الملحمة ولكن بقيت منها شذرات مضيئة بعظمة الحبيب المصطفى الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

- "جوته" والتأثر ببعض القيم الإسلامية في ضوء البيان القرآني:

أ) الإشادة بقيمة الجهاد والثناء على شهداء بدر، وفي وهج هذا الحوار الثقافي التفاعلي يكتب (جوته) قصيدته "رجال مؤهلون" وهي من أصداء انتصار المسلمين في بدر وكان (جوته) قد قرأ الكثير من كتب السيرة النبوية التي ألفها الكُتاب الأوروبيون ومنهم: رينبيدر وأولزيز وبولان فبلير وتوربين عن الظروف التي أحاطت بهذه المعركة الحاسمة، والأهمية التاريخية التي انطوت عليها، وهذه القصيدة "رجال مؤهلون" تستلهم موقف النبي ﷺ عندما بشر الذين استشهدوا في سبيل الله بحياة خالدة في الجنة، وقد أخذ الشاعر الصور والمشاهد التي تصف نعيم الجنة من آيات قرآنية كان قد قرأ ترجمة معانيها في كنوز من الشرق، وقد قام بترجمة هذه القصيدة إلى العربية الشاعر المصري عبد الرحمن صدقي في كتابه: "الشرق والإسلام في أدب جوته"، ومن هذه القصيدة التي تستوحي أصداء البيان القرآني وأحداث السيرة النبوية يقول (جوته) في تصوير يوم بدر والثناء على الشهداء:

بعد معركة بدر تحت السماء المرصعة بالنجوم

ليندب الأعداء قتلاهم فإنهم من الهالكين

أما الشهداء من إخواننا فلا تندبوهم

فإنهم أحياء في أعلى عليين

لقد فتحت السماء السبع أبوابها لهم أجمعين

وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة يدخلونها بسلام آمنين

ب) الإشادة بعقيدة التوحيد، وهذا الإيمان بعقيدة التوحيد يقود "جوته" إلى ضرورة التسليم لله ونبذ التعصب بكل صوره؛ لأن التعصب حماقة وجهل وغرور وادعاء يقول:

من حماقة الإنسان في دنياه

أن يتعصب كل منا لما يراه

وإذا كان الإسلام معناه

أن لله التسليم

فعلى الإسلام نحيا ونموت نحن أجمعين

وتعد حقبة نهاية القرن التاسع عشر في روسيا من أكثر المراحل ثراء بالأبحاث المخصصة للإسلام والقرآن، فقد اكتسبت المطبوعات الإسلامية خلال الفترة المذكورة أبعادًا كبيرة، ففي ثماني مدن في روسيا كانت هناك مطابع تستعمل الحروف العربية (١).

---

(١) انظر: مقدمة في الأدب الاسلامي المقارن للأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي، ومؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، د/ مكارم الغمري.

وقد تبوأت أحاديث الرسول ﷺ، والمعاني القرآنية مكانة مرموقة بين الآراء التي يستشهد بها "تولستوي" الأديب الروسي الكبير للتأكيد على صحة آرائه في كتبه الفلسفية، وقد كتب مؤلفًا عنوانه: أحاديث مأثورة لمحمد ﷺ، وقال في مقدمة الكتاب مؤكدًا أنه ثمرة الحوار الإيجابي بين الثقافات والأديان في الشرق والغرب، يقول تولستوي: هذه تعاليم صاحب الشريعة الإسلامية، وهي عبارة عن حكم عالية، ومواعظ سامية، تقود الإنسان إلى سواء السبيل، وجوهر هذه الديانة يتلخص في أن الله واحد، ولا يجوز عبادة أرباب كثيرة، ومصير الإنسان النهائي يتوقف على الإنسان وحده، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ (المدثر: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

ويمتد تأثير الثقافة العربية والإسلامية إلى كثير من الأدباء الروس، وتأثرهم بالشخصيات القوية العادلة في تاريخ العرب والمسلمين، ومنها شخصية الخليفة العباسي (هارون الرشيد)، وقد استمرت خلافته قرابة اثنين وعشرين عامًا، ويتخذ (يوشكين) من (هارون الرشيد) رمزًا إنسانيًّا كانت له بصمته المميزة في سيرة الحضارة العربية والإسلامية، وهو نموذج للحاكم القلق على شئون رعيته، الساهر على مصالحها، وقد استرعى اهتمام (يوشكين) في شخصية (هارون الرشيد)، سمة المعايشة لمشاكل الأمة وجميع طوائف الشعب التي وجد فيها تجسيدًا للعلاقة المثالية بين السلطة والشعب، ونموذجًا مضيئًا للسلوك القويم بين الحاكم والشعب.

وختامًا .. فإن الحوار المثمر البناء يعد مـن معـالم الشخصـية الإسـلامية في حركتها التفاعلية مع جميع الأمم، والعقائد والشعوب، قـال تعـالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

* * *

غايات الحوار (*)

الحوار في أيسر تعاريفه يقصد به النقاش الهادئ بين شخصين أو مجموعة من الأشخاص الذين يختلفون في وجهات النظر أو التوجهات أو الآراء فيتبادلون أطراف الحديث بطريقة راقية، فيحترم كل طرف الطرف الآخر دون التعصب لرأيه ومنهجه؛ لذا يجب على الجميع الالتزام بآداب الحوار كالتحلي بالأخلاق الحسنة الفاضلة وإخلاص النية في اتباع الصواب والحديث بعلم وحجة لا بالهوى والانتصار للذات، وضبط النفس، والحلم والصبر، والرفق واللين والاحترام والتواضع وغير ذلك من الأخلاق السامية التي تزين الحوار وتجعله مثمرًا مؤديًا لأهدافه وغاياته المرجوة.

لعل من أهم الحقائق التي تحتاج إلى استيعاب وإدراك تامّين هي: حقيقة التعدد والتنوع في هذا الوجود، فهي قاعدة تكوينية شاملة وناموس كوني ثابت، وأيٌّ سعي إلى إلغائها بدعوى المماهاة والمطابقة وضرورتها وفوائدهما، هو سعي عقيم؛ لأنه يخالف الناموس ويريد تبديل الوجود، وهذا ليس بمقدور الإنسان فعله.

والصراعات والنزاعات الدائمة، لا تنشأ من وجود الاختلاف والتنوع، وإنما تنشأ من العجز عن إقامة نسق مشترك يجمع الناس ضمن دوائر ارتضوها،

(*) أ.د/ جمال فاروق الدقاق، عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة سابقًا – جامعة الأزهر.

والحوار بين الإنسان وأخيه الإنسان، من النوافذ الأساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية بدونها.

وعليه فإن الحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الثقافي أو السياسي، وإنما هو لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجددًا ومعًا في النظر إلى الأمور.

والدين الإسلامي أولى العناية والاهتمام بقيمة الحوار والدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن، وذلك لأنه لا دين بالفرض والقهر ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِالله فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤﴾ (فصلت: ٣٤).

فالحوار المثمر، يفتح آفاق التعاون، ويبلور أطر التضامن، ويدخل الجميع في قافلة الدفاع عن المقدسات ومواجهة التحديات.

وإن عظمة أيَّة ثقافة في انفتاحها وقدرتها على تأصيل مفهوم الحوار والنقد في مسيرتها، فثمة أشياء ومعارف عديدة يتم الاستفادة منها من جراء الانفتاح والتواصل والحوار.

والثقافة التي تصطنع الانفصال والانغلاق تبتر التاريخ وتقف موقفًا مضادًا من الوعي التاريخي، وإن الثقافة الحوارية هي: المهاد الضروري إلى التقدم الاجتماعي والسياسي والحضاري، فالحوار يعيدنا جميعًا إلى اكتشاف ذواتنا،

ويقوي خيارات التواصل والتعارف، ويدفعنا جميعًا إلى التخلي عن تلك الخيارات العنفية والتي تمارس النبذ والإقصاء.

غايات الحوار:

وبإمكاننا أن نحدد غايات الحوار ووظائفه في الدائرتين العربية والإسلامية في النقاط التالية:

١- التعارف وكسر حواجز الجهل المتبادل وتعميق عوامل التفكير الحر والسليم:

لعلنا لا نبالغ حين نقول: إن الحوار بين البشر هو الوسيلة المثلى للتعارف وإضاءة النقاط المظلمة في العلاقات بين البشر، لذلك أكد القرآن الحكيم على هذه القيمة، واعتبر أن التعدد والاختلاف الموجود بين البشر، ليس من أجل الاستعلاء والانحباس والانزواء، وإنما هو من أجل التعارف وكسر حواجز الجهل المتبادل وصولًا إلى تعميق عوامل وأواصر التفكير الحر والسليم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: ١٣)؛ لذلك فإن مقولة الحوار تتجاوز السجالات والمجادلات العقيمة والمماحكات التي لا توفر للأطراف جميعًا فرصة التعارف المباشر على الأطراف الأخرى.

من هنا فإننا حينما ندعو إلى الحوار، ونعتبره هو وسيلة الإنسان الحضارية للتعرف على بني جنسه، فإننا نؤسس لغائية حميدة ينبغي أن لا تحيد عنها عملية

الحوار فهو من أجل كسر حواجز الجهل، وتعميق عوامل المعرفة المباشرة والتفصيلية على الآخر، حتى يتوفر المناخ النفسي والمعرفي والاجتماعي، لخلق نمط إنساني وحضاري للعلاقة بين مجموع الأطراف المتحاورة؛ وذلك لأنه وسيلتنا وخيارنا لتحجيم هواجس بعضنا البعض، ومحاصرة سوء الفهم والظن وموروثات الماضي، كما أنه يبلور وبفعالية عوامل الثقة المتبادلة وأسباب التعاون والتضامن على قاعدة (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) وهذه قاعدة عظيمة كانت شعارًا لأئمة المذاهب الفقهية الكبرى والتي كتب لها - بسبب هذه المرونة وعدم التعصب - الانتشار والبقاء في مشارق الأرض ومغاربها .

٢-المشاركة في توفير أسباب العدل والمساواة:

فالحوار لا ينحبس في مجرد تداول الأفكار والقناعات والأخبار والأحوال، وإنما يتعدى ذلك من أجل سبر إمكانات الواقع، وفتح مجالات جديدة للتفكير والعمل، باتجاه توفير الأسباب والعوامل المفضية إلى تعميق خيار العدل والمساواة.

وبالتالي فإن الحوار مشروع مفتوح على إمكانات الواقع والإنسان لتوظيفهما لصالح مشروع العدالة والمساواة في المجتمع؛ لذلك فإننا ضد كل أشكال الحوار التي تبرر الظلم أو تسوغ التفاوت الاجتماعي الصارخ أو تدعو إلى تبني نظرة شوفينية أو عنصرية أو طائفية تجاه الآخرين.

والحوار الذي ندعو إليه، هو الذي يؤسس حقائق العدل والمساواة؛ فقد نهى القرآن الحكيم عن ظلم الآخرين المختلفين والمغايرين وتجاوز كل مقتضيات العدالة.. قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ الله عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ الله يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ (الممتحنة: ٨) .

فينبغي أن تكون كل تصرفاتنا ومواقفنا وأفعالنا وردود أفعالنا في نطاق وفضاء العدالة واختلاف الآخرين معنا، ينبغي ألّا يدفعنا إلى تجاوز مقتضيات العدالة، بل هناك دعوة قرآنية صريحة إلى البر والرفق بالمخالفين الذين لم يحاربونا ولم يحملوا السلاح في وجوهنا.

لذلك ينبغي أن يتجه الحوار دائمًا، إلى توفير أسباب العدالة والمساواة في المجتمع، ومن الأهمية بمكان أن نمتلك الوعي العميق والعزم الصادق والإرادة المستديمة حتى نتمكن من إبقاء مسيرة الحوار في نطاق توفير متطلبات العدالة وعوامل المساواة .

تنمية القناعات والمساحات المشتركة:

القرآن الحكيم يعلمنا أن الحوار يستهدف الانطلاق من القواسم المشتركة ويسعى عبر آلياته وأطره إلى تنمية المساحات المشتركة والعمل على تفعيلها.. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: ٦٤)، فالحوار لا يستهدف

بالدرجة الأولى إقناع الآخرين بقناعات الذات، وإنما تعريفها إلى الطرف الآخر، وبالتالي فإنه حوار لا يستهدف الإفحام والقطيعة، وإنما التواصل والتعايش.

وينهى القرآن – أيضًا – عن المراء والجدال الذي لا يفضي إلى نتيجة، بل قد يزعزع المشتركات، ويوجد مناخًا نفسيًّا يحول دون تنمية القواسم المشتركة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٠) وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ (الشورى: ١٤) .

فإننا مطالبون جميعًا أن نمارس فعاليتنا الفكرية وحيويتنا الثقافية لتوطيد أركان وعوامل المنهج الحواري حتى نكون جميعًا بمستوى المشاركة النوعية في صنع حقائقنا وصياغة حاضرنا وإنضاج خيارات غدنا ومستقبلنا.

وإن الحوار في الحقل الثقافي والإنساني يقتضي العمل على مستويين في آن واحد، مستوى الذات والعمل على التخلص من رواسب لغة النفي والإقصاء والتخوين وكل المفردات التي تلغي المختلف والمغاير، ولا تسمح بأي شكل من الأشكال بأي مستوى من الحوار معه.

الحوار والتواصل:

والحوار لا يلغي الاعتزاز بالذات، ولكنه اعتزاز لا يصل إلى مستوى العصبية المذمومة، أو يكرس نظرة استعلائية للذات ضد الآخرين، إنه اعتزاز بالذات لا يلغي متطلبات الوحدة وشروطها النفسية والأخلاقية.

وفي الحوار من الأهمية بمكان إيجاد مسافة موضوعية بين الآراء والمعتقدات. فليس كل رأي هو عقيدة، وإن أي محاولة للدمج بين الآراء والمعتقدات، يفضي في المحصلة النهائية إلى سيادة التعصب الأعمى بكل أشكاله وصنوفــه؛ لذلك فإنــه ويل لأمة تتحول فيها الآراء إلى معتقدات.

فالالتزام بالفكرة لا يشرع للتعصب لها ، وإنما هو يدفعك ويحركك نحو التجسيد العملي لكل جوانب الفكرة ومجالاتها وآفاقها والمغاير لنا في الالتزام والقناعات والمواقف نعترف بوجوده ، وننظم علاقاتنا وتواصلنا معه، ونتحاور معه حول كل القضايا والأمور، من أجل أن تتراكم أسباب المعرفة، وتتوطد عوامل العلاقة، وبهذه العقلية والروحية تتجذر مفاهيم حقوق الإنسان وتتأكد قيم التسامح والتعاون والتضامن.

والحوار قبل أن يكون أطرًا وهياكل هو استعداد نفسي يرتبط بوجداننا وقيمنا الإسلامية، التي أسست لهذا الخيار في كل جوانب وشئون حياتنا.

والحوار لا يستهدف شيوع حالة الفوضى في الآراء والمواقف، وإنما تضييق مساحات الخلاف والنزاع، وإبراز عناصر الوحدة والائتلاف، فمن ساحة الحوار تنتج الوحدة وبالحوار تضـمحل الخلافـات وتـزول أسـباب الصــراع العنفـي، وبدون إرساء دعائم الحوار المتواصل مع تعبيرات الأمة، يتم التعامل مع العديـد من القيم والمبادئ مجردة عن وظيفتها الحضارية، وبعيدة كل البعـد عـن النسـيج الإنساني.

وهكذا فإن الإنسان لا يجسد قيمه إلا بالمزيد من الحوار؛ حوار الإنسان مع ذاته، وحواره مع دوائره الاجتماعية المتعددة، وحواره مع ظواهر الطبيعة لمعرفة أسرارها لتسخيرها بما يخدم العمران والتقدم الإنساني.

ولقد علمتنا التجارب، أن غياب الحوار كإستراتيجية لتنظيم العلاقات بين مجموع القوى المتوفرة في الوطن والأمة، يهدد الجميع بانقسامات وتشظيات تهدد الجميع وتدخلهم في دهاليز القهر والعنف المتبادل؛ لذلك من الضروري أن نؤمن إيمانًا عميقًا أن الحوار هو سبيلنا جميعًا لحل مشكلاتنا.

ولكي نصل إلى المستوى الأخلاقي لممارسة الحوار بعيدًا عن المسبقات الفكرية أو المواقف الجاهزة، نحن بحاجة إلى مجاهدة النفس، والتغلب على الأهواء والنوازع الضيقة، والانعتاق من كل أشكال التعصب الأعمى للذات أو لأفكارها وقناعاتها، والسعي الحثيث نحو الاقتراب من الآخر، ومحاولة فهمه بشكل مباشر؛ وذلك من أجل أن يكون الحوار في الداخل العربي والإسلامي هو الأصل والثابت الذي لا نحيد عنه، مهما كانت النوازع ومهما كانت المشكلات التي تحول دون ذلك.

إن الضرورة الحضارية تفرض علينا وعيًا مزدوجًا لعملية الحوار الثقافي .. وعي بمستوى الحوار الثقافي والإنساني الذي وصلت إليه المجتمعات بين دولها وتياراتها ومدارسها الفلسفية والفكرية والسياسية، ووعي بواقعنا العربي والإسلامي وتلمس الممكنات المتوفرة لانطلاق هذه العملية الحضارية والعقبات التي تحول دون ذلك.

ومن خلال هذا الوعي المزدوج لعملية الحوار الثقافي تتأسس الظروف الموضوعية والذاتية لانطلاق مبادرات نوعية في هذا المجال ، ودون هذا الوعي تبقى الكثير من الخطوات شكلية ولا تخرج في كثير من مفرداتها عن موضع الاستهلاك ورمي الكرة في مرمى الطرف المختلف والمغاير، وفي هذا الوضع تتجلى في الحياة الثقافية كل الأشكال الخادعة والمستعارة لعملية الحوار الثقافي.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن الحوار الثقافي الذي يأتي في سياق وعي اللحظة التاريخية لواقعنا العربي والإسلامي ومتطلباته الحضارية، ووعي اللحظة التاريخية التي تعيشها جميع المجتمعات، فإن هذا الحوار يعد نواة صلبة للعمل الثقافي الجاد الذي يتراكم ويتواصل لخلق حالة ثقافية بصفات جديدة وعقلية حضارية تمارس القطيعة المعرفية مع تلك العقلية الضيقة التي لا ترى في الوجود إلا لونين الأسود والأبيض فقط، وليس ما أقوله هنا إسقاطًا لمفهومات غريبة عن تطلعات حياتنا الثقافية، وإنما هي من تطلعاتها الجوهرية ومطامحها الأولى، وبالتالي فإن الحوار الثقافي ليس تصدعًا في الذات الثقافية، بل هو إثراء لها وإضافة نوعية إلى بنائها وسياقها المعرفي.

وعلى كل حال فمن الأهمية بمكان على جميع الصعد والمستويات ألَّا تدفعنا اختلافاتنا إلى القطيعة والجفاء والتباعد، وإنما ينبغي أن تكون هذه الاختلافات مدعاة إلى الحوارات العميقة، لا لكي نتنقل في قناعاتنا، وإنما من أجل أن نتعرف على وجهات نظر بعضنا البعض، ومن أجل إزالة الاحتقانات النفسية المصاحبة

للاختلافات، ولكي يتم تنشيط دور القواسم المشتركة بين الجميع، بحيث لا تلغي الاختلافات المشتركات، أوتحول دون ممارسة دورها ووظيفتها في الحوار والتعاون والتضامن.

بمعنى أن الحوار يسهم بشكل أساسي في تذليل عقبات الواقع، التي تمنع من تنفيذ الكثير من الطروحات والمشاريع، وفي المقابل فإن الاستبعاد والإقصاء، يقضي على كل الممكنات المناسبة للقاء والائتلاف، كما أن هذا المنطق يحرك كل غرائز ونزعات الخصام والتباغض.

الحوار والنقد:

الحوار لا يمنع النقد، وإنما يؤسس للمعرفة المتبادلة العميقة، التي تجعل النقد بنَّاءً وبعيدًا عن التصفية والتحطيم، فالنقد هنا لا يتجه إلى الدحض والنقض، وإنما لتوليد رؤى، وأفكار وصيغ جديدة، تحرك الراكد، وتستفز الساكن، وتدفع الجميع نحو المـــزيد من الحوار والتلاقي، وهكذا لا يتحول النقد إلى ممارسة عشوائية، قوامها النقض والاستفزاز، وإنما هو عملية قصدية وواعية، تتجه إلى اكتشاف مساحات جديدة للنظر والتفكير وحقول مميزة للعمل والحركة وآفاق راهنة للتطلع والتحشيد وبلورة الطموح.

وبهذا فإن الحوار والنقد يتكاملان، فلا نقد بناء بدون حوارات مستديمة ومتواصلة تتجه إلى تبديد الجهل المتبادل، وتعميق أسباب الفهم والمعرفة، كما أنه لا حوار جاد ومفضٍ إلى الحيوية والفعالية، بدون عملية نقد، تسائل السائد، وتناقش الموروث، وتبدد الرين النفسي والفكري.

فالحوار يكسب الإنسان التعدد والتنوع في القناعات والأفكار والخيارات، والنقد يؤسس لعملية انفتاح خصبة سواء على مستوى المعاملة أو التجربة، وكلاهما (الحوار والنقد) يفضيان إلى غنى في الشخصية على مختلف المستويات، وأن العلاقة بين مختلف التعبيرات والأطياف لا يمكن أن تبنى بعقلية الإقصاء ومنطق التحطيم والمحو؛ لأنها علاقة مآلها الأخير المزيد من القهر والعنف والأحقاد المتبادلة.

لذلك فإن من الأجدى لنا جميعًا أفرادًا وجماعات، أن تبنى علاقاتنا بمنطق التواصل والحوار، وبفتح أفكارنا وعقولنا ونفوسنا جميعًا على حقائق التنوع والتعدد؛ لأن هذا المنطق هو الكفيل بإزالة ما تراكم من سوء في الخطابات والممارسات، في المواقف والقناعات، في الرؤية إلى الذات وإلى المختلف والمغاير.

لذلك فإن المطلوب – دائمًا– هو الانخراط في مشاريع حوارية؛ وذلك من أجل إرساء تقاليد الحوار والتعايش والتساكن الحضاري، وحتى يتعمق خيار المنافسة السلمية وبوسائل ديمقراطية.

والسؤال المركزي هو: كيف يتم تطوير العقلية الإيجابية المتسامحة، وبلورتها وتعميقها في المحيطين العربي والإسلامي؟ وهذا يتم من خلال الآتي:

التواصل الإنساني والثقافي:

وهو يعد ضرورة إنسانية ومساحة حرية وحيوية وتفاعل متبادل، وإن غيابه يعادل خطر غياب قيمة أساسية من قيم الإنسان والحضارية في هذا العصر.

فالتواصل الإنساني بكل مستوياته قيمة حضارية ثمينة، ورسالة حوار وتعارف وأرضية تسامح وتعايش بين الثقافات والأفكار المختلفة، وإن هاجسنا جميعًا ينبغي أن يتجه إلى ضرورة إرساء قواعد وأطر للتواصل المستمر بين مختلف الأطياف والثقافات، واستكمال الشروط الضرورية لإطلاق فعل تواصلي شامل، حتى تمارس كل هذه الثقافات دورها في البناء والتطوير.

والوحدة الداخلية في أي مجتمع عربي وإسلامي قائمة على احترام التنوعات والتعدديات، وهو الوجه الآخر لتقدم هذا المجتمع وتطوره في مختلف المجالات، بمعنى أنه لا تقدم اقتصادي واجتماعي حقيقي بدون وحدة داخلية توفر كل مستلزمات التقدم وشروطه المجتمعية، وفي منظورنا وتقديرنا أن فعل التواصل المستديم، هو الذي يحرر الوعي الوطني والثقافي من كل التشوهات والأوهام التي تغذي حالات القطيعة والإقصاء.

تأصيل قيم الحوار والتسامح:

لابد من تأصيل قيم الحوار والتسامح والكرامة الإنسانية، والعمل على تحويل هذه القيم إلى حقائق ووقائع تزيد من فرص الحوار وتعمق خيارات البناء والعمران.

ولا بد من إدراك أن الحوار بكل متوالياته وأشكاله ومستوياته: هو البديل الطبيعي لعلاقات التنابذ والنفي المتبادل لجملة المدارس الفكرية والسياسية، وأن سيادة هذه العقلية الإيجابية ومفرداتها الثقافية والسياسية والاجتماعية، هو الذي يحول دون نجاح مشاريع التفكيك الجديد للمجتمعات العربية والإسلامية، ومن

خلال هذه القيم والعناصر، نستمد وعينا الحياتي ونصيغ علاقاتنا وتحالفاتنا، ونحدد مواقفنا من مختلف الظواهر الإنسانية.

وإن موجبات النهوض ومتطلبات مواجهة التحديات المصيرية بحاجة دائما إلى تنقية الأجواء العربية والإسلامية الداخلية من كل ما يعكر صفو التضامن والوحدة والعمل معًا من أجل توفير كل مستلزمات النهوض السياسي والحضاري، والوحدة الداخلية للعرب والمسلمين بحاجة دائمًا إلى إطلاق عملية حوار مستديم، تزيل ركام الماضي، وتؤسس لنمط جديد من العلاقة قوامها العزة والحكمة والمصلحة.

فالتنوع الفقهي والفكري في التجربة التاريخية الإسلامية، لم يكن وليد الانقسام والتشرذم والتفرق المذموم، وإنما كان تعبيرًا عن حيوية عقلية وعلمية أدت إلى تعدد الآراء والمتبنيات المنهجية في عملية الاستنباط ودلالات النصوص، مما أتاح للمسلمين في تلك الحقبة الكثير من الآراء والأفهام وأشكال الحوار المستند إلى العلم والمنطق. ولا نعدو الصواب حين القول: إن العديد من منجزات الحضارة الإسلامية ومكتسباتها العلمية والمعرفية والإبداعية، كانت بفعل هذه العقلية.

لذلك فإنه لابد من تأصيل قيم التسامح والحوار المستند إلى الحجة والمنطق والرأي الموضعي المتجرد.

وآن الأوان لنا جميعًا أن نقف مع ذواتنا، ونعرض قناعاتنا أمام قيمنا الكبرى ومبادئنا العليا، ونراجع ممارساتنا وسلوكنا الخاص والعام لتقويمهما ولردم الفجوة بين الواقع والمثال.

* * *

الحوارات القرآنية قراءة تأملية (*)

هذه قراءة متأملة تتحرك بحذر منضبط في متابعة الحوار القرآني، والمحاورة هي المجاوبة وتحاور القوم تراجعوا الكلام بينهم(1)، أي أن الحوار في حاجة إلى تعدد الشخوص المتحاورة، وتحديد الموضوع المطروح للحوار للوصول إلى اتفاق أو ما يشبه الاتفاق .

وقد ترددت المفردة في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ في قوله تعالى ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ (الكهف:٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾ (الكهف: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى الله وَالله يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ (المجادلة: ١).

وللحوار أدواته وأبنيته، وهذه الأبنية تتنوع حيث تحتل الضمائر المرتبة الأولى في بناء الحوار، ذلك أنها الدالَّة المركزية على الشخوص المتحاورة، ويمكن تحديدها نظريا في التشكيل الآتي:

أنا / أنا --- أنا / نحن --- أنا / أنتَ --- أنا / أنتِ --- أنا / أنتما --- أنا / أنتم --- أنا / أنتن --- أنا / هو --- أنا / هي --- أنا / هما --- أنا / هم --- أنا / هن.

(*) أ.د/ محمد عبد المطلب ، الأستاذ المتفرغ بكلية الآداب - جامعة عين شمس.

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة :دار المعارف ١٩٧٩م ، مادة (حور).

وتحل مجمل الضمائر محل (أنا) على النحو السابق ، لكن يلاحظ أن ضميري المتكلم والمخاطب هما ألصق الضمائر بالحوار، ذلك أن ضمير الغائب هو الأنسب للنص السردي، وربما لهذا السبب أطلق عليه السكاكي ضمير الحكاية (١)، ويمكن أن نتابع هذه الضمائر في حوار نبي الله يوسف مع رفيقي السجن: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (يوسف:٣٦) .

وتتبع الضمائر خواص تعبيرية يضمها مبحث بلاغي مزدوج هو الخبر والإنشاء، فيكون الاستفهام في مثل قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (البقرة: ٣٠)، ويكون الأمر في مثل قوله تعالى: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ (النمل: ١٠) ويكون النهي في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ (البقرة: ٣٥)، ويكون النداء في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦)، و يكون التمني كما في قوله تعالى فيما قصه القرآن الكريم على لسان مريم عليها السلام: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٣).

ومن المهم أن نشير إلى أن الأدوات الحوارية لا تتوقف عند هذه الأبنية المكتوبة أو المنطوقة ، بل تتجاوزها إلى ما أسميناه الحوار الصامت في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ (مريم: ٢٩)، أي أن مريم عليها السلام تقول دون لفظ

(١) مفتاح العلوم ، السكاكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٨.

منطوق : وجهوا كلامكم لعيسى فهو الذي سوف يجيب عن أسئلتكم .

وعندما يتداخل الحوار مع الحِجَاج تحضر أدوات إضافية مثل أسلوب الشرط في مثل قول موسى للخضر"عليهما السلام" في قوله تعالى : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ (الكهف: ٧٦) وأسلوب القصر كما في قول هود عليه السلام لقومه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ الله مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ (هود : ٥٠)، والمؤكدات وهي كثيرة مثل: (إن وأن وقد واللام ونون التوكيد والتكرار، وأدوات الإضراب مثل بل ، كما في قول يعقوب (عليه السلام) لبنيه قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ (يوسف : ١٨)، والاستدراك مثل لكن في مثل قول هود (عليه السلام) لقومه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٧).

ومن الواضح أن التراث العربي كان على وعي بامتزاج الحوار بالحجاج في السياقات التي تحتاج تبادل الحجج والبراهين بين الأطراف المتحاورة أو المتناظرة قبل نزول القرآن، وزاد هذا الوعي بعد نزوله لأن القرآن أصبح المصدر الأول للعقيدة والفكر والثقافة والإبداع بوصفه النص المعجز، وهذا الامتزاج بين الحوار والحجاج هو الذي جعل السكاكي ينظر في علم الاستدلال بوصفه مكملًا لعلم المعاني.

وهناك كثير من المرويات التراثية تمزج بين الحوار والحجاج، وبخاصة في الوقائع السياسية، والمقامات، والقصة الخرافية والقصة على لسان الحيوان ومن المرويات التي توثق هذا الامتزاج في التراث العربي:

" قالوا إن الأرنب التقطت ثمرة ، فاختطفها الثعلب فأكلها، فانطلقا إلى الضب فقالت الأرنب يا أبا الحسل- الحسل ولد الضب - قال: سميعًا دعوت، فقالت: أتيناك نختصم إليك ، فقال: عادلًا حكمتما ، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت : إني وجدت تمرة ، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختطفها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته ، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: حر انتصف، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت"(1).

وقد توفرت في هذا الحوار الأدوات الحوارية والحجاجية على صعيد واحد ثم تبعثرت جمل هذا الحوار واستلت كل جملة ، ثم ترددت هذه الجمل على الألسنة بعد ذلك في السياقات التي تستدعيها بوصفها أمثالًا، ومن ثم فقدت طبيعتها الحوارية من جهة، وتبع ذلك غياب طبيعتها الحجاجية من جهة أخرى.

ومن خلال قراءة النص القرآني بحثًا عن مجموع الحوارات القرآنية على النحو الذي سبقت الإشارة إليه، حيث كان البدء بالحوار السماوي، وهو الحوار الذي دار بين الله سبحانه وتعالى والملائكة، ثم آدم وحواء، ثم إبليس، ثم السماوي الأرضي وهو الذي دار بين الله سبحانه والأنبياء والمرسلين، بدءًا بنوح

(1) مجمع الأمثال ، الميداني ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٣ / ١٢، المكتبة التجارية ١٩٥٩م.

(عليه السلام) وختامًا بمحمد ﷺ، غير أن الحوار مع الأنبياء والمرسلين كان مباشرًا، في مثل قوله تعالى لزكريا (عليه السلام): ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ (مريم: ٧) أما الحوار مع محمد ﷺ، فكان حوارًا بالتلقين كما في قوله تعالى لمحمد: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ (الأعراف ١٨٧)، ثم الحوار الأرضي، وهو الحوار الذي دار بين الأنبياء والمرسلين و أقوامهم، ويلاحظ أن معظم الحوارات القرآنية قد امتزجت بالحجاج الذي استدعى – هو الآخر – أدواته، وكنت حريصًا على ربط كل حوار بسياقه الذي استدعاه وبشخوصه التي شاركت فيه .

ومن المهم القول إن قراءة هذه الحوارات القرآنية قد قدمت دروسًا للإنسان في كل مكان وفي كل زمان، ويبدو أن جمهرة المفسرين قد أشاروا إليها بإشارات موجزة أو غير محددة ، وهو ما أحب أن أضيفه في هذا التلخيص بعد أن طرحته مفصلًا في المتن.

والدرس الأول الذي نتابعه، درس جاء في الحوار السماوي مع الملائكة أولًا، ومع إبليس ثانيًا، ذلك أن الحوارات القرآنية لها غاياتها المحددة ، وأهدافها الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية لأهل الأرض جميعًا، وهذا يتحقق على نحو بالغ العظمة في حوار الذات الإلهية مع الملائكة حول اختيار آدم ليكون خليفة في الأرض، وهنا نذكر بطبيعة السلطة الإلهية التي إذا أرادت شيئًا: ﴿ أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ (يس:٨٢)، أما الملائكة ﴿لَّا يَعۡصُونَ الله مَآ أَمَرَهُمۡ

﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، ومن ثمَّ فإن القرار الإلهي قرار مقدس لا رادّ له، لكن برغم ذلك فإن الله سبحانه عرض الأمر على الملائكة ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ (البقرة: ٣٠)، وكان للملائكة رأيهم الذي عرضوه على الله بقولهم: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ (البقرة: ٣٠) .

إن المهمة التي خلق الله الملائكة لها هي : ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، أي أن الذات الإلهية ليست ملزمة بعرض الأمر على الملائكة، والملائكة ليس من حقها إبداء الرأي فيما يوجه لهم من قرارات المشيئة الإلهية.

هذا كله لم يكن مانعًا من أن تقدم الذات الإلهية حجتها العقلية العملية لإقناع الملائكة بالقرار الإلهي : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ (البقرة :٣١)، وكان رد الملائكة أمام هذا التكليف هو العجز : ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (البقرة : ٣٢).

ثم يواصل الخطاب القرآني حجته المقنعة للملائكة : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ (البقرة ٣٣)، وقد أشار الزمخشري إلى شيء مما قلناه عن هذا الحوار بين الله والملائكة ، إذ قال : إن

الله سبحانه أخبر الملائكة بخبر استخلاف آدم على الأرض ليطرحوا هذا السؤال[1].

هذا هو الدرس السماوي لأهل الأرض في تحديد العلاقة بين السلطات المختلفة في الجوهر وفي المكانة وفي الدرجة، والتشبيه مع الفارق.

والدرس الثاني تابع للدرس الأول؛ ذلك أنه يمثل العلاقة بين السلطة العليا والسلطة السفلى في تبادل الحوار، لكن هذا التبادل له أصوله وقواعده التي يجب احترامها، وهو ما لم يلتزم به إبليس، فكان عقابه الطرد واللعنة إلى يوم الدين.

الدرس الثالث نستخلصه من الحوار السماوي في حوار الذات الإلهية مع آدم، وبخاصة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة:٣٥-٣٦)، وقال تعالى: : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ (الأعراف: ٢٢)، وفي هذه المواجهة مع الذات الإلهية اعترفا بذنبهما فورًا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف ٢٣)، ولما اعترفا بالذنب نالهما العفو والمغفرة:

---

(١) الكشاف للزمخشري ١ / ١٢٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٧).

أما الدرس المقصود فهو أن كل إنسان معرض للوقوع في الخطأ، لكن الذي نهتم له أن يسرع المخطئ في الاعتراف بخطئه وإعلان التوبة كما فعل آدم وحواء.

الدرس الرابع الذي نستخلصه من هذه الحوارات يأتي في حوار نوح – عليه السلام – مع الله سبحانه وتعالى، وهو درس عظيم لأهل الأرض جميعًا، أن يكون العمل والسلوك البشري خالصًا لوجه الحق دون انحياز عنه من أجل قرابة أو نسب أو صداقة، أو لمنفعة خاصة، أو لمجرد المجاملة.

لقد اتجه الخطاب القرآني لنوح محددًا طريق خلاصه ومن معه من المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧)، ثم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ (هود: ٤٠)، وبرغم هذا الوضوح المحدد ، نلحظ أن نوحًا غلبته طبيعته الإنسانية ، واتجه إلى الله سبحانه متوسلًا إنقاذ ابنه من الغرق ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ﴾ (هود : ٤٥)، وهنا تتجلى السلطة الإلهية لتنبيه نوح إلى الحق والعدل الإلهي الذي لا يقبل استثناء لقرابة أو لغيرها من العلاقات.

وهنا يبدو الفارق بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، فعندما جاء الوحي لإبراهيم بذبح ابنه إسماعيل في صورة رؤيا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ الله مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات ١٠٢ – ١٠٥).

وقد جاء الرد السماوي على مطلب نوح في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (هود: ٤٦)، وهنا تنبه نوح (عليه السلام) إلى قانون السماء، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (هود: ٤٧).

وفي حوار إبراهيم عليه السلام مع الحق تبارك وتعالى حول طلب رؤية كيفية إحياء الله للموتي درس عظيم للبشرية جمعاء أن تكون علاقتها مع السلطة قائمة على المصارحة والاحترام، والتشبيه مع الفارق بالضرورة، يقول المولى عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ (البقرة ٢٦٠)، وقد استجاب الله لمطلب إبراهيم (عليه السلام) لأنه في حدود

المسموح به، فهو لم يناقش في إحياء الموتى، وإنما كان مطلبه مشاهدة الكيفية فحسب ليزكي إدراك العقل برؤية العين ، ويطمئن القلب.

والدرس السادس يرتبط بالواقع الذي يعيشه الإنسان، فلكل كائن بشري قدراته الخاصة ومميزاته الذاتية، كما أن له نواقصه وعنده بعض القصور في مهام معينة، أو أعمال محددة، ومن ثمّ إذا وقع عليه الاختيار لتحمل مسئولية ما، أو كلف بعمل له احتياجاته وله مواصفاته فإن الواجب عليه أن ينظر في نفسه: هل هو كفء لهذه المهمة، وهل قدراته تساعده على أداء المطلوب منه، فإذا أدرك أنه في حاجة إلى معاونة فلا يتردد في طلبها حتى يتمكن من إنجاز ما كلف به.

وإذا كان هذا هو المطلوب في الواقع العام فإنه كان حاضرًا في الواقع المقدس، فعندما جاء التكليف بالرسالة لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ (طه:١٢-١٤)، تبع ذلك التكليف تكليف آخر في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ (طه ٢٥-٢٧)، ثم أتبع هذا الالتماس من الله بالتماس آخر الالتماس ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ (طه ٢٩-٣٢)، ثم قدم مبررات هذا ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ (طه ٣٣-٣٦).

والدرس الأخير الذي نتوقف عنده هو الذي نستخلصه من حوار موسى مع الخضر عليهما السلام، فقد وافق الخضر على أن يصحبه موسى شريطة ألا يسأله عن شيء من تصرفاته حتى يوضحها هو له، لكن موسى عليه السلام لم يستطع أن يصبر عندما رآه يخرق السفينة، ثم قتْل أحد الغلمان، ثم إقامة الجدار بعد أن رفض أهل القرية استضافتهما.

وبعد أن خرج موسى عليه السلام على الاتفاق الذي كان بينهما قرر الخضر عليه السلام أن تنتهي المصاحبة ، ثم أوضح له تفسيرًا لكل هذه التصرفات ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف ٧٩ – ٨٢) .

ويمكن النظر في هذه الأفعال التي قام بها الخضر (عليه السلام) بوصفها دليلًا على أنه كان على علم ببعض ما هو مسجل في اللوح المحفوظ، فعلمه من الله مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥)، ثم قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ (الكهف: ٨٢).

والدرس الذي يمكن استخلاصه من كل ذلك أن كثيرًا من الناس تقع لهم وقائع أو يشاهدون وقائع لا يتقبلونها أو يتعجبون منها؛ لأنهم لا يعلمون الحكمة في وقوعها، وهو ما حدث لموسى عليه السلام ، فلما علم الحكمة من وقوعها اقتنع.

* * *

بين الحوار والنقد الموضوعي(*)

إن الحوار يمثل قيمة إنسانية مهمة وملحة في حياة الإنسان، وأساس ذلك: أن الإنسان مدني بطبعه، واجتماعي بفطرته، ومن الضروري في حياة من فطر على ذلك أن يتواصل مع غيره ممن يعيشون معه في دوائر حياته قربًا وبعدًا، وقد يتفق مع غيره في الحوار إذا توحدت المصالح بينه وبين من يحاورهم، أو كان فيها نوع من التسامح أو التسليم، كما في صلة القربى غالبًا، وكما في السلوك الوظيفي الذي يتعين وفقًا لواجبات محددة، وبنود مقررة يتفق عليها الجميع ويحترمونها، وأمثال ذلك مما لا يقع فيه اختلاف بين المتحاورين.

وقد يختلف الإنسان في حواره مع الآخرين، فيكون لكل واحد منهم وجهة نظر يتمسك بها ورأى ينتصر له، ولا يريد أن يخضع لرأى الآخر، أو استمرار الحوار معه وينتهي الأمر إلى تمسك كل طرف بما يراه، ويمضي كل إنسان إلى غايته وهو مقتنع بما لم يقتنع به ذلك الذي انصرف عنه، ولم يصل معه إلى رأى متفق عليه.

وإذا كانت نهاية الحوار هي الاتفاق في الرأي أو الاختلاف فيه، فإن ذلك ليس هو المراد وحده من الحوار، بل الأهم من ذلك أن الحوار يمثل ضرورة إنسانية لا غنى لأي إنسان عنها.

(*) أ.د/ عبد الله مبروك النجار، عضو مجمع البحوث الإسلامية، وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

ويتمثل أثر ذلك الأمر في ذات الإنسان، حيث يمثل الحوار مع غيره أهمية فائقة في حياته، لأنه يبث من خلاله آماله، ويعبر فيه عن آلامه، ويشعر به أن له كيانًا ذاتيًّا محترمًا ووجودًا مقدرًا، لأنه إما أن يبدي علمًا يجب الاستماع له والاستفادة منه أو يقول رأيًا ينبغي الاستماع له والرد عليه، وهو في هاتين الحالتين وغيرهما يؤكد ذاته، ويعبر عن وجوده، ويشعر بأن له قيمة في الحياة، لأنه يفيد من خلال ما يقيمه من حوارات مع غيره ويستفيد.

البعد المجتمعي للحوار:

لا يقتصر أثر الحوار على تأكيد ذات الإنسان وإشعاره بأهمية دوره في الحياة، ولكنه يتعدى ذلك إلى كيان المجتمع الإنساني في مختلف دوائره وعلى كافة مستوياته الداخلية والوظيفية والدولية، لأنه في كل تلك الدوائر يمثل أساسًا للتماسك ومدخلًا لوحدة الصف واتحاد الكلمة، والوقوف في حل المشكلات على قلب رجل واحد، فيتعاون الجميع على حلها، وتتوجه كافة الطاقات الإنسانية إلى القضاء عليها، ولو لم تتحد الآراء في حل المشكلات التي تعترض حياتهم لتفرق جمعهم، وتبدد قوتهم، ولا يكون لهم من موئل غير الفشل أو الانكسار.

إن إهمال قيمة الحوار يعنى تجاهل أولئك الذين يتخذون القرارات المهمة لطاقات فعالة، وقوى هائلة يمكن أن تكون معينًا للناس في الوصول إلى ما يريدون، بل يضعون – بإهمالهم للحوار معهم، وتجاهل رأيهم – عقبة كئودًا في طريقهم للوصول إلى ما يريدونه من نجاح أو انتصار، كما يؤدي ذلك إلى شق

صفوف المجتمع وانقسامه إلى فريقين يكون كل منهما خصمًا للآخر وعائقًا دون وصوله إلى هدفه، وذلك هو المدخل للتنازع المؤدي للفشل، الذي نهى الله تعالى عنه بقوله عز من قائل: ﴿وَأَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ الله مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

ولأن الحوار هو أساس الوصول إلى الغايات المنشودة للمحبة والتواصل والتعاون على البر والتقوى، فقد ذكره الحق تعالى في كتابه الكريم، بل وحكاه عن نفسه مع ملائكته الأطهار وجميع خلقه من عوالم الخلق والكون، بل ومع الشيطان نفسه، كما حكاه عن أنبيائه مع أقوامهم، وحوار جبريل عليه السلام مع نبيه محمد ﷺ معلوم حينما جاءه رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يبدو عليه أثر السفر ولا يعرفه من الحاضرين أحد، ثم أخذ يسأل النبي ﷺ عن قضايا الدين العامة، وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، فكان يسأل والنبي ﷺ يجيب، وجبريل يجيب مبينًا عن الله حقائق تلك القضايا.

كما أن له صلة بالعدالة والوصول إلى معرفة الحقيقة في القضايا التي تحتاج إلى محاورة بين القاضي والمتهم، ليكون حكمه عن بصيرة فلا يبتعد عن الحق، ولا يضل في الوصول إلى الحكم بالعدل، وهنا يكون العدل ثمرة لحوار لا يخرج في حقيقته ومضمونه جادة الصواب.

وللحوار صلة وثيقة بالنقد العلمي والفكري والأدبي، وهذه الصلة – من وجهة نظرنا – تمثل أساسًا للحوار، لأن الحوار – غالبًا – ما يجر إلى النقد، والنقد

– غالبًا – ما يخرج عن إطار التقييم والتقويم ليدخل في متاهات التحقير والتنفير، وهنا يئول الأمر إلى ما لا تحمد عاقبته، ولا يسر مآله، ولهذا يكون من المهم بيان صلة الحوار بالنقد الفكري توخيًا لضبط معايير هذا النقد حتى لا يخرج عن هدفه المنشود.

وغالبًا ما يكون الحوار في أمر مختلف فيه، حيث تختلط وجوه المصلحة والمفسدة فيه على نحو يؤدي إلى التباس أمرها على كل متحاور، ومن ثم يكون الحوار وسيلة لأن يحيط كل طرف من المتحاورين فيها بما لم يستطع أن يكتشفه بنفسه، إذ بالحوار تتلاقى الأفكار وتتضح الرؤى وتظهر الحقيقة جلية، حيث يستفيد كل متحاور من رأى الآخر، أو يحيط علمًا من قوله بأن الأمر الذي يرد عليه الحوار ليس خالصًا له، بل إن لغيره فيه حقًا أو له فيه مدخلًا فيعيد نظره في القول به عليه أو الاقتصار على ما يخصه، ومن ثم يبدو أن غاية الحوار هي الوصول إلى الرأي الصائب أو الحق الواجب.

صلة الحوار بالشورى:

قد يكون الحوار بين طرفين بطلب أحدهما مشورة الآخر، وهنا يكون معنى الحوار غير متكافئ بين الطرفين ليختلف معنى الحوار عن الشورى، لأن غاية الشورى أن يهتدي طالب المشورة إلى الحق أو الصواب في القول والعمل.

وعلى ضوء ما ورد بشأن الشورى في الكتاب والسنة يمكن القول إن هدف الشورى – على نحو ما قرره الفقهاء والمفسرون – يمكن إرجاعه إلى نقطتين لهما أبلغ الأثر في حياة الناس على المستويين الفردي، والمجتمعي، وهما:

احترام الطاقة الفكرية الخلاقة في الإنسان، بالقدر الذي يضمن الوصول إلى أقوى الآراء نضجًا، وأكثرها وعيًا وفهمًا، وأقربها للحق والصواب، وكذلك المحافظة على وحدة الصف في الأمة، وجمع شملها حتى تستطيع أن تشق طريقها في الحياة وتحقق رسالتها على أكمل وجه، فالوصول إلى أحسن الآراء، والمحافظة على وحدة الأمة هما الهدفان المهمان من الشورى، وينبغي الإشارة إليهما وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران : ١٥٩)، وقوله ﷺ لأصحابه: "أشيروا أيها الناس عليّ"[١].

ومن الأهداف التي تضمن الشورى تحقيقها، المحافظة على وحدة الصف في الأمة، وجمع شمل أبنائها وتوجيه طاقتهم نحو العمل المثمر البناء، وذلك من خلال ما يكفله التعبير عن الرأي من إحساسه بالعزة والكرامة، وهذه قيم إنسانية تنطلق في ظلها الملكات إلى أقصى غاياتها، تفانيًا في سبيل الله والحرص على المصلحة العامة.

وبالموازنة بين الشورى والحوار نجد أن الشورى تختلف في مضمونها وغايتها عن الحوار، وأنها قد تكون بمقابل كما في المشورة العلمية أو الطبية أو الهندسية أو القانونية وأمثال ذلك، وإن كان من الواضح أنهما يتفقان في غاية واحدة هي الوصول إلى الرأي الصائب والتقارب والمحبة بين أفراد المجتمع.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (٣٩٤٤).

ارتباط الحوار بالنقد الموضوعي:

النقد هو:" إبداء الرأي في أمر أو عمل دون المساس بشخص صاحب الأمر أو العمل بغية التشهير به أو الحطِّ من كرامته، فإذا تجاوز النقد هذا الحد وجب العقاب عليه باعتبار صاحبه مرتكبًا لجريمة سب أو إهانة أو قذف على حسب الأحوال(١)، أو تقييم أمر أو عمل معين لبيان مزاياه وعيوبه"(٢).

فالنقد المباح يختلف اختلافًا جوهريًّا عن القذف، فالأول ليس فيه مساس بشرف الغير أو سمعته، وإنما هو تعليق أو حكم على تصرف أو عمل معين بدون قصد المساس بشخص صاحبه ، فالتمييز بين الشخص وبين عمله أو تصرفه ، هو الذي يفصل بين دائرة النقد المباح ، والقذف المعاقب عليه ، فإذا اقتصر الناقد على إبراز عيوب تصرف أو عمل معين دون المساس بشخص صاحبه كالنقد الموجه إلى قانون أو قرار معين، فلا تتوافر بذلك أركان جريمة القذف، ولا يعتبر حق النقد في تلك الحالة سببًا للإباحة.

والنقد يجب أن ينصب على الواقعة دون المساس بشخص صاحبها، إلا في الحدود التي يستلزمها التعليق أو الحكم على هذه الواقعة(٣)، فإذا تجاوز الناقد مستلزمات التعليق على الواقعة أو الحكم عليها إلى التشهير بصاحبها، فلا يكون حق النقد متوافرًا، وقد قضى تطبيقًا لذلك بأنه:" إذا تجاوز النقد الحد المقرر له، هو إبداء

---

(١) نقض ٢ نوفمبر ١٩٦٥م ، المجموعة ١٦-١٤٩-٧٨٧.

(٢) د/ فوزية عبد الستار، قانون العقوبات ، ص٥٨٤.

(٣) د/ شريف سعيد كامل ، جرائم الصحافة في القانون المصري ، ص٨١.

الرأي في أمر أو عمل دون المساس بشخص صاحب الأمر أو العمل بقصد التشهير به أو الحط من كرامته وجب العقاب عليه باعتباره مكونًا لجريمة سب أو إهانة أو قذف حسب الأحوال، كما قضى بأنه: "يشترط في النقد المباح أن ينظر فيه الناقد إلى الأعمال ويبحثها بتبصر وتعقل، ويناقشها ليظهر الصالح منها والطالح، لا أن يمس الأشخاص"(١).

فالأصل إباحة نقد الآراء والمذاهب السياسية والمؤلفات والمخترعات العلمية والأدبية والفنية، ولكن بشرط ألا يخرج ذلك النقد عما يقتضيه النفع العام ، وأن يكون مجردًا عن الهوى، فإذا كان الدافع إليه عوامل شريرة أو تحصيل مصلحة خاصة أو كان فيه تعريض بصاحب الرأي ، أو المذهب السياسي أو بالمؤلف أو المخترع أو أُريد به الغض من قدره والحط من كرامته والنيل منه ، فإنه يكون بذلك قد حاد عن استعمال الحق في الغرض المقصود منه(٢).

كما يشترط لقيام حق النقد أن يكون الناقد حسن النية، وحسن النية يظهر من خلال ما يبتغي الناقد للمصلحة العامة، بإبداء رأيه أو تعليقه على الواقعة محل النقد(٣)، وليس مما يتواءم مع المصلحة العامة أن يهدف الناقد إلى مجرد التشهير بالمجني عليه، ومع ذلك فإن النقد قد يشتمل على عبارات يدل بعضها على أن المتهم يستهدف منها تحقيق مصلحة اجتماعية، بينما ينم بعضها الآخر على أنه كان

---

(١) محكمة جنايات مصر في ٢٧ إبريل سنة ١٩٣٩م، المجموعة الرسمية ٤٠- ١٣٩-٥١٣.

(٢) نقض ٤ سنة ١٩٣٢م-، المجموعة ٢-١١-٣٩٧.

(٣) نقض ٢٣ يونيو سنة ١٩٧٥م - المجموعة ٢٦-١٢٧-٥٦٢.

يبتغي مجرد التجريح والتشهير، وفي هذه الحالة يوازن القاضي بين القصدين ويرجح الغالب منهما.

النقد الموضوعي وضوابطه في الفقه الإسلامي:

إن النقد يعتبر نوعًا من النصح الصادق الذي يجب على من يقدر عليه، وتتوافر فيه شروطه، وهي العلم والأمانة، فهو واجب أكثر منه حقًا، ومما يدل على ذلك من سنة النبي ﷺ ما روي عن أبي رقية تميم بن أوس الداري (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال:" الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١).

والنصيحة لغة من النصح: وهو الخلوص من أي غش ، يقال: عسل ناصح، أي خالص، والتوبة النصوح: الصادقة التي لا يرجع التائب فيها إلى ما تاب عنه، أو أن لا ينوي الرجوع (٢).

وفي اصطلاح الفقهاء: هي كلمة جامعة تعني حيازة الحظ للمنصوح له(٣)، والنصح لله الذي يوجب الإيمان به، ونفى الشرك عنه، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه تعالى عن جميع أنواع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معاصيه(٤)، والنصح لرسوله (صلى الله عليه وسلم) باتباع سنته

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأدب، باب في النصيحة، رقم (٥٥).

(٢) القاموس المحيط ١/ ٣٦١ وما بعدها.

(٣) سبل السلام للصنعاني، ٢/ ٦٩٦.

(٤) المرجع نفسه، ٢/ ٦٩٧.

وملازمة هديه، والنصيحة لأئمة المسلمين؛ وإعانتهم في تحقيق مصالح الناس، وإن أريد بأئمة المسلمين: العلماء، فنصحهم بقبول أقوالهم، وتعظيم حقهم والاقتداء بهم، والنصيحة لعامة المسلمين: بإرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكفّ الأذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه[1].

والنقد ما هو إلا نوع من النصح للمنقود لتوجيهه إلى ما يراه الناصح صوابًا في أمور الدين أو الدنيا.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يجوز تعيين الموصوف بما يحدد شخصه على نحو يؤدي إلى احتقاره بين الناس، فإذا كان النقد سيؤدي إلى الازدراء بشخص، فإنه لا يجوز أن يُذكر اسمه، وإنما يجب أن يتقيد النقد بالعمل دون أن يتعدى نطاقه إلى شخص فاعله، ومما يدل على ذلك منهج القرآن الكريم في الحكاية عن أقوال الناس وأعمالهم، حيث يذكر تلك الأعمال دون تحديد لأشخاص فاعليها، خاصة إذا كانت تلك الأعمال من شأنها أن تجعل فاعلها في وضع يُحتقر فيه، فإن كان لابد من الإشارة لفاعل الحدث حتى يحدث تمام البيان، فليكن ذلك بالتلويح لا بالتصريح، وبالتورية دون اللفظ الصريح، وقد حكى القرآن الكريم أحوال المنحرفين، والمجرمين مئات المرات بالأقوال والأفعال دون الإشارة للأسماء والأشخاص.

وكذلك تواترت السنة النبوية على هذا الأمر، فلم يذكر النبي ﷺ اسم شخص

---

(١) المرجع نفسه، ٢/ ٦٩٩.

في موضوع يدعو لاحتقاره أو لفت الأنظار لشخصه في موضع يؤدي إلى ذلك، والمعهود منه ﷺ أن يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا"، أو "ما شأن قوم يقولون كذا"، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ، فاشتد قوله في ذلك حتى قال:"ولينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم""(١).

ويستبين من هذا الحديث وغيره أن منهج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نقد أفعال الناس لم يكن يتعدى نطاق الفعل إلى شخص الفاعل، وحتى لا يكون نقده جارحًا أو خادشًا لعرض المنقود، وهو ما يجب أن يكون في مثل تلك المواطن ومنها النقد، فإن كان المنقود معروفًا، فليكن النقد بعبارة حسنة وأسلوب طيب لا ينال من عرضه ولا يمس شرفه واعتباره.

ومن المهم أن تراعى ضوابط النقد أثناء ممارسة الحوار حتى لا يخرج أطرافه عن مساره الصحيح ويتحول إلى نقد هدَّام وسباب وصدام، فلا يحقق الغاية المرجوة منه، ولهذا كان الربط بين ممارسة الحوار والالتزام بضوابط النقد أمرًا مهمًّا للوصول بالحوار إلى غايته المرجوة.

وختامًا نستخلص من ذلك ما يأتي:

أولًا: أن الحوار بين الناس يعتبر مدخلًا للاستقرار والازدهار على مختلف المستويات الفردية والاجتماعية والوطنية والدولية، وأن هذا المدخل يمثل – مع

---

(١) أخرجه مسلم، رقم (٤٢٩).

ذلك – سياج حماية ووقاية من التهميش وإهدار كرامة الإنسان وعقله وفكره وما حصَّله من تجارب حياتية وعلمية لا يكون من الصواب أهدارها وتجاهلها، ثم المضي بالرأي الفردي الذي لا يؤمن بالحوار مع الآخرين إلى الاستبداد والتفرق، ثم الصدام الذي يستنزف قدرات الأفراد والمجتمعات ويؤدي إلى إهلاك البلاد والعباد.

ثانيًا: أن الحوار يجب أن يقوم على هدي مبادئ النقد الفكري والثقافي، تلك المبادئ التي تمثل سياج أمن وتجاح للوصول بعملية الحوار إلى هدفها المنشود، وأن من أهم تلك المبادئ أن يكون الحوار محددًا وموضوعيًّا، ومقتصرًا على ما يبدي من أقوال وآراء دون المساس بأشخاص قائليها أو تحقيرهم .

ثالثًا: أن أدلة الشريعة الإسلامية في الكتاب والسنة تدل على مشروعية الحوار، بل ووجوبه باعتبار أنه وسيلة للوصول إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل وسببٌ لمنع التقاتل والتنازع، ومدخل لتقدم البلاد وخير العباد .

رابعًا: أن الارتباط بين الحوار وضوابط النقد الفكري والثقافي وثيق، لأن تلك الضوابط هي التي تضمن جدِّية الحوار وموضوعيته وتجرده لخدمة الحق والعدالة وتنأى به عن مزالق التصارع والبعد عن احترام تلك الحقوق.

خامسًا: أن أحكام الشريعة الإسلامية في كفالة حق الحوار وضمانات وصوله إلى الغايات الإنسانية الرشيدة التي تبتغى من ورائه، وتتوافق مع ما هو مقرر في المواثيق الدولية والقوانين الوضعية، ومن ثم يمكن القول بأن المبادئ

المقررة لإنجاح الحوار في جميع مستوياته وكافة درجاته مما لا يختلف فيها التشريع الوضعي عن التشريع الإسلامي، وبالتالي فإن كل وسيلة تؤدي إلى إنجاح الحوار تعد مقررة في شرع الله وقوانين العباد.

* * *

عقلانية الحوار وعلاقتها بقضايا التجديد(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن "عقلانية الحوار" أمر مهم ومطلوب في هذا الزمان؛ حيث إن الاعتماد على العاطفة نتج عنه آثار تبلغ حدًّا في الكثرة منها ما هو مقبول ومنها ما هو مرذول، ولا أريد بالعقلانية هنا ما تعارف عليه الغرب من استخدام مصطلح العقلانية بمعناه المرفوض من قبل علماء الإسلام، حيث ذهب هؤلاء إلى إعلاء قيمة العقل على النص بل إلى رفض النص جملة وتفصيلا بعد أن سيطر النص على العقل والفكر في العصور الوسطى، فقدس النص وحرم على العقل التفكير فيه إلا لرجال الدين، ومن فكر حكم عليه بالهرطقة، ومن أعمل عقله فأنتج ما يخالف النص حكم عليه بالحرق مثل "نيوتن وكوبر نيكوس وجاليليو" فكان السلطان للنص بلا منازعة حتى ولو كان النص من وضع بشري مصبوغ بصبغة دينية، ثم كان التغلب للعقل فجأة فأحدث ثورة في عالم اكتشاف السنن الإلهية دون أن ينسب هذه السنن إلى من سنها بل رآها في كثير من الأحيان قوانين طبيعية فكانت الثورة الصناعية والتي أتت بثمار إيجابية شتى جعلت الناس يضيقون ذرعًا بجمود الفكر اللاهوتي فضلا عن السلطان الذي

(*) أ.د/ بكر زكي إبراهيم عوض ، العميد السابق لكلية أصول الدين بالقاهرة.

زعمه رجال الدين لأنفسهم من حيث: ضرورة الاعتراف وبيع صكوك الغفران فأدرك الناس ثمار العقل حلوة المذاق سائغة الشراب على ثمار النص مرة المذاق حميمة الشراب.

عقلانية المسلمين والحوار:

جمهور المسلمين لا يعرفون العقلانية بمفهومها الغربي ولا يتتصورون لها كمهد للتفكير الإنساني والمعرفة البشرية كما انتصر رواد المدرسة العقلية في الغرب اعتمادًا على فكر سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من عصر ما قبل الميلاد.

وإنما العقلانية عند المسلمين: هي كلمة مستحدثة تعني التفكير العلمي المنضبط بضوابط الشرع ولا يمكن لمسلم عقلاني يعمل عقله في النص رغبة في الإبداع الفكري أن يدعي السمو على النص أو يقول إن العقل حاكم على النص باستثناء من ذهب إلى هذا من الفرق الإسلامية، وإنما يرى العقلانيون المسلمون أن العقل وعاء النص وأن النص زاده وزواده ، وأن العقل مصباح وأن النص هو الزيت الذي يضاء به هذا المصباح، وأن العقل ليس جامدًا بل هو وعاء للنص وهو مشغول به يمتص رحيقه، وأنه يقدم هذا الرحيق عسلًا مصفى في صورة الفكر الذي يطرحه هذا أو ذاك من علماء الأمة.

ولما كان العقل وعاءً للنص فقد جعله الله قيدًا للتكليف، ومن غاب عقله سقط تكليفه وتتفاوت الأحكام الشرعية بتفاوت حال العقل حال التعامل مع هذه الحالة بين جنون مطبق وجنون متقطع، وبين سفه في العقل وسفه في الفكر.

هداية القرآن والسنة إلى عقلانية الحوار:

كثيرة هي الحوارات الواردة في القرآن والسنة وليس بالإمكان حصرها ولكني سأشير إلى شواهد من نصوص القرآن والسنة تبين إلى أي مدى كان طلب العقل والاحتجاج به موجودًا في هذا الحوار، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- عندما أمر الرسول ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم (عليه السلام) زعم أهل الكتاب أن إبراهيم (عليه السلام) كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، فنزل القرآن يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران:٦٧)، ولما طال جدلهم حول دينه (عليه السلام)، وكل يقطع بأنه كان على دينهم (اليهودية والنصرانية) نزل القرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥).

٢- عندما أنكر اليهود نزول الوحي على رسول الله ﷺ وخانهم التعبير فقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، نزل القرآن يخاطب عقولهم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ الله عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ الله ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ (الأنعام: ٩١).

٣- عندما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه كان رده عليه ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ (المائدة: ١٨).

إن الخطاب القرآني كله موجه إلى العقل ومنه ما يبعث العقل على التفكير والتأمل ومنه ما يدفع العقل إلى القياس، ومنه ما يحتكم إلى البديهات ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥ -٣٦). وحسبنا الآيات التي دعت إلى التأمل والتفكر والتدبر والنظر والسير والآثار المترتبة على إعمال العقل إذا سلم من المؤثرات الخارجية، وكم في القرآن الكريم من آيات هي قوانين علمية اكتشفها العقل بعد طول بحث وعناء ثم قطع بأن الكون به قوانين تدل على صنعة صانع، وحكمة حكيم، وتقدير مقدر، ولطف لطيف، وخبرة خبير، وكلها قوانين فوق طاقة البشر أجمع مثل: قانون الرعاية، قانون العناية، قانون الغاية، قانون الطفو، قانون الكمية والمقدار، قانون الجاذبية، قانون التوازن وغيرها من القوانين الملزمة للعقل بالإجابة على هذا السؤال: هل هذه القوانين خبط عشواء أم أنها تقدير مقدر وتدبير مدبر؟.

كثيرًا ما كان الرسول ﷺ يستخدم العقلانية في الحوار وشواهد ذلك كثيرة نذكر منها صورًا للإيضاح والتذكرة.

عندما شكا إليه رجل أن امرأته جاءت بولد على غير صورته، ففي الحديث "جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْـرٌ، قَالَ : «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ : إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا ، قَالَ : «فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟»

قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْق"[1].

وكثيرة هي الأسئلة التي كانت تطرح لتحريك العقل من المستمعين مثل الحديث بالسؤال عن الشجرة التي تشبه المسلم ، وسؤال المرأة عن زوجها قائلًا: الرجل الذي بعينه بياض، وغيرها الكثير.

عقلانية الحوار في الماضي :

الحوار هو أساس الإقناع في الدعوة وطرق الإقناع كثيرة أخصها بالذكر: الجدل – الحوار– المناظرة – الأمثال وغيرها .

وليس الإكراه سبيلًا من سبل الإقناع ولا يجوز شرعًا استخدامه بأي صورة من الصور لأنه سيفضي إلى النفاق لا محالة ، وفيه مخالفة صريحة لقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ (يونس:٩٩)، وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ (الشعراء: ٤).

ولكن الإسلام اعتمد أسلوب الحوار والجدل وهو أحد صور الحوار، وضبط ذلك بآداب واجبة الاتباع تتجلى فيه، منها:

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ، ج (٢/ ١١٣٧)، حديث رقم (١٥٠٠).

١- اختيار الموضوع المشترك ابتداء بين الطرفين أو مجموعة الأطراف سواء أكان الاختيار من قبل المسلمين أم من قبل غير المسلمين، ويمثل الحالة الأولى قول الحق سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤) فالمشترك بين الجميع هو الإيمان بالله، ووجوب عبادته وما بقي فهو مختلف فيه، وهناك صور كثيرة لمثل هذا اللون من الحوار.

٢- وقد يكون الحوار من قبل المشركين ابتداءً كما في قصة مشركي مكة وطلبهم من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم يوما وأن يعبدوا إلهه يومًا، وكان الرد واضحًا حاسمًا صريحًا في سورة الكافرون، ومثل هذا ما وقع من وفود شتى كوفد نصارى نجران، وتغلب وعبد القيس وما وقع من بعض الأفراد إثر نزول بعض آيات القرآن كقول الحق سبحانه ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله﴾ (التوبة: ٣١)، قال أحدهم: ما عبدناهم، فكان الرد أليسوا يحلون لكم ويحرمون عليكم؟ فذلك ربوبيتكم إياهم.

عقلانية الحوار في العصر الحاضر:

كثيرًا ما كان الحوار منصبًّا على القضايا العقدية في الماضي، وفي العهد الحاضر اتخذ الحوار الرسمي أو بين المؤسسات صورًا جديدة خلت من قضايا الاعتقاد الديني واتجهت إلى قضايا الاعتقاد العام دون تناول مفردات العقيدة، ففي الماضي كان الحوار يتعلق بقضايا خاصة ببعض المعتقدات، وفي أيامنا هذه

تحول الحوار إلى المصلحة العليا للوطن فكان الحديث عن الآثار الإيجابية للإيمان في مواجهة الإلحاد وعن المواطنة في مواجهة الطائفية، وعن الجوانب والنزعات الإنسانية في مواجهة الإهمال أو الازدراء، وظهر المشترك بين الجميع في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع.

ضرورة الحوار العقلي من أجل التجديد في الفكر الإسلامي والخطاب الديني:

القضية محل التناول بالبيان الآن إما أن يكون لها أصل في تراثنا أو لا أصل لها، ونحن نتكلف لنستنبط لها أصلًا، أو بدا التكليف مرفوضًا فأصبحنا أمام وقائع جديدة لا سابق لها في تراثنا الفكري.

وما له أصل في تراثنا منه ما يقبل ومنه ما يرد، وليس الرد إلا ناتج إعمال العقل في النصوص المعول عليها في الاستشهاد وكذلك سياقات الكلام الواردة، وهل الرؤية فردية أم جماعية وما أدلة الإقناع عند إرادة التجديد؟ وسوف أضرب بعض الأمثلة التي تحتاج إلى عقلانية في الحوار حتى نجعل الإسلام مواكبًا للعصر في ضوء بعض القضايا المتصلة بالعقيدة وأخرى بالشريعة وثالثة بالعادات والتقاليد الاجتماعية، ورابعة بالفكر الإسلامي المتصل بالسيرة النبوية.

أولًا: عقلانية الحوار في مجال الاعتقاد:

النصوص المثبتة لوجود الله ووحدانيته والحديث عن ذاته وصفاته تعتمد على الخطاب العقلي ، وعلماء الكلام قد بذلوا كل جهد ممكن في جمع هذه الآيات، وتناولها بالبيان جهابذة علماء التوحيد عبر تاريخنا الإسلامي .

ورأينا أئمتنا وخاصة رائد المدرسة العقلية (أبا حنيفة النعمان) لا يستخدمون النص في حوار الملاحدة أو الزنادقة وإنما يستخدمون الأقيسة العقلية والحوارات الفكرية ويستخرجون البديهات العقلية ويحركون الفطرة الكامنة في الصدر من خلال أسئلة تطرح على الملحد أو المتشكك بشأن الذات الإلهية كما في قصة السفينة التي تسير بلا ملاح، والقصر الذي بُني بلا بنّاء ، وروايات كثيرة عنه، كل الحوارات فيها عقلية .

وملاحدة العصر في بعض الأحيان قد استشهدوا ببعض العلماء الذين وقفوا عند حد اكتشاف السنن والقوانين دون النظر إلى من سنها أو من قننها، غاضِّين الطرف عن المقادير والكمية والتوازن والإحلال والتجديد رادين ذلك كله إلى المادة أو الدهر أو الصدفة أو الأحداث الكونية الكبرى، موظفين العلم للغواية لا للهداية ناسين في نفس الوقت العلماء الذين وظفوا العلم للهداية لا للغواية أو الذين عدلوا عن الإلحاد إلى الإيمان بعد أن تبين لهم إتقان الصنعة ودقة التركيب والخلل المترتب على أي خلل آخر في التكوين فتجلى لهم قول الحق سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت: ٥٣)، هذا النوع من البشر بحاجة إلى خطاب عقلاني ابتداء من خلاله يتم استخدام المنتج العلمي الحديث والقوانين والسنن التي يستقيم بها أمر الكون من ناحية وتكوين الإنسان وتركيبه من ناحية ثانية.

ثانيًا: عقلانية الحوار في تجديد بعض قضايا الفقه الإسلامي:

أكثر قضايا الفقه معلومة وأصولها ثابتة بالقرآن والسنة ولا ينكر ذلك إلا مكابر

وسواء قلت النصوص أو كثرت في القضية الفقهية فمن المعلوم أن لكل قضية فقهية أصلًا يتم الرجوع إليه، وما كان ناتج الإجماع أو القياس أو عمل الصحابة أو عمل أهل المدينة أو شرع من قبلنا أو الاستحسان أو المصلحة المرسلة... إلخ، فكلها ناتج نصوص الوحي.

وإذا كنا لا نستطيع إنكار أصل ثابت بالقرآن عن طريق التأويل وبالسنة من طريق التصريح كما في صدقة الفطر والتي طلب لها الدليل من القرآن من قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ (الأعلى: ١٤، ١٥)، فقالوا: المراد بالزكاة صدقة الفطر والصلاة صلاة عيد الفطر، وثبوتها بالسنة صريحًا من طرق شتى وردت بطريق الإخبار "فَرَضَ رَسُولُ الله ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ"[(١)]، وهناك روايات أخرى ذكر فيها أصناف غير هذه كالزبيب، والبر أو القمح...إلخ .

ولا زلنا حتى يومنا هذا نرى من يمنع صدقة الفطر من غير المنصوص عليه ومن توسع منهم قال من غالب قوت البلد باذلين كل جهد ممكن في رد ما ذهب إليه الإمام أبوحنيفة من جواز إخراج القيمة مراعاة لمصلحة الفقير.

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَرْضِ صَدَقَةِ الفِطْرِ، حديث رقم (١٥٠٣).

كيف تفهم الأحاديث النبوية فهمًا صحيحًا في إطار واقعنا المعاصر:

إذا كنا بصدد تجديد الخطاب الديني فإن هذا يعني إعادة فهم بعض النصوص من القرآن والسنة بما يتناسب ولغة العصر، وظاهر النص وروح النص، والغاية من التشريع، والفهم الحديث أو الجديد سيساعد المفتي على ذكر الحد الأدنى لصدقة الفطر ويفتح باب الزيادة لمن كان ميسور الحال، والدليل على هذا أن الأصناف التي وردت في الأحاديث النبوية متفاوتة الأسعار بل إن صاع القمح كان يعدل صاعين من التمر أو الشعير ولم يكن صاع البر يعدل صاع التمر أو الزبيب، ومثل هذا الأنواع الأخرى فنحن أمام موارد للزكاة منها الغالي ومنها الرخيص.

وإذا كان الفرد مطالبًا بما يعادل ٢ كيلو أو ٢.٥ كيلو أو ثلاثة أو أربعة على خلاف بين الفقهاء فيما تجزئ الكيلة عنهم، فإن ذلك يساعد على رعاية حال السائل عن مقدار الزكاة والإجابة بحسب اليسار والإعسار.

إن علماء الأزهر والأوقاف لا يعرفون إكراه الناس على رأي واحد وإنما يقدمون الآراء المتعددة المعتبرة فيما توفر عليه الدليل ونتج عن اجتهاد معتبر، وإذا كانت بعض النصوص النبوية عبّرت بالمحسوس في صدقة الفطر فإن النصوص الأخرى التي بينت الغاية من الصدقة هي روح التشريع "الغنى عن السؤال في يوم العيد"، ولا يمكن لمسلم أن يعطل صدقة الفطر وإنما الذي يمكن أن نقوله:

إن إخراج صدقة الفطر مالًا خير من إخراجها قوتًا؛ لأن الفقير إن أخذ المال وكان بحاجة إلى القوت اشتراه على اختلاف نوعه، وإن كان بحاجة إلى

سداد كهرباء أو فاتورة مياه أو غاز أو سداد دين أو أجر دروس للأولاد أو علاج أو غير هذا، فإن المال أنفع له، ولا تنفع الأصناف المذكورة مع ضرورات الحياة اليوم في المدن، فوجب بقاء أصل التشريع مع إعادة النظر في إخراج القيمة لخيريتها بدلًا من الأصناف المذكورة، ويرحم الله أئمتنا أجمعين والإمام أبا حنيفة رائد المدرسة العقلية، والتي جمعت بين الروح والجسد في التعامل مع النصوص فكان الناتج أقرب لحسن عرض الإسلام، وغفر الله لأناس عابوه وانتقدوه وألفوا كتبًا ضد ما ذهب إليه ولا تزال فتاويهم في موقع الصدارة في بعض الديار بحرمة إخراج صدقة الفطر مالًا .

إن ظواهر النصوص أجساد وإن حياتها بالروح الكامنة فيها، فإذا فصلنا بين الجسد والروح تعذر تحقيق المراد، وظلم العباد وأصبحت الشريعة في واد وواقع الناس في واد، وما كانت شريعتنا الغراء بمعزل عن حل مشاكل المسلمين فضلًا عن أن تكون مصدرا لمشاكلهم بسبب تحجر العقول وقسوة القلوب والإعراض عن رأي كل موهوب ونصب محاكم التفتيش لكل مجتهد رشيد أتى برأي سديد فضاق المقلدون به ذرعًا لأنه رأي جديد .

أثر هذا الفهم العقلاني في عصرنا الحاضر:

إذا صححنا المفاهيم حول بداية الدعوة وأنها لم تكن سرية في يوم من الأيام، فإن هذا سيغلق الباب على كثير من الجماعات والجمعيات التي تجعل السرية نقطة البدء لها، وأن دعوى السرية في مرحلة التكوين حتى تأتي مرحلة

التمكين دعوى لا أساس لها من الصحة ، وبهذا يغلق الباب على المتطرفين الذين دعوا إلى التكوين السري أولا ثم في مرحلة التمكين يكون السيف والقتال.

الآثار الإيجابية للحوار العقلاني في واقعنا المعاصر:

إن العقلانية في الإسلام لا تقف عند حد النص دون فهمه والاستنباط منه والتطبيق العملي لهذا الفهم وإلا كان كما قيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ الله وَالله لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥).

وعدم إعمال العقل في فهم النص يعطل غايات شتى كامنة في النص ويكفي أن التأمل في الآيات القرآنية من فروض العين على أهل الاختصاص على أن يقدموا ناتج تأملهم وتدبرهم للآخرين، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ (النساء: ٨٢)، ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢) إن المطالبة بإعادة فهم بعض النصوص من أهل الاعتدال والاتزان تختلف جملة وتفصيلا عن المطالبة بتحليل النص من الناحية التاريخية والنبوية والزمان والمكان والإنسان بما يفضي إلى انتهاء صلاحية النص، وأما العقلانية الإسلامية كمصطلح حل محل التفكير الإسلامي فالمفكرون المسلمون يرون أن النص كامن بالخيرات ، مملوء بالأسرار ، به كنوز لا يعلمها إلا الله من حيث المنتهى، ودورنا

هو الاستنباط من النص لزماننا كما استنبط من سبقنا لزمنه، وسوف يترتب على هذا من الفوائد ما يلي:

١- إعادة فهم بعض النصوص فهمًا سليمًا وبخاصة النصوص التي اعتمدت عليها الجماعات المتطرفة سواء أكانت في القرآن أم في السنة مثل آيات الولاء والبراء وآيات السيف والسلم، وآيات الحكم والحاكمية، وآيات تكفير المجتمع - كما يزعمون-ويلحق بهذا الأحاديث النبوية التي تناولت الحديث عن السيف والرزق تحت ظل السيف وقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، والحكم بالكفر على تارك الصلاة، واستحلال دم المخالف وماله وعرضه ، وإحياء سنة الاغتيال - كما يزعمون- بحق رجال الشرطة والجيش.

٢- إبطال كثير من المفاهيم المغلوطة ونشر المفاهيم الصحيحة وبخاصة إذا بُنِيَ الفهم المغلوط على الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية .

٣- إبطال المفاهيم السيئة والأحكام الجائرة عند الكثيرين، ورد الفتاوى التي تأخذ بظاهر النصوص جملة وتفصيلًا دون إعمال العقل أو النظر والفكر فالحكم الصريح بكفر تارك الصلاة هكذا دون اعتبار للترك العمد، أوالترك كسلًا، أوالترك مع الإقرار، أو الترك مع الإنكار، ويلحق بهذا من أفطر في نهار رمضان ومن لم يؤد الزكاة والحج...إلخ.

٤- تحسين صورة الإسلام محليًّا وعالميًّا وذلك بقبول العلم الحديث في بعض القضايا دون الوقوف عند حد ما سبق ، فزراعة الأعضاء والتبرع بالدم

وتخصيب البويضة بالطريق المشروع وإثبات النسب من طريق التحليل الدقيق... إلخ، كل هذا مرفوض من النصيين أو أغلبهم، مقبول من العقلانيين بحسن فهمهم للنص وقدرتهم على الاستنباط منه.

٥- رفع الحرج عن الكثيرين في كثير من شئون الحياة كالمعاملات البنكية والتأمين على السيارات والسفن والطائرات والبنايات وغيرها من صور التأمين الأخرى وفق الضوابط المقبولة.

٦- إقامة الدليل على أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأن الشريعة الإسلامية قد وسعت حياة الإنسان، وقادرة على أن تقدم له ما يهديه في كل عصر ومصر في ضوء قواعد التيسير العامة في القرآن الكريم، وفي ضوء الحديث النبوي: "أَنْتُم أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"(١).

٧- نقدم تراثا لمن يأتي بعدنا، فيكون التواصل الحضاري بدلًا من الانقطاع؛ لأن المعرفة تراكمية، وما لم نترك بصمة فيها سيهملنا التاريخ ونكون في طي النسيان.

* * *

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (٤/ ١٨٣٦)، حديث رقم (٢٣٦٣).

بين عقلانية الحوار وقضايا التجديد (*)

إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ولما كانت كذلك كان التجديد لازم من لوازمها بحكم تغير الأحوال والأوقات والنوازل، وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"(١)، وكان من حكمة التشريع أن تكون نصوص الشرع حمَّالة أوجه، فجاءت النصوص باللسان العربي المبين، وهو أوسع الألسنة، وقد استقرَّت عند علمائنا قاعدة : "النصوص متناهية والوقائع لا متناهية".

وقد صنَّف علماء الأمة مصنفات في علوم العقل لتكون ضوابط في النظر والاستنباط، كما صنَّف علماء الأمة مصنفات نفيسة في علم الكلام، وآداب البحث والمناظرة، وأدب الحوار، وزخرت مصنفاتهم بتجليات تلك العلوم تطبيقًا عمليًّا، ولقد كان تعانق العقل والنص السبيل الأعلى للتجديد في الفكر الديني في كل زمن.

ومما لا شك فيه أن نصوص الوحي كتابًا وسنة، والعقل الصحيح استنباطًا وفهمًا وحوارًا، هما الطريق السوي في بنية هذا الشرع الحنيف ، وبيان معالم

(*) أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد، رئيس جامعة الأزهر سابقًا، عضو مجمع البحوث الإسلامية، عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير، حديث رقم ٢٧٥٥.

الإسلام، وحينما وقفت طائفة عند النص وحده دون استصحاب العقل في النظر بعد اكتمال علوم الوسائل؛ ضلَّت طريق الصواب إذ لم تلتزم بالقواعد التي قررها أهل العلم من ضرورة إعمال العقل.

والذي يطالع تراثنا الرائع يجد فقهاءنا كتبوا الفقه في كل عصر بما يلائم الأحوال مكانًا وزمانًا وبيئة، ولو لم يكن لهم هذا الطريق لبقي الفقه مذ كتبه الأوائل، ولم تجد لمستجدات الزمان واختلافات الوقائع والأحوال مكانًا في الفقه الإسلامي، ومن هنا استقرت لديهم قاعدة : " تغير الأحكام بتغير الأزمان والأماكن والأشخاص". كما استقرت عند القوم قواعد النظر في النص الشريف قرآنًا وسنة.

العقل والنقل في الإسلام متعانقان لا متعاندان:

بيّن علماء الأمة الراسخون أن العقل والنقل متعانقان لا متعاندان، وأن بينهما تكاملًا، قال الإمام أبو حامد الغزالي: "اعلم أن العقل لا يُهدى إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأسِّ والشرع كالبناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن له أس، والعقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ الله نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ الله مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (المائدة: ١٤- ١٦)، فالعقل كالسراج والشرع كالزيت

الذي يمده، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج وما لم يكن سراج لم يضئ الزيت، وعلى هذا نبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ۞الله نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي الله لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ الله ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَالله بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (النور: ٣٥)، فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان، بل متحدان، ولكون الشرع عقلًا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ (البقرة: ١٧١)(١).

ورحم الله الإمام محمد عبده إذ قال: والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد لا دين تفريق في القواعد، فالعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه"(٢).

العقل والحوار في الإسلام:

الإسلام يقدّر العقل أيّما تقدير ، ويأبى أن يُفْرضَ عليه أمرٌ، حتى لو كان ذلك الأمر حقًّا، يجلّي ذلك بوضوح قول الحق سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن

---

(١) جدل العقل والنقل ١/ ٤٨٠:٤٨١).

(٢) رسالة التوحيد للشيخ/ محمد عبده ، ص ١٤.

﴿كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (هود: ٢٨)، أي: لن نلزمكم بها مع كونها حقًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقد بين لنا القرآن الكريم ارتكاز الحوار على العقل في قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ (سبأ: ٤٦).

وفي القرآن الكريم حوارات كثيرة في أكثر من موضع الارتكاز فيها على العقل، نورد من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ الله ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ الله يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَالله لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة: ٢٥٨)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأنعام: ٧٦–٧٩).

يقول أبو حامد الغزالي: وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار، فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا ۚ

فَسُبْحَٰنَ الله رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وفي النبوة قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ الله إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ : (البقرة: ٢٣)، وفي البعث قوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٩)، وغير ذلك من الآيات والأدلة [1].

اختلاف التنوّع أثر حوار العقل مع النص :

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وهذا اللسان كما وصفه سيدنا الإمام الشافعي في الرسالة قائلًا: ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع ألفاظه إنسان غير نبي ، والأدلة الشرعية وقعت بهذا اللسان المبين ، والخلاف فيما ورد ظنيّ الدلالة معتبر إذا صدر من أهل الاجتهاد، وظنية الدلالة إنما جاءت من طبيعة اللغة، كالخلاف في معنى الباء في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة:٦)، فالباء تحتمل عدة معان وكلها معتبر: الابتداء والإلصاق والتبعيض والتوكيد، فوقع الخلاف فيما يمسح من الرأس إما الربع أو جزء من الرأس أو كل الرأس.

وقوع الاختلاف بين الصحابة في عصر النبي ﷺ:

جاء في صحيح البخاري من حديث ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٣٥٠.

يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ العَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[1]، وواضح جلي أن بعضهم حمل النص على ظاهره، وبعضهم تأوّل النص وقرن قول النبي ﷺ بالقرآن العظيم: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ الله قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ (النساء: ١٠٣).

ومنه أيضًا ما رواه أبو داود في سننه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ، فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا، ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ فَأَعَادَ أَحَدُهُمَا الصَّلَاةَ وَالْوُضُوءَ، وَلَمْ يُعِدِ الْآخَرُ، ثُمَّ أَتَيَا رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ: "أَصَبْتَ السُّنَّةَ وَأَجْزَأَتْكَ صَلَاتُكَ"، وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: "لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ"[2].

قال السمعاني: «فأما الذي يسوغ فيه الاختلاف وهي فروع الديانات إذا استخرجت أحكامها بأمارات الاجتهاد ومعاني الاستنباط، فاختلاف العلماء فيه مسوغ، ولكل واحد منهم أن يعمل فيه مما يؤدي إليه اجتهاده»[3]، فالخلاف

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (٥/ ١١٢/ ح:٤١١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب: الطهارة، باب: في المتيمم يجد الماء بعد ما يصل في الوقت (١/ ٩٣) رقم: ٣٣٨.

(٣) قواطع الأدلة في الأصول ٢/ ٢٣٦.

السائغ المقبول يكون في المسائل التي لم يرد في شأنها نص قاطع في ثبوته ودلالته، وذلك بسبب كونها من المسائل التي ورد فيها نص ظني الدلالة أو ظني الثبوت، أو من المسائل التي سكت عنها الشرع، أو المستحدثة بعد انقطاع الوحي.

فهذا الاختلاف مقبول لأنه لا يخالف نصًّا قطعيًّا أو إجماعًا مرعيًّا، ولا يهدم أصلًا ولا مقصدًا من مقاصد الشرع [1]، فيجب حسن الظن بالعلماء، والتزام الأدب في الحوار، وعدم الإنكار على المخالف.

قاعدة: "لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه"من نتائج حوار العقل مع النقل: علم قواعد الفقه الذي يعد من أعظم العلوم العقلية التي أنتجتها عقول علمائنا، وكذلك علم مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلم أصول الفقه، وكلها من العلوم التي تبرهن عمليًّا على صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان إذ هي شريعة عالمية، ومن علم قواعد الفقه القاعدة الخامسة والثلاثون في الأشباه والنظائر للسيوطي، وقد عبر عنها بعدة تعبيرات أشهرها «لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه» ولها صياغات أخرى: (لا إنكار في مسائل الاجتهاد ــ الإنكار لا يلزم في محل الاجتهاد إذا كان الاختلاف في الفروع ــ لا إنكار في مسائل الاجتهاد إلا إذا ضَعُف الخلاف ــ لا إنكار في مسائل الخلاف ــ لا نكير في مختلف فيه)[2] هذه القاعدة محل اتفاق عند علماء المذاهب الأربعة وغيرهم، ويستدل عليها بالحديث الصحيح: عَنْ عَمْرِو بْنِ

---

(١) ينظر: إدارة الخلاف الفقهي ص ٢٠ وما بعدها.

(٢) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ٢/ ٢٠٨،٢٠٩

الْعَاصِ قال: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١) والدليل على ذلك أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ اختلفوا في الفروع دون نكير أو عيب من بعضهم على بعض، والذي يطالع كتب السادة الفقهاء يرى أن مسائل الاختلاف أكثر من مسائل الاتفاق، بل يرى في المذهب الواحد اختلافًا بين علمائه في الفروع والشواهد على ذلك كثيرة، فالفقهاء متفقون على أن عورة الرجل سوأتاه ثم اختلفوا في الفخذين أهما عورة أم لا؟ فمن رؤي كاشفا فخذيه في الحمام لا ينكر عليه مادام ساترًا سوأتيه، وكذلك الجهر بالبسملة قبل الفاتحة أو الإسرار بها موضوع اختلاف، وهكذا.

اختلاف الصحابة والفقهاء في الفروع سائغ عندهم:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ أَعْجَبَنِي قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ـ رضي الله عنه ـ «مَا أُحِبُّ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَخْتَلِفُوا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَوْلًا وَاحِدًا كَانَ النَّاسُ فِي ضِيقٍ، وَإِنَّهُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ، وَلَوْ أَخَذَ رَجُلٌ بِقَوْلِ أَحَدِهِمْ كَانَ فِي سَعَةٍ»(٢)، وعَنْ مُوسَى الْجُهَنِيِّ، قَالَ: كَانَ طَلْحَةُ إِذَا ذُكِرَ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٩/ ١٠٨/ ح:٧٣٥٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣/ ١٣٤٢/ ح:١٧١٦).

(٢) أخرجه ابن عبد البر معلقًا بصيغة الجزم في «جامع بيان العلم وفضله»، باب: جامع بيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء (٢/ ٩٠١/ أثر:١٦٨٩).

عِنْدَهُ الِاخْتِلَافُ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: الِاخْتِلَافُ، وَلَكِنْ قُولُوا: السَّعَةُ»[١].

وقد روي عن إسماعيل بن أبي المجالد قال: «قال هارون الرشيد لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله نكتب هذ الكتب يعني مؤلفات الإمام مالك، ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها الأمة، قال: يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله ـ تعالى ـ على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى وكل يريد الله تعالى»[٢] وفي رواية أخرى عن مالك بن أنس ﷺ أنه قال: «شاورني هارون الرشيد أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه، فقلت: لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلاد، وكل عند نفسه مصيب، فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله»[٣] قال الإمام النووي: «وَلَمْ يَزَلِ الْخِلَافُ فِي الْفُرُوعِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ (رَضِيَ الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ)، وَلَا يُنْكِرُ مُحْتَسِبٌ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ قَالُوا: لَيْسَ لِلْمُفْتِي وَلَا لِلْقَاضِي أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ إِذَا لَمْ يُخَالِفْ نَصًّا أَوْ إجماعًا أو قياسًا جَلِيًّا وَالله أَعْلَمُ»[٤].

ثم إن الخلاف غاية من الخلق، قال الطاهر بن عاشور: «لما خلقهم على جبلة قاضية باختلاف الآراء والنزعات، وكان مريدًا لمقتضى تلك الجبلة، وعالمًا

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء»، (٥/ ١٩)، بسند صحيح..

(٢) كشف الخفاء ١/ ٦٦.

(٣) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ١٤/ ٨١.

(٤) النووي على مسلم ٢/ ٢٤.

به كان الاختلاف علة غائية لخلقهم»[1] فلا يزال الخلاف قائما بين البشر منذ بدء الخليقة حتى تقوم الساعة، وهو نوعان اختلاف تنوع وهو محمود واختلاف تضاد وتعارض وهو مذموم قال: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩). واليقين الذي لا يخالجنا فيه شك أن السادة العلماء كانت غايتهم من الاختلاف الوصول للحق، وقد أجمل ذلك الإمام الأكبر الشيخ شلتوت قائلًا: «لقد كان في تقرير حق الاجتهاد الفردي والجماعي ما فتح لأهل البحث والاستنباط من علماء الشريعة الإسلامية أوسع الأبواب، لتخير القانون الذي تنظم به شئون المجتمعات الإسلامية على اختلاف ظروفها، غير مقيدين فيما يختارون إلا بشيء واحد، وهو عدم المخالفة لأصل من أصول التشريع القطعية مع تحري وجوه المصلحة وسبيل العدل، وكان ذلك أساسًا لدوام الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان»[2] وقد روي: أن حميدا الطويل قال لعمر بن عبد العزيز: لَوْ جَمَعْتَ النَّاسَ عَلَى شَيْءٍ؟ فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا» قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ وَإِلَى الْأَمْصَارِ: «لِيَقْضِ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فُقَهَاؤُهُمْ»[3].

من نتائج حوار العقل مع النص الاختلاف في الفروع في مسائل العقيدة، وكما ثبت في مسائل الفروع فقهًا ثبت في مسائل الفروع في العقيدة بين الصحابة –

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ١٩٠.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة، ص٥٥٠.

(٣) أخرجه الدارمي في «سننه»، باب: اختلاف الفقهاء، (١/ ٤٨٩) رقم:٦٥٢.

رضوان الله عليهم - فالخلاف فيها أيضًا ثابت ، فقد أنكرت عائشة - رضي الله عنها- على من أنكر سماع الأموات، وبسماعهم قال كثير من الصحابة ولكل أدلته، كما أنكرت على من قال برؤية رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء رؤية عينية، وهي مسائل عقدية.

شروط العلماء في المنكر الذي يلزم إنكاره:

١ـ الشرط الأول: أن يكون منكرا مجمعًا على تحريمه.

٢ـ الشرط الثاني: أن يكون المنكر معلومًا بغير اجتهاد.

٣ـ الشرط الثالث: ألا يؤدي الإنكار لمنكر أشد(١).

قواعد التجديد بإعمال العقل في النص لاستنباط الأحكام:

١ـ الوعي بسياق المقال قرآنًا وسنةً وذلك بجمع الآيات والأحاديث في القضية الواحدة عند النظر، وقد قرر ذلك الإمام الشاطبي في قوله: " والذي يجب أن يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره، وآخره وأوله، والقضية، وماقتضاه الحال فيها"(٢) وقال الطوفي: " إن أحكام الشرع كما تستنبط من الأوامر والنواهي، كذلك تستنبط من الأقاصيص والمواعظ ونحوها، فقلّ آية في القرآن الكريم إلا ويستنبط منها شئ من الأحكام" (٣).

---

(١) نحو فهم منهجي لإدارة الخلاف الفقهي، ص٨١.

(٢) الموافقات ٤/ ٢٦٦.

(٣) شرح مختصر الروضة ٣/ ٥٧٧.

٢ـ الوعي بسياق الحال من أسباب النزول، والسيرة النبوية المشرفة، وأسباب ورود الحديث، والتطبيق العملي في حياة المصطفى وصحبه الكرام.

٣ـ الوعي بالواقع المحيط إذ من المقرر أن الشرع صالح لكل زمان ومكان.

٤ـ الوعي بطرائق العرب في كلامها، فالقرآن الكريم إنما نزل بلسانهم.

القواعد العامة للحوار العقلي:

كتب علماؤنا في هذا الباب كتابات نفيسة فيما عرف بآداب البحث والمناظرة، وجلها مستنبط من الكتاب والسنة، والناظر فيها يدرك جليًّا أن الحوار العقلي لم يكن طريقًا للتجديد فحسب، بل كان طريقًا للتغيير أيضًا، كما جاء في حديث محاورة الشاب الذي جاء طالبًا الترخيص له في الزنا، ومن أهم هذه القواعد:

١ـ التزام الأدب امتثالا لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل: ١٢٥). وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (العنكبوت: ٤٦).

٢ـ إخلاص النية في الوصول للصواب، وقد نقل عن الإمام الشافعي أنه قال : ما ناظرت أحدًا إلا قلت : "اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فإن كان الحق

معي اتبعني، وإن كان الحق معه اتبعته"[1].

٣ـ احترام الرأي الآخر كما قال قتادة: "من لم يعرف الخلاف لم يشم الفقه بأنفه"[2].

٤ـ احترام المحاور: وقد أورد ابن عبد البر وقائع في هذا الباب من ذلك "قال العباس بن عبد العظيم العنبري: كنت عند أحمد بن حنبل، وجاء علي بن المديني راكبًا على دابة، فتناظرا في الشهادة، وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه"[3].

٥ ـ الانطلاق من المشتركات بين الأطراف وتعظيمها، والتعاون في تنميتها.

٦ ـ إبعاد العقائد عن نطاق الحوار، فلا حوار في العقائد.

٧ ـ الإيمان بوجود اختلاف التنوع لأن الله تعالى خلقنا مختلفين، كما بنى كونه على الاختلاف قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٧ – ٢٨).

---

(١) إرشاد النقاد، ص ٧.

(٢) جامع البيان وفضله لابن عبد البر ١/ ٣٤٤.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٦٨.

وختامًا.. انتهى البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

١ـ العناية بترسيخ ثقافة العقل في محاوراتنا ومناظراتنا.

٢ـ ترسيخ فكرة تنوع الآراء، وقبول ثقافة التنوع.

٣ـ التأسّي بالعلماء الراسخين في احترام بعضهم بعضًا على الرغم من اختلافهم في الرأي.

٤ـ إبراز المخزون الثقافي والتراثي في نبذ التعصب، وثقافة الود مع الاختلاف.

٥ـ احترام الثوابت لدى أطراف الحوار.

٦ـ الحوار العقلي أقوى سبيل لمواجهة التطرف، والفرقة، والتشرذم.

* * *

الحوار الهادف والتعصب البغيض(*)

إن الاختلاف والتنوع بين الناس من طبيعة الحياة الدنيا، وأمر فطري فطر الله الخلق عليه، وسيبقى موجودًا ومستمرًا إلى يوم القيامة، وهذا الاختلاف والتنوع بين الناس لا يكون في شيء واحد، وإنما في أشياء كثيرة ومجالات شتى: في العقول والأفهام والطباع والألسنة والألوان وغير ذلك، وهذا أمر يساعد على إثراء الحياة والمجتمعات، وخدمة الناس بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الروم:٢٢) وقد بين القرآن الكريم أن الاختلاف والتنوع بين الناس من سنن الله عز وجل في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

والمختلفون إذا تحاوروا وتناقشوا فيما بينهم ينبغي أن يكون الحوار بناءً وهادفًا، يجمع ولا يفرق، يحترم ولا يُقلل من شأن الآخر، وأن تكون المناقشة هادئة بعيدة كل البعد عن التعصب البغيض الذي ينفِّر القلوب ويُوغر الصدور ويؤدي إلى التنازع والتناحر.

(*) أ.د.م/ هاني تمام، أستاذ الفقه المساعد – جامعة الأزهر.

والحوار البناء ليس هدفًا في حد ذاته، بل هو وسيلة للاتفاق على الأمور المشتركة بين المتحاورين، والوصول إلى النتائج المرضية لكلا الطرفين، وهو سبيل للتعرف على وجهات النظر الأخرى؛ ومن ثمَّ كيفية التعامل معها بصورة صحيحة مرضية، وبذلك يتعاون الجميع فيما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه.

الطرق الصحيحة في الحوار:

حتى يكون الحوار بنَّاءً وهادفًا لا بد من استخدام الطرق والأساليب الصحيحة التي تؤدي إلى ذلك، ومن هذه الأساليب: ما بَيَّنه القرآن الكريم عن اتباع الحكمة والموعظة الحسنة واللين والرفق بالآخر أثناء الحوار، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

وقد نص القرآن الكريم على دعوة غير المسلمين إلى الحوار بطريقة رقيقة لينة، يُلاحظ فيها إمكانية التفاهم معهم على أمور عامة ومشتركة بينهم وبين المسلمين، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران:٦٤)، بل وأمر المسلمين بجدال غيرهم بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (العنكبوت: ٤٦) وفي قوله: (أَحسَنُ) إشارة إلى استعمال أرقى الأساليب وأجمل الألفاظ أثناء مجادلة

المسلمين مع غير المسلمين، فمن باب أولى مجادلة المسلمين مع بعضهم البعض، ومثل هذا الأسلوب الراقي في الحوار يساعد على القرب والاتفاق وتلاقي الأفكار بين الطرفين المشتركين في الحوار، ويُبعد كل البعد عن التنازع والتناحر.

ومن أهم الطرق والأساليب التي ينبغي أن نسلكها في الحوار: التأكد من صحة الكلام الذي ننقله، وطرح الأدلة الصحيحة التي تثبت صحة كلامنا؛ تطبيقًا للقاعدة المشهورة: (إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدَّعيًا فالدليل).

احترام الآخر:

من أخطر الأشياء على الإنسان عند الحوار: تعصبه لرأيه وعدم احترام آراء الآخرين، وبذلك قد يُلبس الضعيف لباس القوي، والقوي لباس الضعيف، فالواجب عليه أن يتحلى بآداب الحوار من خلال التجرُّد التام طلبًا للحق، وإحسان الظن بالناس، والبعد عن التعصب البغيض وعدم احترام الآخر؛ حتى يكون الحوار بناءً وهادفًا وبعيدًا عن كل مظاهر العنف والنزاع والمشاحنة، وغير ذلك مما يؤدي إلى تنفير القلوب، وإيغار الصدور.

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي رحمه الله: التعصب من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاحتقار؛ فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه، ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتباعَ مثلُ التعصب واللعن والشتم للخصوم؛

اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم، وسموه ذبًّا عن الدين ونضالًا عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخَلْقِ ورسوخ البدعة في النفوس(١).

واحترام الآخر، والبعد عن تحقيره وتجريحه، والتماس العذر له، من أهم الأسباب التي تجمع وتؤلِّف بين الناس مهما اختلفوا، وهذا ما كان عليه حال السلف الصالح عندما كانوا يختلفون فيما بينهم، فلم يطعن أحدهم في الآخر إذا اختلف معه، ولم يقلل من شأنه، بل كانوا يُجِلُّون بعضهم ويُثني بعضهم على بعض حتى وإن اختلفوا، ومن الأدلة على ذلك: المراسلات العلمية التي كانت بين الإمام مالك والليث بن سعد رحمهما الله، والتي تدل على مدى صفاء نفوس هؤلاء ونقاء قلوبهم وإجلال بعضهم لبعض.

فذات مرة أرسل فقيه مصر الإمام الليث بن سعد رحمه الله رسالة علمية إلى الإمام مالك رحمه الله يوضح له فيها رأيه ووجهة نظره في بعض المسائل التي يختلف معه فيها، واشتملت هذه الرسالة على الأدب الكبير، والأخلاق العالية، والألفاظ الحسنة الراقية التي تنم عن صفاء النفس وطهارة القلب عند هؤلاء الأكابر، فقد أثنى الإمام الليث على الإمام مالك ثناءً كبيرًا، وتحدث إليه بأحسن العبارات وألطفها.

ومن ذلك قوله في أول الرسالة: "سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه..".

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٤٤٠.

ثـم بدأ بسرد المسائل التي اختلف فيها مع الإمام مالك، وفي نهاية الرسالة قال له: "وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا، وأنا أحب توفيق الله إياك، وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضَّيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسي بمكانك وإن نأت الدار، فهذه منزلتك عندي، ورأيي فيك، فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إليَّ بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يُوصَل بك، فإني أُسَرُّ بذلك، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليكم ورحمة الله" (١).

والمسلم الحق هو الذي يحترم الآخرين، ولا يُحقِّر من شأنهم ولا يشعر بالأفضلية عليهم، ولا يتطاول على أحد من خلق الله تعالى، ومن ظن أن احتقاره لغيره وسخريته منه من صلب عقيدته فهو واهم، وبعيد كل البعد عن مبادئ وأخلاقيات دينه وعقيدته، وإن حب الدين والتعلق به لا يكون سببًا ومبرِّرًا للتعصب البغيض، وإنما التعصب ينشأ عن ضعف فى النفوس ونقص فى الإيمان؛ لأن صاحب النفس القوية والإيمان القوي يَجمع ولا يُفرِّق، ويحب ولا يكره، ويُعمِّر ولا يُخرِّب، والمؤمن بحق لا يتجاوز الحدود مع غيره أيًّا كان.

قال العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله: إنه ثبت نفسيًّا أن التعصب لدين من الأديان ليس منشؤه قوة الإيمان به، إنما منشؤه ضعف فى النفوس، وانحياز فكري،

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٦٩، وما بعدها.

وعدم النظر إلى الأمر من كل نواحيه، ولا شك أنه إذا دنت القلوب بعد اغترابها، ولانت بعد عصبيتها؛ تركت الانحياز إلى الائتلاف، والابتعاد إلى الاقتراب، وعندئذ يدخل نور الإيمان، وتتفتح أمامه المغاليق، وإن الأخلاق الإسلامية تؤلِّف ولا تُنفِّر، وتُقرِّب ولا تُبعد، فلقد أوصى النبي ﷺ بحسن المعاملة (١).

التعصب البغيض:

التعصب البغيض للرأي من أهم الأسباب التى أدت إلى انتشار الإرهاب والتطرف في مجتمعاتنا، وساعدت على تشويه ديننا، وتعميق النظرة الخاطئة عند بعض الناس لهذا الدين بأنه دين عنف وإرهاب لا يقبل الآخر، بل يسعى لتدميره وسفك دمه، وإن المتعصب لرأيه الذى يعتقده ويقتنع به، ويرى نفسه به أنه على الحق وأن ما سواه على الباطل، إذا ما جاء دليل يثبت عكس كلامه فإنه سرعان ما يحاول إنكاره، أو تضعيفه، أو البحث عن تأويل بعيد له خارج عن الأسس والضوابط العلمية، وهذا التعصب ينشأ عن ضعف المخزون العلمي والثقافى لدى أصحابه، وعدم التعمق فى أصول العلم، وعدم الاطِّلاع على الآراء المختلفة، إضافة إلى تحجّر العقول، وخبث النفوس، ومحاولة الانتصار للنفس والذات مهما كان الثمن.

قال الإمام الشاطبى في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص ٩.

وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ (آل عمران: ٧): وأن أهل الزيغ يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، فهم يطلبون به أهواءهم؛ لحصول الفتنة، ولم يذكر مثل ذلك في الراسخين، فهم إذن بضد هؤلاء، حيث وقفوا في المتشابه، فلم يحكموا فيه ولا عليه إلا بالتسليم، وهذا المعنى خاص بمن طلب الحق من الأدلة، لا يدخل فيه من طلب في الأدلة ما يصحّح هواه السابق (١).

فالتحلل من التعصب للرأي من أهم الخطوات التى تساعد على فهم النص فهمًا صحيحًا وإنزاله على مراده ومقصده الشرعى، ومن ثَمَّ التيسير على الناس والتخفيف عنهم وعدم المشقة عليهم، واحترام الآخر ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد اشتملت الشريعة المطهرة على جملة من الأسس والقواعد التي تؤدى إلى حماية النفوس وتزكيتها، وإعمار الكون والحفاظ عليه، كما أنها راعت التيسير والتخفيف على العباد ورفع الحرج والمشقة عنهم ورعاية مصالحهم، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ الله أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ۝٢٨﴾ (النساء: ٢٨) وما جاء بخلاف ذلك من أصحاب العقول المتحجرة والقلوب

(١) الاعتصام ١/ ٢٨٣.

القاسية ليس من أصل الشريعة الغرَّاء، وبعيد كل البعد عن تعاليمها ومبادئها وأخلاقها.

إن من يدَّعي على هذا الدين غير حقيقته الإنسانية ــ من أصحاب التعصب البغيض ــ بالافتراء عليه بما ليس فيه، والإفساد في الأرض، والإضرار بالناس وإرهابهم، فهو ضَيِّقُ الأفق، محدود الفهم، جامد الفكر، لا يبذل جهدًا لتحصيل العلوم والمعارف النافعة المعينة على فهم الشرع الشريف الفهم الصحيح المنضبط، وغير مدرك لواقعه وأحوال الناس، وليست عنده القدرة على إنزال الأحكام الشرعية على واقع الناس إنزالًا صحيحًا، يتوافق مع مصالح العباد ولا يصطدم مع أحكام الشريعة، ومثل هذه الأمور تجعل الإنسان يسيئ فهم مقاصد الشرع الشريف ومراميه، ويخرج بنظرته السطحية للنصوص بأحكام بعيدة كل البعد عن مقاصدها التى أرادها الله تعالى، وينحرف بها عن معانيها وأهدافها الأصيلة.

وصاحب العقل المتجمد المتعصب لرأيه منغلق على نفسه، يخشى الانفتاح على رحابة الكون واتساعه؛ فيسعى إلى صبغ المسلمين بصبغته تلك، وهدم وتخريب كل الأفكار والفهوم النافعة طالما أنها تختلف مع فهمه وفكره، ومن ثَمَّ نشر الإرهاب، والتكفير، واستباحة الدماء ظلمًا وعدوانًا بحجة مخالفة الدين وأحكامه زورًا وبهتانًا.

وضعف التفكير لهؤلاء المتعصبين، وتكاسلهم عن فهم أسرار الشرع ومقاصده؛ جعلهم ينكرون الآراء الأخرى ويسفِّهونها، كما جعلهم ينكرون الإبداع والتطور في المجالات المختلفة، والاكتفاء بالتحسر والبكاء على المجد الذى كان، ولو فهموا الإسلام الذي ينتسبون إليه كما ينبغي، وابتعدوا عن تعصبهم الأعمى، وفتحوا

قلوبهم وعقولهم للحق؛ لَعلموا أن الإسلام قد أعطى للناس الحرية الكاملة للإبداع، والابتكار، والانتفاع بما يبتكرونه ويطورونه، ونشر ذلك بين الخلق لينتفع الجميع، وأن أسلافنا من هذه الأمة المباركة قد فعلوا ذلك وقاموا به خير قيام حسب متطلبات عصرهم؛ فأبدعوا وابتكروا وتقدموا في كل المجالات والعلوم، فخدموا الدين والبلاد والعباد كما ينبغي.

الفهم الصحيح والمحافظة على ثوابت الدين:

يساعد الفهم الصحيح لنصوص الشرع الشريف على الحفاظ على ثوابت الدين وعدم التعرض لها بأى شكل من أشكال التشويه والتحريف.

ولقد جاء الإسلام بجملة من الثوابت التي لا تتبدل ولا تتغير، والتي تدل على عظمة هذا الدين وعالميته وصلاحيته لكل زمان ومكان، كالحفاظ على الأنفس، والأموال، والأعراض، وحرية الاعتقاد، وعدم التعرض لأي أحد بالأذى والضرر أيًّا كان جنسه، أو لونه، أو عقيدته، طالما أنه يتعايش مع غيره بسلام ولا يُفسد في الأرض، فله كل التقدير والاحترام والرعاية والحفظ.

وهذه الثوابت لا تختص بأشخاص دون آخرين، بل هي عامة على الجميع سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، ومعرفة هذه الثوابت وغيرها قد دلت عليها نصوص الشرع من القرآن والسنة، وأكدت عليها بما لا يدع مجالًا للشك، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ الله عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ الله يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).

وقال ﷺ فى حق المسلم: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (١)، وقال في حق غير المسلم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)، وقال أيضًا ﷺ : «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» (٣).

فالذين يستبيحون الدماء الحرام، وينشرون الإرهاب والعنف، ويحقِّرون من شأن غيرهم بسبب تعصبهم البغيض لآرائهم الضالة، يا ليتهم أن يعرفوا حقيقة دينهم الذي ينتسبون إليه، وكونه دينًا عظيمًا يُقدِّر حياة الإنسان ويحافظ عليها بغض النظر عن عقيدته أو جنسه، بل ويتوعَّد قاتله بالوعيد الشديد؛ حتى ينزجر الناس عن قتل النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بالحق.

وبهذه المبادئ والثوابت يرسِّخ الإسلام في أبنائه دعائم العدل والإنصاف والمساواة بين الناس، ويعمل على نزع الغلّ والحقد والكراهية من القلوب، كما أنه يبرهن على أنه لا فضل لأحد على أحد فى التمتع بحق الحياة، فليس لأحد مزية على أحد في هذا الأمر، فللإنسان مهما كانت عقيدته الحق في الحفاظ على حياته، وعدم التعرض له بأي لون من ألوان الإيذاء أو الضرر.

* * *

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٦.

(٢) سنن أبى داود ٣/ ١٧٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٩٩.

الأصول القرآنية للحوار(*)

الحوار في اللغة : هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء ، "وحار إلى الشيء وعنه: حورًا ومحارًا ومحارة وحؤورًا : رجع عنه ، وإليه ، ويحاوره : أي يراجعه الكلام، ويجاوبه، ويتحاورون: يتراجعون الكلام ، والمحاورة مراجعة الكلام والمنطق في المخاطبة[1]. ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ (الكهف: ٣٧).

الحوار اصطلاحًا : عرفه الكثير بأنه : "محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدًا عن الخصوصية أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كل من الطرفين لقبول الحقيقة ، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر[2].

ومن الألفاظ الدالة على الحوار :

- أولا : المناظرة : وهي في اللغة : مشتقة من النظير أو من النظر أو من

(*) د/ عمر إبراهيم حمروش ، كلية الشريعة والقانون بدمنهور ، جامعة الأزهر.

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٤/ ٢١٩، المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس، وآخرون: دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١/ ٢٠٥.

(٢) الحوار ، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحي بن محمد زمزمي ص ٣٢.

التناظر، فهي من النظر تفيد التفكير في الشيء تقيسه وتقدره ، ومن التناظر تفيد التقابل، ومن النظير تفيد التماثل(١).

واصطلاحًا هي: "علم باحث عن أحوال المتخاصمين ؛ ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب ، حتى يظهر الحق بينهما"، أو "هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب (٢).

ثانيًا: المناقشة : والمناقشة في اللغة : النقش: الحفر والنزع ، ويأتي النقاش بمعنى المحاسبة والاستقصاء (٣).

فالمناقشة هي نوع من التحاور بين طرفين ولكنها تقوم على أساس استقصاء الحساب وكشف الأخطاء لمصلحة أحد الطرفين ، الذي يستقصي محصيًا كل ماله على الطرف الآخر.

ثالثًا: الجدال: والجدل لغة :هو شدة الفتْل، والجدل مأخوذ من جدلت الحبل إذا فتلته وأحكمت فتله ، كأن كل واحد من المتجادلين يحاول أن يفتل صاحبه ويجدله بقوة وإحكام على رأيه الذي يراه ، والجدل أو الجدال يعني اللدد في الخصومة، والقدرة عليها، والمجادلة : المخاصمة(٤).

---

(١) المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٣٢ ، ط٢، دار المعارف، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

(٢) الجرجاني : التعريفات ، ص٢٣١، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

(٣) عبد الكريم اليافي: منهج المناظرة في التراث وأدبيات الحوار، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق ، العدد ٩١.

(٤) لسان العرب (١١/ ١٠٤)، المعجم الوسيط (١/ ١١١).

والجدال اصطلاحًا: عرفه الجرجاني بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، يكون الغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عنه لإفساد قوله بحجة أو شبهة. وهذا أقرب إلى المعنى اللغوي للجدل ؛ لأنه بهذا لا يتعلق بأي دليل، بل هو قدرة يملكها الشخص المجادل ولو لم يحط بشيء من الكتاب والسنة ونحوهما [(١)].

الأصول القرآنية للحوار مع الآخر:

لا شك أن قضية الحوار بين أتباع الديانات والثقافات من الموضوعات الدقيقة والشائكة والمعقدة التي كثرت فيها الأقوال، وتعددت حولها الآراء، وتباينت في جزئياتها وتفاصيلها وجهات النظر ما بين مؤيد متفائل غالٍ لا يعرف حدودًا للحوار، غير مفرق بين الأصول الثابتة للدين والأحكام المتغيرة في الفقه، عارضًا كل شيء على طاولة الحوار وموائد المساومات، وبين رافض متشائم لا يرى جدوى من الحوار والانفتاح على الآخر ، ظانًّا أن السلامة في التقوقع والانغلاق داخل الذات وسد النوافذ أمام العالم، وبين هؤلاء وهؤلاء متحير متردد التبس عليه الأمر لا يقدر على التمييز بين الصواب والخطأ.

ولكن هناك آخر هو خير من هؤلاء الثلاثة؛ لأنه واقف في الوسط يتعامل مع المسألة بحذر وموضوعية، آخذًا في الاعتبار الأبعاد الإيجابية والجوانب السلبية، مراعيًا في موقفه ضوابط الدين ومقتضيات العقل، محاولًا الجمع بين

---

(١) التعريفات للجرجاني ، ص ١٠١.

الصحيح المعقول والصريح المنقول.

ومن هنا نؤكد على أن القرآن الكريم قد قرر أصول التحاور من خلال ما يلي:

١ - الإيمان بوحدة أصل الأديان السماوية:

فمن الأصول الثابتة في الإسلام الإيمان بأصل وحدة الأديان السماوية التي أنزلها الله -سبحانه وتعالى- وكلف الأنبياء عليهم السلام بتبليغها والدعوة إليها، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِالله وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ٢٨٥﴾ (البقرة: ٢٨٥).

فالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام من مستلزمات العقيدة الإسلامية، ولا شك أن هذا الإيمان يشكل أساسا للتعامل مع الآخرين، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ١٣٦﴾ (البقرة: ١٣٦).

ولا شك أن إدراك أصل وحدة الأديان السماوية من قِبل المتحاورين والشعور بارتكاز تلك الأديان على المبادئ المشتركة عامل مؤثر إيجابي على سير الحوار منذ البداية، حيث إن الجميع ينطلقون من أرضية مشتركة توفر لهم قدرًا كبيرًا من الشعور بالتفاهم.

٢ - الانطلاق من المشتركات:

ويمكن أن يكون ذلك أساسًا لحوار جاد وهادف بينهم ، حيث يوفر ذلك

أرضية مشتركة للجميع للانطلاق ، ومن هنا كان من أصول الحوار في القرآن الكريم أن يبدأ المحاور المسلم حواره مع غير المسلمين ، خاصة أهل الكتاب منهم ، من النقاط المشتركة التي عبر عنها التنزيل بـ"كلمة سواء"، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ (آل عمران : ٦٤).

ولا شك أن تحديد النقاط المشتركة بين المتحاورين منذ البداية والبدء بها يساعد على تشخيص نقاط الخلاف وتحرير محل النزاع ، ومن ثم محاولة معالجتها بروية وتدرج .

وانطلاقًا من هذا الأصل القرآني على المحاور المسلم – وهو يحاور الآخر – أن يكون واعيًا لما يقبل وما يرفض أثناء الحوار من آراء الطرف المقابل ، وميزانه في ذلك كله القرآن الكريم.

٣ – معرفة دائرة الحوار:

من الأصول والضوابط القرآنية للحوار ألا يكون موضوع الحوار قضايا ثابتة في الدين بهدف إعادة النظر فيها، فالحوار ليس من قبيل الترف الفكري وحب الاستطلاع حتى يخوض المتحاورون في كل شيء، فثمة قضايا ومسائل لا يجوز الخوض فيها بحوار أو جدال، إما بسبب محدودية العقل البشري إزاءها، أو بسبب عدم ترتب أي ثمرة علمية أو عملية من ورائها، أو لأنها محسومة أساسًا بنص شرعي قطعي الثبوت قطعي الدلالة، أو إجماع علماء المسلمين، وهذا الأصل مبني على آيات قرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٤ - البدء بالأهم والتدرج:

يمكن استنباط هذا الأصل من خلال حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، فقد بدأ الأنبياء عليهم السلام حوارهم من أهم قضية، وهي توحيد الألوهية ودعوة الناس إلى عبادة الله تعالى؛ لأنها هي الأساس لكل ما يأتي بعدها، وقد تكررت هذه الدعوة على لسان أكثر من نبي: ﴿ٱعْبُدُواْ الله مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف: ٥٩)، فقد بدأ بها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

كما أن إبراهيم عليه السلام قد اتبع أسلوب التدرج والتنزل مع الخصم في حواره مع قومه لإقناعهم بالإيمان بتوحيد الله تعالى ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ (الأنعام ٧٦)، وهذا على وجه التنزل مع الخصم والذي يقتضيه التدرج في الحوار ومعناه ربي بزعمكم، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾، فقام بإبطال عبادة الكواكب، ثم تدرج على الأسلوب نفسه في إبطال عبادة القمر والشمس حتى انتهى إلى بيان الحق في وجوب عبادة الله تعالى ونبذ الشرك به كليًّا [(١)].

ويُعد إرسال رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ـ إلى اليمن وتوصيته لهما بالتدرج في دعوة أهلها إلى الإسلام بالابتداء من أصل الأصول أي التوحيد، ثم التدرج بمطالبتهم بأداء الصلاة ثم الزكاة ثم

(١) أحكام القرآن، لأبي بكر الرازي الجصاص، دار إحياء التراث العربي - بيروت (٢/ ١٧١).

بقية أركان الإسلام، تعد هذه التوصية النبوية أنموذجًا واضحًا لهذا الأصل، وتفسيرًا عمليًا لموقف القرآن الكريم من أصل التدرج في الحوار.

٥ - الكلام المبني على الحجة والبرهان:

من أهم أصول الحوار وضوابطه تحري الحجة والبرهان في الكلام، ولكي يكون الحوار منتجًا ومفيدًا لا بد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، كما لا بد من صحة الدليل ودقة النقل، فقد قيل: "إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل".

وعناية القرآن الكريم بالدليل والبرهان وجعله معيارًا للقبول والرد في كل شيء، سواء في الأفكار والمعتقدات أو الأحكام والمبادئ، أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان واستدلال، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ﴾ (الأنبياء:٢٤). قال الإمام فخر الدين الرازي: " دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفيًا أو إثباتًا فلا بد له من الدليل والبرهان"(١).

ويمنع القرآن الكريم من الخوض والجدال في آيات الله بغير علم فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ الله بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ الله وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ (غافر:٣٥). ومما ينبغي الالتفات إليه في هذا الصدد أن عددًا من الآيات المتعلقة بالحوار في

(١) مفاتيح الغيب ٤/ ٣.

القرآن الكريم يبدأ بفعل الأمر "قل" ومن خلال تدبر مضامين هذه الآيات الكريمة يتضح أن الله – جلّ وعلا– يأمر نبيه – عليه الصلاة والسلام – وأمته بإقامة الدليل ويعلمهم طرق ذلك أثناء الحوار مع الآخرين [1].

٦ – العلم والالتزام بالأخلاق الحسنة:

لقد جعل القرآن الكريم العلم من الأمور الضرورية التي يجب توفرها في المحاور، وعاب على من يجادلون في الأمور بغير علم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي الله بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ۝٨﴾ (الحج: ٨).

كما أمر الله عزّ وجل المسلمين أن يحاوروا بعلم وبصيرة وهدى فقال: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى الله عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ الله وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ۝١٠٨﴾ (يوسف: ١٠٨).

كذلك من الأصول التي يضعها القرآن الكريم للحوار مع الآخر التزام المحاور المسلم بالأخلاق الحسنة خلال الحوار، ومنها:

أ– المحاورة بالحسنى:

فمن أهم وأبرز أخلاقيات الحوار حسب ما جاء في القرآن الكريم التزام المحاور المسلم بأصل الحوار بالحسنى والابتعاد عن الغلظة والقسوة والعنف أثناء المناقشات.

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(النحل: ١٢٥).

---

(١) ورد فعل أمر "قل" (٣٤٣) مرة في القرآن الكريم، وفي كثير من المواضع هو متصل بالحوار.

وهذه الآية الكريمة تكشف عن مفتاح مهم من مفاتيح نجاح دعوة رسول الله ﷺ وسيطرتها على النفوس والقلوب، وفي سيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسوة حسنة لكل داعٍ ومحاور في الالتزام بالحسنى خلال الحوار وتجنب كل أنواع الغلظة والمواقف العنيفة.

ب-الصبر والحلم:

فمن أخلاقيات الحوار أن يتسم المحاور المسلم بالصبر والحلم والابتعاد عن الغضب، وألا يُستفز مهما كان الموقف، قال تعالى آمرًا نبيه ﷺ بالعفو عن الناس وترك الغلظة عليهم:﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ولا شك أن العفو أعلى درجة من كظم الغيظ ورد الغضب؛ لأن العفو هو ترك المؤاخذة وطهارة القلب والتسامح مع المسيء ومغفرة خطيئته.

ج-الرحمة والشفقة:

فمن أدب الحوار وأخلاقياته في القرآن الكريم أن المحاور المسلم يجب أن يكون حريصًا على ظهور الحق وشفيقًا على من يحاوره؛ لأنه يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم، ولذلك قال تعالى مخاطبًا رسوله الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾(آل عمران:١٥٩).

د- مقابلة السيئة بالحسنة:

ومن أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم كون المحاور المسلم يقابل الشدة بالرأفة، وفحش الكلام بطيبه، ويرد الكلمة الجارحة بالكلمة اللينة ، ويدفع الاحتقار بالاحترام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت:٣٤ - ٣٥).

فهذا أمر صريح من الله تعالى للداعية والمحاور المسلم بالترفع عن الانتقام ومعاملة المثل بالمثل في فحش الكلام والشدة والاحتقار والسخرية.

٧ - توخي العدل والإنصاف والحرص على طلب الحق:

فالإسلام دين العدل وأكد الالتزام بالعدل والإنصاف في المواقف كلها، قال الله ﷻ آمرًا المؤمنين: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠).

ولا يجوز للمسلم أن ينحرف عن جادة العدل مهما كانت الظروف، وعليه أن يراعي الإنصاف مع الصديق والخصم على حد سواء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟﴾ (المائدة: ٨).

فما أجمل أن ننطلق من خلال هذه الأصول الثابتة التي وضعها القرآن الكريم للحوار مع الآخر، وطبقها رسول الله ﷺ عملًا في التعامل مع غير المسلمين بشتى أصنافهم؛ لبناء جسور قوية متينة على أصول راسخة ثابتة.

دور وزارة الأوقاف المصرية في نشر الوسطية وتفعيل ثقافة الحوار بين الحضارات لا ريب أن وزارة الأوقاف تمر بنهضة علمية ودعوية وثقافية غير مسبوقة، فمنذ أن تولى قيادتها معالي الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة وهو يعمل على بناء عقلية الدعاة دعويًا وثقافيًّا وفكريًّا وعلميًّا وتنويريًّا واجتماعيًّا لمواكبة المستجدات وبناء العقلية الدعوية المستنيرة التي تؤمن بقضايا التجديد، وتعي الغايات والمقاصد الشرعية لتحقيق المصالح العامة للناس أجمعين.

ولا يستطيع أحد إنكار دورها الرائد في تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام ومحاربة الدعوات الهدَّامة عبر حملتها العالمية للتعريف بالإسلام، وبقيمه النبيلة وأخلاقه الفاضلة، وتعاليمه وأصوله وفروعه وأحكامه عبر ما يلي(١):

١- إنشاء أكاديمية الأوقاف الدولية لتدريب الأئمة والواعظات وإعداد المدربين لنشر الوسطية والاعتدال.

٢- إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لنشر الوسطية والاعتدال ومحاربة التطرف.

٣- إنشاء إدارة متخصصة للدعوة الإلكترونية لنشر الوسطية والاعتدال والتعريف بصحيح الدين.

٤- إنشاء مرصد لقياس مستوى الأداء لدى الرأي العام.

---

(١) بوابة وزارة الأوقاف المصرية على شبكة المعلومات الدولية.

٥- تدعيم مراكز الثقافة الإسلامية وانتشارها في محافظات مصر.

٦- إنشاء إدارة متخصصة للفتوى.

٧- وضع الخطط الثقافية والدعوية لمواجهة الأفكار المتشددة عبر القوافل الدينية والمؤتمرات العلمية.

٨- اتخاذ مواقف حاسمة ضد مروجي الأكاذيب وداعمي التشدد والعنف.

٩- توحيد موضوعات خطب الجمعة ومعالجة القضايا الدعوية وفق المنهج المعتدل بعيدًا عن مظاهر العنف والتطرف.

١٠- العمل على بناء الخطاب الدعوي الذي يعتمد على الأدلة والبراهين العقلية والنقلية لتأكيد عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، واستيعابه للمستجدات خاصة ما يتعلق بقبول الآخر والتحاور معه لتحقيق الصالح العام للفرد والمجتمع.

١١- استخدام كافة الوسائل والتقنيات الحديثة لنشر الدعوة الإسلامية، وذلك من خلال البرامج العديدة في العلوم والمعارف المتنوعة وتحميلها بلغات مختلفة على المواقع الخاصة بالوزارة على شبكة المعلومات الدولية [1].

---

(١) تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر محمد منير حجاب ص٣٢١-٣٢٢، دار الفجر بالقاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م، أصول الإعلام الإسلامي إبراهيم إمام ص٣١-٣٤، دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٢- بناء رؤية إعلامية إسلامية هادفة تعبر عن روح وجوهر الإسلام الوسطي [(١)].

١٣- العناية بالدعوة والدعاة ومساعدتهم على التميز العلمي من خلال برامج التأهيل العلمي والنفسي عبر برامج الماجستير والدكتوراه لثقل مهاراتهم الدعوية والعلمية.

١٤- التركيز على اعتماد الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح في حل وتناول القضايا المعاصرة، بطريقة منهجية تأصيلية علمية لكيفية التعامل مع النوازل والقضايا المعاصرة.

١٥- تفعيل دور العلماء وإنزالهم المنازل التي تليق بهم، وخلق التقارب بينهم وبين شباب الأمة، وتربية الشباب على معرفة مكانتهم، حتى

---

(١) ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدناه كتابًا سماويًّا إعلاميًّا، تفرد بطريقته في عرض الوقائع وتقرير الأحداث، فله أسلوب خاص في التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، فقد تميز الإعلام القرآني بالبيان المعجز والتنوع في الأداء والواقعية في الحوار والتزام الصدق والمواجهة الصريحة والاهتمام بالسلوك والشمول لمختلف القضايا وتقديم الحقائق العلمية المسلَّم بها.

ثم إن الحديث الشريف لا يقلُّ أهميةً عن القرآن الكريم فيما يتعلق بالإعلام الإسلامي، فالرسول ﷺ يعتبر صاحب الرسالة الإعلامية العالمية الأولى، وهو النموذج المثالي المبلغ لها، وقد استخدم وسائل متعددة في الإعلام من أهمها: (المسجد، الخطبة، فريضة الحج).

ومن هنا يعتبر الإعلام الإسلامي في هذا العصر فريضة شرعية وضرورة واقعية ؛ لأن أعداء الإسلام يغزون بلاد المسلمين فكريًّا وثقافيًّا ودينيًّا عن طريق الإعلام، ويسخِّرون كافة طاقاتهم وقدراتهم المادية وغيرها خدمة له لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم.

يتمكنوا من حمايتهم من الوقوع في براثن الغلو والتشدد.

١٦- العمل على تكوين مرجعية عامة ترجع الأمة إليها عند النوازل والمعضلات ، والاعتناء بالتأصيل العلمي للمناهج الدعوية ، حتى يظهر التزامها بالأصول العامة للدين، وحتى تكون كل الخطوات لها من الحصانة العلمية ما يفعل ثمرتها.

١٧- العناية بفقه الأولويات في مجال الدعوة، فمن غير المقبول التركيز على معارك قديمة ، أو جزئيات فقهية فرعية، واستنزاف الجهود فيها، وبذل الأوقات النفيسة، في الوقت الذي تعيش فيه الأمة أزمات صعبة وخطيرة تحتاج إلى وعي وإدراك وتفكير.

أهم النتائج:

١- أن الحديث عن عقلانية الحوار ومجالاته وضوابطه وسبل حمايته، أصبح اليوم ضرورة ملحة لمواجهة التحديات والظروف الراهنة ، إعلاء للمصلحة العامة للمجتمع والوطن ، خاصة مع ظهور الأفكار المتطرفة وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا.

٢- أن الإسلام دين يقر مبدأ حرية الرأي أساسًا، ووضع الضوابط الكثيرة بنجاح هذه الحرية الهادفة إلى تقويم الأقوال والأفعال.

٣- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة لدعم موقف الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، والمطالبة بحقوقهم.

٤- الحوار الإسلامي مع الآخر وسيلة لمحو الصورة المشوهة للإسلام عند غير المسلمين.

٥- الحوار مع الآخر وسيلة للتفاهم والتعايش في البلدان التي يعـيش فيهـا المسـلمون وغيـر المسلمين لمنع حدوث الفتن الطائفية.

❊ ❊ ❊

الحوار وأنماطه(*)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد :

فإن الحوار مطلب إنساني منذ خلق الله تعالى الإنسان، سواء بين المرء ونفسه أو بينه وبين غيره من الأقارب والأهل والجيران وغيرهم، بل بين الدول وبعضهم البعض ، طبقًا لما تفرضه الظروف من اختلاف في الفهم لبعض الأمور المنظورة أو المرئية، أو التي تفرضها الحياة العملية، يستوي في ذلك الحوار في النواحي الثقافية، أو السياسية أو العلمية أو الدينية، أو غير ذلك من نواحي الحياة الأخرى.

انظر إلى ما قصه القرآن الكريم عن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ (البقرة: ٢٥٩)، ألا يعد ذلك حوارًا مع النفس.

(*) أ. د/ سيف رجب قزامل، عميد كلية الشريعة والقانون الأسبق – جامعة الأزهر.

وانظر إلى إبراهيم عليه السلام حينما حاور أباه كما قص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ (مريم: ٤٢ -٤٣)، وانظر إليه في حوار آخر حيث يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ الله ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَالله لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وانظر إلى الحوار بين موسى عليه السلام وبين فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى الله إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الأعراف:١٠٤– ١٠٥)، وانظر إلى الحوار الذي كان بين موسى (عليه السلام) وبين أخيه هارون –عليهما السلام–، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ (طه: ٩٢ – ٩٤).

وقد ذكر القرآن الكريم كثيرًا من الحوارات التي كانت بين رسل الله تعالى – عليهم السلام– وبين أقوامهم حتى نقتدي بهم فيمن نحاورهم، يقول تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ (الأنعام: ٩٠).

وانظر إلى ما قصه القرآن علينا وسجلته سورة المجادلة، إذ تحكي الحوار الذي حدث بين الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة بشأن ما حدث من زوجها حيث ظاهر منها، وحاورها رسول الله ﷺ وذكر لها أن هذا يُعدّ طلاقًا، ثم نزل الوحي يبين الحكم الشرعي، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ (المجادلة: ١)، كما أن الحوارات في السنة النبوية كثيرة وكثيرة بين يدي رسول الله ﷺ وبين الصحابة أيًا كان سنهم، وبينه وبين الصحابيات.

والصحابي الذي أتى الرسول ﷺ يطلب منه أن يرخص له في الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال النبي ﷺ: (ادنه)، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: (أتحبه لأمك؟)، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)، قال: (أفتحبه لابنتك؟)، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم)، قال: (أفتحبه لأختك)، قال: لا والله ، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم)، قال: (أفتحبه لعمتك؟)، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لعمّاتهم)، قال: (أفتحبه لخالتك)، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم)، قال: فوضع يده عليه، وقال : (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه ، وحصّن فَرْجَه)،

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

والحوارات في الحضارة الإسلامية كثيرة ، ويظهر من خلالها أن الحوار العقلاني هو الذي دل عليه الشرع الشريف بعيدًا عن العنف والاستبداد وازدراء الآخرين، وأن التواضع واحترام الآخر وحسن الاستماع لما يقوله، وعدم الاستهانة به، أو توجيه أي إيذاء له بالقول أو الفعل تحت أي صورة من الصور بالغمز أو اللمز وما إلى ذلك، من أدب الحوار في الإسلام.

فآداب الحوار تستدعي ألا نقاطع من يحاورنا، إذ الغرض هو الوصول إلى قرار مشترك في الأمر الذي تم التحاور بشأنه ، وفقًا للأدلة والبراهين التي توضع من كل فريق.

إذ ينبغي أن يراعي كل محاور أو مفاوض شخصًا كان أو أكثر، أن الغرض من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة، ولا يهمنا أن تكون مع محاور معين طالما كان الغرض هو الوصول إلى الحق وتبيانه، والعمل به والاهتداء بهديه، أو الوصول إلى قدر مشترك من خلال هذا الحوار.

يختلف الحوار عن المجادلة، إذ الجدل - على الأغلب ، وما لم يقيد - هو الرد في الخصومة وما يتصل بذلك في إطار التخاصم بالكلام، وفيه العناد والتمسك بالرأي والتعصب له، أما الحوار فهو تداول الكلام بين طرفين بطريقة متكافئة؛ فلا يستأثر أحدهما دون الآخر بالكلام، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح، حديث رقم (٢٢٢١١).

الخصومة.

ومن هنا يشكل الحوار اللبنة الأولى من احترام الرأي والرأي الآخر، باعتبارها ضرورة إنسانية وحضارية، ولفظة الجدل مذمومة إلا إذا قيدت كما في سورة المجادلة، وكما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (النحل:١٢٥). وتعد المناظرة نوعًا من أنواع الحوار غير أنها تعتمد على الدقة العلمية والشروط المنطقية أكثر من اعتماد الحوار على ذلك.

على أن الحوار قد يكون حوارًا مباشرًا وقد يكون حوارًا غير مباشر كالنقاشات العلمية والمحاورات الأدبية التي كانت تدار من خلال الصحف والمجلات، وكالمناقشات الفقهية التي امتلأت بها كتب الفقهاء والعلماء، على أن كل ذلك يتطلب آدابًا مشتركة، أو المشاركة في احترام الآخر، والأخذ بمبدأ رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

* * *

ضوابط الحوار ومعوقاته(*)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد:

فإن الإسلام يدعو إلى السلام الاجتماعي والعالمي ، فهو مشتق من السلام لفظا ومعنى ، والآيات والأحاديث التي تبين هذا المعنى كثيرة غير محصورة، ومن أهم السبل التي تحقق هذه الغاية النبيلة الحوار ، وهو حديث بين شخصين أو طرفين حول موضوع معين للوصول إلى غاية معينة ، وتتفاوت قيمته بتفاوت الهدف منه؛ ولذا فإن الحوار حول المشتركات الإنسانية التي يجتمع عليها أهل الأديان هو أعظم أنواع الحوار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ (النحل: ١٢٥).

والحوار في اللغة: "الحَوْرُ: الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وإِلى الشَّيْءِ"، وحاورت فلانًا محاورة إِذا كلمك فأجبته، وتَحاوَرُوا: تَراجَعُوا الكلامَ بينهمْ.

والحوار في الاصطلاح: تطرق الباحثون والكتّاب لمفهوم الحوار، وكانت هذه المفاهيم متقاربة في اللفظ والمعنى، فيورد الباحث بعضها، وهي كما يأتي:

١ – هو: "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة؛ فلا يستأثر أحدهما دون الآخر به، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب ".

(*) د/ عبد الحميد متولي ، البرازيل.

٢ – هو: "محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر؛ بعيدًا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر ".

والمتأمل في هذه المفاهيم، يجد أنها اتفقت في الحوار على ما يأتي:

١ – أنه عبارة عن مناقشة ومحادثة.

٢ – أن يكون بين طرفين، سواء شخصين أو فريقين، أو شخص وفريق.

٣ – أن يكون في موضوع أو قضية محددة.

وهذه الثلاثة تعدُّ أركانًا للحوار فضلًا عن الركن الرابع، وهو: الهدف من الحوار (الوصول إلى الحق)، والذي ذُكر في المفهوم الثاني.

وعند النظر إلى المفهوم الثاني، نرى أنه قد اشتمل على أركان الحوار الأربعة، التي تساعد على سير عملية الحوار بشكلٍ منتظمٍ وسليم، وتقود إلى تحقيق التكاتف والترابط والتعاون بين أفراد المجتمع، أو بين المجتمعات المختلفة؛ نظرًا لما تقتضيه طبيعة النفس البشرية من اختلاف، وتضارب في وجهات النظر، الأمر الذي يجرف بالأفراد والمجتمعات إلى النزاع والفرقة، بل إلى الحروب والدمار؛ مما يسبب ذلك في اختلال وزعزعة الأمن بشتى جوانبه، ولكن بالحوار تزول القلاقل وتضمحل، أو تقل وتهدأ.

ضوابط الحوار:

أولا: ضرورة العلم بالقضية المطروحة للنقاش والحوار:

لا بد للمحاور من معرفة القضية المطروحة للنقاش والعلم بها، بل وتكون واضحة المعالم؛ لأن "المطلوب هو الوضوح في طرح الأفكار والتدليل عليها "، ولا يكون ذلك إلا إذا فهم المتحاورون موضوع الحوار المراد نقاشه، إذ كيف يعرض الإنسان أفكاره أو يناقش قضية لا يحيط بها علمًا.

ثانيًا: وحدة الموضوع:

إن الالتزام بالموضوع الذي تم الاتفاق عليه من قبل المتحاورين، وعدم الخروج عن عناصره، يعين على استمرارية الحوار، ووضوح طريقه. فالخروج عن موضوع الحوار وكثرة الاستطرادات لا يأتي إلا من أحد شخصين:

١ - من لا يجيد الحوار، ولا يعرف ضوابطه.

٢ - من يخشى الغلبة، ويريد التمويه وعدم الاستسلام للحق.

" فالمحاور الناجح هو: الذي يرتب أفكاره ويربط بينها ، ويحذر عند تزاحمها من اختلافها؛ لأن هذا يؤدي إلى اضطرابها ومن ثم الانحراف عن موضوع النقاش والحوار.

ثالثًا: حسن الفهم:

إن الفهم قدرة عقلية تتفاوت بين الناس في قوتها وضعفها، فحسن الفهم يجعل الحوار يسير بيسر وسهولة، وذلك من خلال وضوح أفكار الموضوع

وأبعاده المطروحة لكلا المتحاورين، فتسلحهما بالفهم الصحيح يختصر الطريق ويقرب المسافات، وأما ضعيف الفهم، فهو يعيق سير الحوار، فقد يحتاج إلى تكرار الفكرة المطروحة وبيانها عدة مرات، مما يجعل الحوار يطول، وتتخلله السآمة والملل، وكذلك قد يفهم تلك الفكرة على غير مراد قائلها، فترتفع الأصوات ويُثار الغضب، ويخرج الحوار عن مساره الصحيح.

رابعًا: السعي وراء الهدف من الحوار ما أمكن، وهو الوصول إلى الحق، مع عدم الإصرار على إقناع الطرف الآخر.

ومما يحقق للحوار أهدافه : رضا الطرفين في الحوار على ما يصلون إليه من الحق في حوارهم، حتى ولو كان ذلك في صالح الطرف الآخر؛ لأن الهدف هو الوصول إلى الحق، فلا يتقدم إلى الحوار من يحمل معه الإصرار على رأيه إن لم يكن الحق معه، قال الشافعي رحمه الله: " ما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه"؛ لأن مقصوده من المناظرة إظهار الحق والتوصل إليه، وليس الانتصار لنفسه أو لرأيه، وهذه منزلة عالية تحتاج إلى تربية جادة حتى يستطيع الإنسان تحقيقها.

معوقات الحوار:

التعصب والحزبية: جناحا التعصب هما ضعف النفس وجهل العقل، ومن ثم يؤدي التعصب إلى الحزبية التي يبتلى بها كثير من المنتسبين إلى طائفة في العلم أو الدين، فإنهم لا يقبلون من الدين لا فقهًا ولا رواية إلا ما جاءت به

طائفتهم. ولا يميلون إلا إلى الاجتماع برفقائهم في الطائفة نفسها أو الحزب الذين يحملون أفكارهم نفسها، فإذا اجتمعوا بمن يخالفونهم في بعض الآراء؛ فهم معزولون عنهم بحاجز نفسي هو اهتمامهم بسحق المخالف وإفحامه، بل وإذلاله!!

وهم لا يرون الوجود حولهم إلا من خلال هذا اللون الحزبي الذي يوقعهم في الكثير من الأخطاء كالتعصب ضد الآخرين والتحامل عليهم، وبالتالي فهم لا يرون الاستماع إلى هؤلاء المخالفين الجهلاء! فضلًا عن مناقشة آرائهم وعرضها على بساط البحث والنظر.. بل كل جهد الحزبيين إنما يوجهونه للدفاع عن آرائهم، واستحضار الأدلة والبراهين.

إن من يدخل ساحة الحوار بقوالب فكرية معدة مسبقًا وانتماءات حزبية مقررة سلفًا، إنما يدخل الحوار لتقرير رأيه ، والمدافعة عنه ، والتعصب له، وليس عنده الاستعداد أبدًا أن يتنازل عن رأيه ، حتى وإن تبين له خطؤه.. ومن هنا تتصدع جسور التواصل بين المتحاورين، ولا يصل الحوار إلى أي نتيجة بحال.

التصنيف المتعسف:

يمثل هذا المرض الحواري (التصنيف المتعسف) لونًا من ألوان الإعاقة الذاتية لسير الحوار في طريقه الواضح المستقيم .. ذلك أن أصحاب هذه الطريقة في التفكير يسيطر عليهم التصنيف المتعسف وغير الحقيقي للآخر، ويجعلون من هذا التصنيف الخاطئ ما يمكن أن نطلق عليه الفلتر الذي يتلقون من خلاله

ما يعرضه عليهم الآخر من أفكار، بل ليس عندهم أدنى استعداد لتغيير هذا الفلتر مهما أتى الآخر من أقوال أو أفعال تدل على تغير أفكاره!! فالحوار يبدأ بالتصنيف وتُفسر الأقوال والأفعال بناءً على هذا التصنيف حتى ولو كانت لا تدل عليه.

كراهية الآخر:

في بعض الحوارات يظهر الحق جليًّا، ولكن يبقى صراع الآخر قائمًا بتأثير عوامل نفسية لا يجدي معها دليل ولا منطق.. ومن هذه العوامل النفسية : كره المحاور لمن يحاوره ، ذلك الكره الذي يدفعه إلى رفض ما عنده وإن كان صوابًا.. وذلك كحال اليهود مع النبي ﷺ؛ فقد كانوا يعرفون الحق قبل ظهوره ﷺ، فلما جاءهم هو به لم ينقادوا له حسدًا وكرهًا.

إن الحوار الفعال يحتاج دائمًا إلى طاقة عالية من الحب، تحرر العقل من الخوف، وتوفر الأمان الفكري الذي يسمح بتبادل الأفكار على أساس من رؤية واضحة ومتحررة من القيود الفكرية.

إن من يدخل الحوار وقد انطوت نفسه على كره الآخر تراه يشتد في الحوار حول ما يعرضه الآخر عليه من أمور لو أتته من غير هذا المحاور لقبلها بلا جدال.

توصيات:

١- تدريس مادة الحوار وآدابه في جامعاتنا المصرية.

٢- عمل المؤتمرات والندوات وورش العمل لدراسة هذه القيمة الإسلامية العظيمة والدعوة إليها.

٣- نشر ثقافة التنوع والاختلاف والحوار في المجتمع عن طريق الصحف والمجلات والإعلام.

* * *

الحوار في القرآن الكريم
أنماطه وعلاقته بالمقاصد(*)

من أنماط الحوار الحوار الداخلي والحوار الخارجي:

الحوار الداخلي يشير إلى الخطاب التعليمي الإسلامي الذي يراد به تعليم الداخل الإسلامي وتمكين العقيدة الإسلامية وتبيين أخطاء المخالفين، وهذا الخطاب مختلف تمام الاختلاف عن الخطاب الخارجي للقرآن الكريم الذي يتعامل من خلاله مع العالم الخارجي المخالف.

ومن نماذج الحوار الداخلي قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الممتحنة:١)، فهذا حوار تعليمي تقويمي لخطأ وقع فيه أحد أبناء الأمة المسلمة في فهم علاقته مع الآخر المحارب، وعليه جاءت المقابلة بين الذين آمنوا والذين كفروا، واختيار لفظ «عدو»، وكان المقصود بهذا الخطاب الداخل الإسلامي.

ودليل ذلك نموذج من مستوى الحوار الخارجي، الذي يعتمد على لغة بالغة التلطف والتودد، واجتذاب القلوب، والتركيز على المشتركات، واختيار الكلمات، كما نراه في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ

(*) د/ محمد فوزي عبد الحي، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر.

أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴿٤٦﴾﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ولعله استرعاك قول الله تعالى: ﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقوله: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴿٤٦﴾﴾، فاللفظ المستخدم هنا في الحوار الخارجي يتسم بنوع من «التلطف الجميل» و«القول الأحسن» - لاحظ الأحسن ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وليس الحسن فحسب، - لذلك يجب على من يتصدى للحوار أن يعترف بأن غيره من أهل الأديان مؤمنون، ولكنهم مؤمنون بعقائد تخالف عقيدته.

ومن ذلك النوع من الخطاب الخارجي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴿١٢٥﴾﴾(النحل: ١٢٥)، فهذا خطاب للدعوة الخارجية بدليل «وجادلهم»، والمسلمون لا يعرف عنهم مجادلة النبي (صلى الله عليه وسلم) في حقائق العقائد والشرائع، ولو راجعه بعضهم في مسألة فإنما هو على نحو الاستبيان والتيقن، لا التشكك والتنطع.

- الحوار المباشر وغير المباشر:

الحوار المباشر هو حوار يعمد إلى الحقائق فيبينها، ويصرح بها دون مواربة، وإلى المثالب والنقائص فيحددها في صراحة، وهذا الحوار يقرع الآذان بحقائقه

المجردة، بلا لبس ولا مهادنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ فهذه مفاصلة في العقيدة والعبادة، لا لبس فيها ولا خفاء؛ وسبب اللهج بها استمراء المشركين للكفر، وركوبهم الكبر، واضطهادهم للمؤمنين المستضعفين بالقتل والتنكيل، وإنكارهم حق المسلمين في حرية العقيدة والعبادة.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٩ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٣٣﴾ (هود الآيات:٢٨-٣٣)، فالنبي نوح (عليه السلام) يبين لهم ما هم عليه من العمى بشكل مباشر، وما هم عليه من الجهل والغفلة، وهذه كلها جاءت مباشرة وواضحة، وهذا الحوار إنما يستعمل في نهاية مسيرة الدعوة عند اشتداد الخلاف، واستكبار المخالف عن قبول الحق، وتعنت المحاور في قبول البراهين الواضحة،

بحيث لا يمكن بناء جسر للتواصل، ولا استبقاء طريق لرعاية أصول الاجتماع، وتقوية نقاط الاتفاق.

ولكن انظر إلى حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الأنبياء: الآيات٦٢،٦٧)، نجد أن نبي الله إبراهيم لم يعمد إلى القول بأنه الذي حطم أصنامهم، بل أرشدهم بتلطف إلى سؤال كبير الأصنام، وأرشد إلى ملكة النطق، لتهديهم سبيلًا، فرجعوا في برهة إلى عقولهم، ثم غلبت عليهم عادة الضلال والشقوة فانتكسوا، فأعاد عليهم الدليل بالإشارة إلى عدم النفع والضر، واستنهض فيهم العقل.

والحاصل أن الحوار المباشر تسمى فيه الأمور بشكل مجرد من المواربة والتورية والمجاز، وذلك عند اشتداد الكبر، وتمادي الكفر، وقرع أجراس الخطر المحدق بالمحاور الذي تخشى عليه المخاطر والمزالق والضياع، وأما الحوار غير المباشر ففيه تلطف، وإرشاد موجه باستنهاض العقول والقلوب.

- الحوار الخاص والعام:

يشير الحوار الخاص إلى استخدام لغة حوارية خاصة، يقصد المحاور فيها إلى

شخص بعينه أو مجموعة محددة، وأما الحوار العام فيعمد المحاور فيه إلى استخدام صيغ العموم بالإشارة إلى جملة الناس وعامة المجتمع.

ولا يخفى أن القرآن الكريم قد استعمل المستويين كثيرًا، وإن كان الخطاب العام والحوار العام أكثر شيوعًا لأنه أكثر تلطفًا، ولذلك كان هذا النوع من الخطاب هو المتبع من النبي ﷺ، فأخرج أبو داود عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «كان النبيُّ ﷺ إذا بلغَه عن الرجلِ الشيءَ، لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقولُ، ولكن يقولُ: ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا»(١).

ومن أدوات الحوار العام صيغ النداء العامة مثل: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ»، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»، « أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ »، كما أن من أدوات الخطاب الخاص، صيغ الإفراد نحو «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»، «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»، «قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا»، ونحوها، وصيغة الخطاب العام هي الصيغة التي يجمل الحوار بها في وسائل الإعلام، خاصة إذا كانت الغاية الوعظ والتذكير والإصلاح وتقويم الأخطاء.

علاقة الحوار بالمقاصد القرآنية:

إذا استقرأت المقاصد العامة للقرآن، وجدتها تندرج في الجملة في ثلاثة مقاصد أساسية:

١- مقصد التزكية: وهو شامل لأصول الإيمان والهداية والعلم والتعليم

---

(١) أبو داود في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٤/ ٢٥٠ (ح: ٤٧٨٨)، (بيروت: المكتبة العصرية).

والتطهر والتعبد والتنسك والتجرد، وهذه تفاصيل العقيدة والعبادة بعامة، فهي قوام التزكية الروحية واليقين النفسي، وما يترتب على ذلك من تزكية النشء والعامة والآخر بنشر هذه الفضائل والدعوة إليها.

٢- مقصد التعارف: وهو يستغرق التواصل بين الناس، على مستوى الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم، وما يتبع ذلك من تبادل المعارف والثقافات والتقنيات والمناهج وسبل الهداية والرشاد والتنوير في أبواب التربية والتعليم والاجتماع والعمران والسياسة والاقتصاد وغيرها، ويدخل فيه تبادل السفارات والبعثات الدبلوماسية بين الدول، وتبادل الخبرات العلمية، وعقد المؤتمرات، وجلسات الحوار، ومحافل النقاش والدرس بين العلماء من مختلف الثقافات والأديان والأمم.

٣- مقصد العمران: وهو يشير في الأساس إلى العمران المادي من حيث البناء، والتطوير، والبنية التحتية، وتعمير الصحاري، ومد الطرق، وتوفير سبل الحياة الكريمة.

وهذه المقاصد الثلاثة تجتمع على إصلاح أفراد البشر، وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرشد، وهو طور يقبل الحوار والتباحث والتناظر والإفادة، بحيث تتحقق تزكية نفوسهم، وترقية عقولهم ، وتتجذر أسس الإيمان بأخوتهم الإنسانية ومصيرهم الواحد، وفيما يلي إضاءة على علاقة الحوار بهذه المقاصد الكبرى.

أ- الحوار والتزكية:

التزكية: تربية النفس وتهذيبها وتنميتها بالخيرات والبركات، بحيث يصير الإنسان مستحقًّا في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره، والتزكية تنسب تارة إلى العبد لاكتسابه ذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا۝٩﴾ (الشمس: ٩) وتارة تنسب إلى الله تعالى لكونه فاعل ذلك في الحقيقة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ الله يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا۝٤٩﴾ (النساء: ٤٩)، وتارة تنسب إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنه واسطة لحصول ذلك: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ۝١٠٣﴾ (التوبة: ١٠٣).

وفي معرض حوار التزكية، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ۝٢﴾ (الجمعة:٢)، فالتزكية من خلال التربية بالعلم والعمل وحسن الأسوة، والتطهر من الدنس القلبي، شركًا ورياءً وكبرًا واستعلاءً، وغرس أصول الإيمان والإحسان والبر والخير والعطاء، كلها مطلوبات شرعية تندرج تحت مقصد التزكية، وهو أحد مقاصد الرسالة والقرآن.

ولا شك أن التزكية في دين الإسلام تقوم في مبناها الداخلي والخارجي على أساس من «الحوار»، فلو تأملت قليلًا وجدت أن تعليم القرآن والسنة، وتعليم

التلاوة والعبادة والحكمة، إنما هي عن طريق الحوار التعليمي والوعظي، بشقيه النظري والتطبيقي، والتعليم بأنواعه وما يشتمل عليه من علم ديني ودنيوي إنما هو تزكية للإنسان، والحوار من أنجع سبل ذلك.

كما أن أعظم عبادات الإسلام، وهي عبادة الصلاة، هي محض «حوار قائم متكرر» مع الله كل يوم خمس مرات على الأقل في الصلوات المفروضة، كما أنها مناسبة لحوارات علمية واجتماعية وترشيدية وتربوية مختلفة وقيام علاقات شخصية قوية ومباشرة[1] بين الناس؛ فتكون الصلاة علاجًا ناجعًا لوأد أمراض الانعزال والسلبية والوحشة، فهي شعيرة ممهدة لحوارات عديدة.

كما أن الدعاء ، هو حوار بين العبد وبين ربه يتخفف فيه العبد من مواجعه وآلامه بالاستناد إلى ربه، ويحفز فيه همته بالحديث عن أحلامه وأمانيه.

إن مقصد التزكية في حاجة ماسة إلى الحوار بمختلف صوره، كما أن ممارساته المختلفة يكتنفها لون من الحوار الروحي بين الإنسان وربه، وبينه وبين بني مجتمعه، وغيرهم ممن يرومون المعرفة به، وتستبين أهمية التزكية عند استقراء موارد الشريعة الدالة على مقاصدها العامة، إذ كليات دلائلها وجزئياتها تبين أن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ولا بد لصلاحه من صلاح عقله، وصلاح عمله،

---

(١) قارن علي عزت بيجوفيتش، الإسلام والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، (بيروت: مؤسسة العلم الحديث، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م)، صـ ٢٩٥.

وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم، وأنى تتأتى هذه الغايات الإصلاحية دون التزكية، فالتزكية أصل لما يلي من مقصدي التعارف والعمران.

ب- الحوار والتعارف:

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ (الحجرات: ١٣)، وهذا التعارف هو عينه نوع من الحوار ، كما أن الحوار وسيله من وسائله، إلا أنه يمتاز بحسن القصد، وابتغاء العلم، والإخلاص في استبقاء الألفة وتقوية الجسور الثقافية والأعراف الإنسانية الإيجابية بين الأمم والشعوب والأعراق المختلفة لغة، وثقافة، وأعرافًا، وأديانًا، إلا إنها تشترك في أرومة الإنسانية، والحرص على بقائها وصيانتها وحقوقها ورفاهيتها؛ ومن ثم يدرك العامة والخاصة استواءهم في أصل الخلق، وحاجتهم جميعًا إلى مطلب التعارف والإفادة منه، بحيث يترقون في سلم القيم إلى سمو مرتبة التقوى، وهذه تقوى خاصة، فليست بمحض عبادات شعائرية على أهميتها، ولكنها تقوى تستغرق النشاط الإنساني، من نقل العلم، ونشر التحضر، ومشاركة التجارب، وتقويم المعاملات الإنسانية، ونشر قيم العطاء والتطوع، واستنهاض المساهمات المجتمعية، واحترام اختلافات الإنسانية وخصوصياتها وتمايزها.

ومقصد التعارف في الحوار دليل على أن سيادة نزعات الخصومة والجدال وحب الظفر والغلبة في حوارات الأزمنة الماضية كانت غايات طفولية لإنسان ذلك العصر، ذلك أن الله لم يطلب إلينا أن نطلب الغلبة والظفر على الناس من خلال

تركيب الحجج في الحوار وانتزاع البراهين ودحض آراء المخالفين، وإنما ندبنا إلى التعارف، أي طلب معرفة ما لدى الغير من الأفكار، والعقائد، والآراء، والعلوم، والعادات، والطبائع، والأنظمة التي من خلالها يستقيم للناس السير بالعمران الحضاري قدمًا، والتمهيد للتعايش الإنساني على طبيعته المختلفة، وتنوعاته المشاهدة؛ وهذا النوع من الحوار التعارفي والتعارف الحواري نفسه ينفي نزعات العنصرية، والاستعلاء، والهيمنة، ويدحض نظريات الصدام الحضاري، ونهاية الإنسان، وخراب العالم.

ج- الحوار والعمران:

العمران مقصد رئيس من مقاصد استخلاف الله الإنسان على الأرض، إذ يهدف إلى حفظ النظام العام للدولة، والأمة، والعالم من حولنا، من خلال تهذيب تصرفات الجماعة وترقيتها، وتوزيع الأدوار فيها، وتمهيد الخطط لتكاملها، ورعاية مصالح الأمة برعاية مصالح مواطنيها جميعًا، ولذلك جاء الخطاب به في القرآن عامًّا، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هود: ٦١).

والعَمَرُ والعُمْر: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، وكأن العمارة هي حياة الأرض، فهي روحها، والعمارة تكون بالتمدين والبنيان، وتكون بالثواء والبقاء وتكرار الزيارة، وتكون بحفظ المكان على وجه من وجوه الكمال، ترتقي أو تنحطّ بارتقاء الإنسان وانحطاطه، وهذا المقصد القرآني مخاطب به الناس جميعًا، مسلمهم

وكافرهم؛ وهم في جملتهم لا يختلفون فيه، فإصلاح الأرض بالعمران، وتنميتها بالعلم والتحضر، ورعاية أهلها بالتعليم والتطبيب وحماية حقوقهم وتوفير سبل الحياة مما لا يعارض فيه معارض.

ولا ريب أن تنوير الناس بطرق العمران، ومعاقد الحقوق، وصناعة التمدين، والإيمان بالحق في الحريات، واحترام المخالف العقدي أو المذهبي أو الاجتماعي أو السياسي إنما يستدعي ألوانا من الحوار المعمّق والمستقر والمستمر بين أعضاء المجتمع، ونخبه، وقياداته، عبورًا إلى عامته، والاجتماع على هذا المقصد يجب أن يكون أصلا في انعقاد كل محفل أو اجتماع أو مؤتمر للحوار، وهذا الأصل القرآني هو ما يشد روابط الإنسانية في عالم اليوم ويمنعها من اتباع وساوس الفرقة وسبل الحروب والخراب.

* * *

الحوار وأهمية المشترك الإنساني (*)

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم؛ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق على هذه الأرض بشرًا يعبدونه ويقيمون شعائر دينه، ويخلف بعضهم بعضًا في سُكنى الأرض وعمارتها، قال تعالى: {وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ} (البقرة:٣٠)

وتحقيقًا لهذه الغاية العظيمة؛ خلق الله الخلق من نفس واحدة، وجعلهم شعوبًا وقبائل متفرقة؛ ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا فيما بينهم، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ الله أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٞ} (الحجرات:١٣).

ودعاهم إلى احترام الإنسانية التي يجتمعون تحت مظلتها، وأوصاهم بالمحبة والسلام والوئام، وأمرهم بنبذ الخلاف والتعصب؛ ليعيشوا حياة هانئة كريمة مطمئنة، وحثهم على التآلف والتعاون، ودعاهم إلى التحاور فيما يتعلق بشئون حياتهم الدينية والثقافية والاقتصادية ...إلخ؛ لتشييد بناء المستقبل المشترك بين شعوبهم، دون النظر إلى مذاهبهم وألوانهم وأعراقهم وأجناسهم، إذ من غير الممكن أن يحدث الأمن والاستقرار والتوافق والتعاون بين أفراد الشعب الواحد من جانب، وبين شعوب الأرض من جانب آخر بدون اللقاء والحوار.

(*) د/ محمد أحمد الخلايلة، وزير الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية.

وهكذا يبقى الحوار – في كل زمان ومكان – حاجة إنسانية ملحة؛ لعظم الفوائد المترتبة عليه للناس جميعًا، ولبث الأمن والسلام والاستقرار في ربوع الأرض، والعمل على تحقيق مستقبل أفضل لشعوب العالم كله؛ مستقبل يستجيب لآمالهم وتطلعاتهم، ويوفر لهم أمنهم واستقرارهم.

وما من شك أن الحوار الحضاري في إطار من المشترك الإنساني هو الكفيل بتحقيق ذلك، وهو الطريق الأفضل لفهم الآخر والتعرف على رؤاه ومقاصده.

معنى المشترك الإنساني:

المشترك الإنساني كلفظ مركب: هو القيم والعادات الإنسانية التي تشكل القاسم المشترك بين مختلف البشر والأديان والحضارات ، والتي تنبع من حاجة الإنسان الفطرية والحياتية ، بصرف النظر عن دينه وجنسه ولغته وبلده ومعتقده.

والمشتركات الإنسانية بين البشر كثيرة ومتنوعة، يأتي في مقدمتها: الدين والعقيدة والأخلاق والقيم والثقافة والأرض والعرق واللغة والرياضة والسياحة، وتشكل هذه المشتركات الإنسانية بصورها المتعددة مادة الحوار ونقطة الالتقاء بين أفراد المجتمع الإنساني.

أهمية الحوار الإنساني:

للحوار أهمية كبيرة في تذليل العقبات وحل الإشكاليات؛ لأنه يتيح المجال لأطراف الحوار إبداء وجهات نظرهم وعرض آرائهم وطرح أفكارهم،

والاستفادة مما يعرضه الآخرون من أفكار وآراء، الأمر الذي يؤدي إلى تلاقح الأفكار وتكاملها واختيار الأفضل منها، مما ينتج عنه تصحيح المفاهيم وحل المشكلات وتجاوز العقبات، ونشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع الإنساني، والقضاء على المشاكل والخلافات المجتمعية العالمية والتخفيف من آثارها، ويمكن إظهار أهمية الحوار الإنساني من خلال ما يلي:

١- نبذ الخلاف والتخاصم:

إن الاختلاف في اللون والجنس واللغة والأفكار والرؤى سنة ربانية ماضية، لا يمكن تغييرها أو إلغائها، والذي يقدم على ذلك يروم محالاً ويطلب ممتنعًا، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف، قال تعالى: { وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ } (هود: ١١٨)

فالله تبارك وتعالى خلق الناس مختلفين، فكل إنسان له شخصيته المستقلة، وتفكيره المتميز، وميوله الخاصة، ومن العبث صب الناس في قالب واحد، ومحو كل اختلاف بينهم، فهذا أمر مخالف للفطرة التي فطر الله عليها الناس.

من هُنا برزت أهمية الحوار كنمط اتصالي ووسيلة ناجحة يساعد في تقريب وجهات النظر بين المُختلفين، ويعمل على الخروج بحلول مرضية لكافة أطراف الحوار.

٢- تحقيق التعارف والتقارب بين الأفراد والمجتمعات:

جُبِل الناس منذ بدء الخليقة على الاجتماع، والتعارف، والاختلاط، ولا يمكن لهذه الأمور أن تتحقق وتصبح واقعًا ملموسًا إلا من خلال الاتصال والحوار،

فالاتصال عامل مهم في تكوين المجتمعات الإنسانية، و الحوار سبب رئيس في تعارف أفرادها وتآلف مكوناتها، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ الله أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِير} (الحجرات:١٣)، ولا يمكن منطقيًّا أن تقوم مجموعة اجتماعية لا حوار بينها ؛ لذلك عُدّ الحوار ضرورة من ضرورات استمرار الحياة الاجتماعية .

٣- تحقيق المصالح المشتركة:

يسهم الحوار الإيجابي في خلق التعايش السلمي بين الأفراد والدول، الأمر الذي يسهم في تلبية الحاجات الضرورية وتوفير المتطلبات الأساسية التي يحتاجها الإنسان في حياته، وفي غياب الحوار وشيوع الخلاف والنزاع يصبح من الصعب بل من المستحيل توفير أدنى المتطلبات المعيشية للأفراد فضلاً عن الدول، ففي حالة التوافق يتعاون أفراد الدولة الواحدة على تأمين هذه الحاجيات، وعلى المستوى الدولي تعمل الدول على إعانة بعضها في توفير المتطلبات اللازمة لبقاء الجنس الإنساني، فالثروات والخبرات والصناعات والعلوم والتكنوجيا، تتداولها الدول فيما بينها، ويستفيد منها الأفراد على اختلاف عقائدهم وأجناسهم لتحقيق التنمية المطلوبة، وفي تقرير هذا الأمر يقول ابن خلدون: " قد عرف وثبت أنّ الواحد من البشر غير مستقلّ بتحصيل حاجاته في معاشه، وأنّهم متعاونون جميعًا في عمرانهم على ذلك"[1].

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ص ٤٥٠، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

وتظهر أهمية الحوار في مجالات أخرى متعددة؛ كنشر الثقافة، وبناء الحضارة، وتبادل الخبرات، وتعلم العلم، وحماية البشر من الأوبئة والأمراض، وتطبيق القانون، وهذا ما لا يُمكن تحقيقه إلا بوجود التواصل والحوار البناء الذي يقوم على العدالة، واحترام الرأي الآخر، والوصول إلى تحقيق المصالح المشتركة.

نماذج الحوار الإنساني:

وكما - الحوار الديني: ويمكن تقسيم الحوار الديني إلى قسمين: الحوار بين أتباع الدين الواحد، والحوار مع أتباع الديانات الأخرى.

الحوار بين أتباع الدين الواحد:

يعد الحوار بين أصحاب الآراء المختلفة من أهم الوسائل التي تؤدي إلى الاتفاق والوصول إلى أفضل النتائج، وتاريخنا الإسلامي يزخر بصور مشرقة من نماذج الحوار الإيجابي التي حفظت بيضة الأمة من التمزق، وأسهمت في نشر الدين ورد الشبهات عنه، وقللت من التعصب لاجتهادات الفقهاء في المسائل الفقهية، ويمكن إبراز أهمية الحوار الديني في هذا الجانب من خلال الآتي:

أولاً: الحفاظ على وحدة الأمة:

يظهر أثر الحوار في تحقيق وحدة الأمة فيما جرى بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما جرى في هذا الحوار من إبداء كل طرف لرأيه وقناعاته، ومناقشة الآراء المتداولة، والوصول

إلى ما فيه المصلحة العامة، وقد أدى هذا الحوار البناء إلى منع التصادم والخلاف، واختيار أبي بكر الصديق خليفة للمؤمنين بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) باتفاق الجميع ورضاهم(١).

ثانيًا: رد الشبهات:

ويتمثل بحوار عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- للخوارج وبيان فساد مذهبهم وأفكارهم ومعتقداتهم(٢)، وكان من نتائج هذا الحوار أن عاد كثير من الخوارج عن آرائهم ومعتقداتهم الخاطئة.

ثالثًا: نبذ التعصب المذهبي:

ولا سبيل للخروج من التعصب المذهبي وما يؤدي إليه من فرقة واختلاف إلا بالحوار، وسير أصحاب المذاهب حافلة بالحوار البناء الذي يزيل التعصب، ومما يذكر في ذلك ما ذكره ابْن الدَّرَاورْدِي قَالَ: " رَأَيْت مَالِكًا وَأَبا حنيفَة فِي مَسْجِد رَسُول الله - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- بعد الْعشَاء الْآخِرَة وهما يتذاكران ويتدارسان، حَتَّى إِذا وقف أَحدهمَا على القَوْل الَّذِي قَالَ بِهِ وَعمل عَلَيْهِ، أمسك أَحدهمَا عَن صَاحبه من غير تعسف وَلَا تخطئة لوَاحِد مِنْهُمَا، حَتَّى يصليا الغداة فِي مجلسهما ذَلِك "(٣).

(١) ينظر تفصيل هذا الحوار في الحديث الذي رواه البخاري، كتاب الحدود، حديث رقم: ٦٨٣٠.

(٢) ينظر تفصيل هذا الحوار: سنن البيهقي، رقم: ١٦٧٤٠.

(٣) الحسين بن علي الحنفي، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص ٨١، عالم الكتب ، بيروت.

رابعًا: بيان أحكام الدين:

ويظهر هذا في حوار النبي – صلى الله عليه وسلم– مع جبريل – عليه السلام– فيما يُعرف بحديث جبريل، وبحضور جمع من الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم– حيث تم من خلال هذا الحوار بيان أصول الدين وأركانه(١)، كذلك حواره – صلى الله عليه وسلم– مع الرجل الذي لم يحسن صلاته، فعلمه النبي – صلى الله عليه وسلم– كيفية الصلاة الصحيحة(٢).

الحوار مع أتباع الديانات:

بنيت أحكام القرآن الكريم على الحِكم وتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، وتنظيم علاقاتهم بربهم و بالآخرين، والمقصد العام للقرآن الكريم هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، وقد أعطى القرآن أهمية كبيرة لبيان أصول التعايش مع الآخر؛ لتحقيق التواصل السلمي، وحفظ الأمن، وإرساء دعائم الوسطية، وحفظ حقوق الناس على اختلاف أديانهم، وما من شك أن الحوار والتواصل بين بني الإنسان هو الكفيل بتحقيق كل ذلك، وأن انعدام هذه الأمور يؤدي إلى التنافر والبغضاء والشحناء، وحتى لا يحدث شيء من ذلك فقد أتاح الإسلام حرية اختيار الدين وعدم إكراه أحد على الدخول في الإسلام، وأقر

---

(١) ينظر تفصيل هذا الحوار في الحديث الذي رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، رقم: ٥٠.

(٢) ينظر تفصيل هذا الحوار في الحديث الذي رواه البخاري، كتاب الأذان، باب أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، رقم:٧٩٣.

بحرمة دماء وأموال أهل الذمة والمعاهدين، وأوصى بهم، وأمر بالبر والإحسان لكل من لم يقاتل أو يظاهر على قتال المسلمين، وأكد على أن اختلاف الدين لا يلغي حقوق ذوي القربى، وأمر بالوفاء بالعهد، وبين أن الأصل في العلاقة بين الجميع أن تكون قائمة على النصح المتبادل.

وقد حرص الإسلام ومنذ بزوغ فجره على الحوار مع جميع الأطراف لتحقيق المصالح الإنسانية.

أهمية الحوار الثقافي:

إن الضرورة الحياتية تدفعنا للبحث عن قواسم مشتركة نبني عليها علاقاتنا مع الآخرين، وهو ما يملي على المختلفين في عقائدهم ومذاهبهم اللجوء إلى لون آخر من ألوان الحوار، وهو حوار التعامل والثقافة والحضارة، وهو حوار تفرضه السياسة الشرعية، وتمليه طبيعة التعايش بين البشر بحكم الجوار والمصلحة.

ويركز هذا اللون من الحوار على النقاط المشتركة التي يتفق عليها المتحاورون، فيهدفون إلى تعميقها والتكاتف في سبيلها، وغالبًا ما تصطبغ بالصبغة الأخلاقية أو المصلحية، كالحوار حول السلام العالمي، والتعايش بين الأمم، ومكافحة الشذوذ، وإرساء قيم الحرية والعدل والمساواة، ومعالجة قضايا الانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري.

والحوار الثقافي هو وسيلة لغاية أسمى هي تحقيق التقارب بين الثقافات المختلفة وتفادي الخلافات المؤدية للنزاعات والحروب والتطرف، فهو آلية أو

وسيلة لتقريب وجهات النظر المتباعدة، وتحقيق التواصل والتفاهم بين الجماعات المتعايشة في مكان واحد أو في أمكنة مختلفة، لأن غياب حوار ثقافي يؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع والنسيج الاجتماعي، ويعود السبب في ذلك إلى أن لكل ثقافة نمط حياة وعادات وتقاليد تسهم في تكوين إطار خاص للثقافة وانغلاقها على نفسها، مما يؤدي إلى تفكيك الإطار المشترك وهو المجتمع أو الدولة.

فالحوار الثقافي يكرس الاعتراف بشرعية جميع الثقافات الموجودة في المجتمع، والتعرف على عادات الثقافات الأخرى وقيمها وتقاليدها، وتحقيق المساواة والحريات بين جميع الثقافات الموجودة داخل المجتمع، والاحترام المتبادل بين الثقافات المختلفة.

ركائز الحوار الثقافي:

تعد المشتركات الإنسانية التي تجمع بين بني البشر هي القاعدة التي يقوم عليها الحوار الثقافي، وهذه المشتركات متعددة متنوعة، منها العام والخاص، ومنها مشتركات داعمة، وهي كثيرة لا يكفي المقام هنا لذكرها جميعًا، يأتي في مقدمة هذه المشتركات:

١- الأخلاق: فالأخلاق فطرة مستقرة في النفس البشرية، وهي مشترك إنساني مهم للحوار بين بني البشر للدعوة إلى الأخلاق الفاضلة؛ كالصدق والأمانة والعدل، والبر والإحسان ...، والتصدي للرذائل، كالكذب والخيانة والظلم ... وهذه أمور مجمع عليها بين الديانات وبني البشر.

٢- الحقوق الإنسانية: حيث يشترك البشر جميعًا في جملة من الحقوق، كحقهم في الحرية، والأمن والعدل والمساواة والكرامة، وهم مشتركون في هذه الحقوق، لا يجوز انتقاصها أو سلبها منهم.

٣- الرياضة والفنون: وهي من المشتركات الداعمة التي تجمع بني الإنسان وتنشر الألفة بينهم، وهي أمر مشترك بين الديانات والمجتمعات الإنسانية.

وختامًا .. فالحوار الإنساني بأنواعه المختلفة هو ضرورة حيوية لاستمرار النوع الإنساني على هذه الأرض، وتحقيق التآلف والتقارب والتعارف بينهم؛ ذلك أنه يشكل قواسم مشتركة بين بني الإنسان، ويوصل لتعاون بناء بينهم في المجالات كافة، ويسهم في نبذ الخلاف وتحقيق الأمن المجتمعي بين أفراد المجتمع الواحد، والأمن الدولي بين دول العالم وشعوبه، على اختلاف أديانهم، وألوانهم، وأجناسهم، وثقافاتهم، كما أنه عامل رئيس في تقدم الشعوب ورفاهيتها وتوفير متطلباتها وحاجاتها في الأمور كلها.

* * *

الأديان وتشاركها في بناء حضارة الإنسان(*)

في وقت أصبح فيه العجز عن التفاعل مع الآخر سمة واضحة، وصارت لغة التعامل تحمل الكثير من الإملاءات ، ويهيمن عليها مفردات القوة والمصلحة الظرفية، بدلًا من اللقاء على القواسم المشتركة التي تتيح لغة إيجابية في حوار قادر على استنباط الأفكار، والاستفادة من تراكم التجارب الإنسانية من خلال هذا التلاقي.

وعلى اختلاف الانتماءات ، صب الجميع اهتمامه لفرض آرائه وقيمه وجذوره الحضارية لتخرج عن إطار "الرأي" ؛ لذلك باتت محصلة السنوات الأخيرة لا تذكر - بالمقارنة لما هو مفترض - من تواصل عميق فيما بينها ، كان ولا يزال هو الطريق الذي يؤدي بالضرورة إلى قبول الآخر قلبًا وقالبًا، وإلى الالتزام بفكرة المشاركة بدلًا من الهيمنة.

لقد عاشت الإنسانية تجارب تجعلها تؤمن بأن مبدأ فرض الرأي بالقوة ، والغراس الفكري المشحون بالعنف، ما هو إلا نوع من التخلي الطوعي عن الفهم والمعرفة، بل وقتل شعور الحرية لدى الأفراد في أي بلد كان، والسؤال المطروح الآن، هو: كيف يمكننا أن نعلي من جوهر القيم الإنسانية والحضارية التي

(*) د/ محمد بشاري، أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوربي بفرنسا.

هي في ذات الوقت جوهر جميع الشرائع السماوية التي ما جاءت إلا لتعلي قيمة الإنسان على سائر مخلوقات الكون؟

وبلا شك فإن الأحداث السياسية، والمتغيرات الاجتماعية، والانقلابات الفكرية، التي مرت بها البشرية خلال العقود الأخيرة وخاصة خلال عام وباء كورونا، و ما أحدثته من تداعيات صاحبتها عدة مبادرات رسمية، و شعبية، دفعت بصناع القرار، و القيادات الدينية، و الفكرية، ومراكز الأبحاث والإعلاميين، و منظمات المجتمع المدني، أن يتوقفوا قليلاً؛ لتدارس مصير هذه الأحداث وتأثيرها على المشهد العالمي وعلى واقع ومستقبل البشرية وليس فقط واقع ومستقبل الأجناس والثقافات والأديان والحضارات.

قضية الحوار:

لقد أصبحت قضية الحوار في عالمنا المعاصر ضرورة ملحة على جميع المستويات، حيث نعيش في عصر تشابكت فيه المصالح وتعقدت فيه المشكلات على نحو لا مثيل له في واقعنا المعاصر، وعلى جميع الأصعدة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، ويومًا بعد يوم يطالعنا تصاعد هذه المشكلات سواء محليًّا، أو إقليميًّا، أو عالميًّا، فتأخذ أشكال صراعات وحروب وتراشقات قد يفضي بعضها إلى إبادة المخالف وتهجيره.

ومن هنا يمكن القول بأن الحوار قد أصبح أمرًا حتميًّا، بل ضرورة من ضرورات العصر، ليس كغاية في حد ذاته بل من أجل البحث عن حلول لهذه المشاكل المثارة وغيرها من الفتن. وتتصدر الظاهرة الدينية وتوظيفاتها المختلفة

هذه القائمة؛ حيث تعد القضايا الدينية و استغلالها جزءًا لا يتجزأ من الأثر في عقول الناس لما للدين من تأثير عميق لدى الناس وما يحظى به علماؤه من مكانة كبيرة عند المؤمنين. كما يعد الحوار الديني جزءًا لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات، فالحضارات في كل مكان من العالم قد قامت أساسًا، كما هو معروف، على قاعدة من الدين الذي يعد حتى اليوم في نظر اليونسكو - قمة مكسيكو ١٩٨٠- أحد المكونات الرئيسة لأي حضارة بالإضافة إلى اللغة والتاريخ والثقافة.

من هنا يتضح لنا أن الحوار الديني لا يمكن عزله عن أي أشكال أخرى للحوار؛ لأنه يتشابك معها بشكل أو بآخر تشابكا ظاهرًا أو خفيًّا أردنا أم لم نرد. وقد أكد على هذه البدهية الأستاذ (هانز كونج) أحد علماء الأديان المعاصرين المستنيرين في ألمانيا بقوله: " لا سلام في العالم إلا بالسلام بين الأديان، ولا سلام بين الأديان إلا بالتلاقي فيما بينها على أخلاق عالمية للسلام والعدل والحرية والتسامح"، وهذا الذي لا يمكن إرساء قواعده وتعزيز مبادئه دون الحوار، الذي لا يمكن أيضاً الشروع فيه ما لم تتحقق المساواة بين كافة أطرافه، فالحوار لا يبنى على تمييز وتمايز ولا على البدء بالكراهية.

فاعلية الأديان:

إن الحديث عن فاعلية الأديان، والبحث في العلاقة التشاركية وصهر العوامل المشتركة للإنسانية في بناء الحضارة التي تتطلع المجتمعات لبنائها منذ القدم،

والوصول بها لأسمى الدرجات، تقتضي في البداية إدراك المشكلة، ذلك أن معرفة العلة هي نصف الدواء، وبعدئذ لا بد من تجاوز العقبات والتحديات القابعة في الطريق.

وتعد ثقافة "التعميم" إحدى العوامل التي تلهب من ترسيخ "الشك"، والقلق من الآخر عند وجود أي من فرص بناء العلاقات ، سواء أكانت على صعيد شخصي اجتماعي، أم تربوي ، أم ثقافي ، أم غيره ، من مثل تعميم سلوك المتطرف، والإرهابي على مجتمع كامل، رغم أنه يمثل حالة شاذة، وغريبة على ذات مجتمعه، إضافة لبعض الصور المبعثرة والغريبة عن الأديان، التي تفرزها بعض الجماعات الدينية السياسية، بغية تحقيق أهدافها "الخاصة"، تحت غطاء ديني مما يضر بساحة الأديان، خلف قضبان "التشويه الديني".

إن كافة العوامل الآنفة، وبالتزامن مع وجود "تضخم" إعلامي متباين المهنية، والكفاءة، والثقافة، والأهداف؛ يعزز من إذكاء شعلة تمزق من "الرداء" الجامع للإنسانية، مضاعفًا من فرص العزلة بدلًا من الاندماج والتعارف والتواصل، إضافةً لبعض الفجوات الإجرائية التي لا تزال تشكل عبئًا "أخلاقيًّا"، من مثل الإشكالية الواقعة فيما يخُصُّ حرية التعبير، واحترام الاختلاف، وفي ذات الوقت عدم التعدي على الخصوصيات، ومعاملة الآخر كما يجب أن يكون ضمن سياق العلاقة الإنسانية، بعيدًا عن انصهار أو ذوبان الهوية.

وأما بما يتعلق بخصوص زج الاتهامات على ساحة الأديان، فلا شك أن

الأديان كافةً حثت ودعت للتعارف والتغلب على الاختلاف والتفرق، فلا بد من الاعتراف بأن التحديات لا تنبع من الديانات، بل هي عوائق وأزمات سياسية، مما يوفر الكثير من الوقت والجهد في الوصول لحل تلك التحديات، من خلال تفعيل المشترك الإنساني.

ويكون إبراز فاعلية الأديان وتشاركها في بناء حضارة الإنسان، بالانطلاق من مشتركاتها المتمثلة بإيمانها بالله الواحد الحق، وصيرورة الأديان التي قدرها الخالق خدمةً للإنسان، الذي خلقه مكرمًا وأوجد له الدين ليعيش على هدى، وجعل منه خليفة في الأرض ليبنيها، ويعمرها، إعمارًا ماديًاومعنويًا بالمحبة والسلام، ويلتزم بمكارم الأخلاق، وإذا ما تم الاتفاق الجمعي، وتم تثبيته في الإدراك الثقافي لدى المجتمعات، يأتي دور اللقاءات والقمم الدينية، التي من شأنها الحفاظ على الاستدامة ببث القيم السامية، والفضائل العليا الداعية للمساواة، والتسامح والاعتدال، وصون الكرامة الإنسانية، وبخاصة أن القيم الدينية تتحد وتتلاقى على أن الأديان تحترم العقل الإنساني، باعتباره أداة للبحث العلمي وسبيلاً للرقي الحضاري، وبأنها كافةً تجتمع على دحض الأساطير، وتدعو للانفتاح، وتكثيف التواصل والتعاون الإنساني، وتشدد على ضرورة احترام المسئولية الدينية تجاه الأوطان، والبيئة، ومواردها، وبأن لكل مجتمع مكونات تبدأ عند وحدتها الإنسانية المتمثلة بمؤسسة "الأسرة"، التي لابد من الحفاظ عليها ورعايتها.

وبالانطلاق مما سبق فإن الأديان تعد وحدة رصينة، وحريصة على صون منجزات الإنسان الحضارية، واحترام الإرث منها، فهي لا تنفك تدعو للالتزام بقيم العدالة والمساواة، وتكريس استراتيجيات إرساء السلم، وتوثيق روابط العلاقات الدولية، وتشجيع الحوار، وضرورة احترام الآخر؛ سموًا على كل اختلاف، وباعتبار الحوار مظلة جامعة للشعوب والأفراد، وأداةً ناجعة لتفويت كافة الفرص التي تحاول زيادة الفجوة فيما بين المجتمعات وأفرادها، أو التأثير على مساحة الاحترام المتبادل، أو النأي بالتراث الحضاري عن سياقه، إضافةً للالتزام بالضابط الأخلاقي في شتى المجالات.

ومن الناحية الثقافية، تقع مسئولية تشاركية حوارية تتمثل في نقل التاريخ العربي الإسلامي من نصوص جامدة ، لمناقشات نابضة بالحياة، ومراجعات نقدية منطقية، تتدارس التحولات وتداعياتها ونتاجاتها، والابتعاد عن تقييد التاريخ الإسلامي والعربي ضمن معاني الرجعية، والجمود؛ ذلك أن الوصول لقدرة حقيقية في إبراز فاعلية الأديان وتشاركها في بناء حضارة الإنسان، لابد وأن تنبع من رغبة حقيقية مدركة، لقيمة التواصل مع الآخر، ومع الذات "القابعة في الماضي"؛ خروجًا بتكوين إنساني حضاري خالٍ من التشوهات والرواسب الفكرية.

ونتاجًا لتحقيق ذلك يصل العالم لمبتغاه في تشكيل الرؤية الإنسانية الحضارية ، فتتلاشى بالتدريج أشكال العنف ، والترهيب ، والإرهاب ، والاعتداء، والانطلاق من الصور والأفكار المغلوطة، أو إلباس الآخر رداء

خاطئًا لا يليق به ، ولا يطيقه التقدم الذي وصل له العالم، ذلك أن العمل على عكس ذلك سيولد مهاترات تنحدر لحالات طارئة تمس الكيان الاجتماعي، والسياسي، وما يتعلق بهما.

هذا وقد دعا وأسس الإسلام لاحترام كرامة الإنسان، والتأكد مما قد يلحق بها، وعدم إلحاق الأذى بالغير، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ ((الحجرات: ٦).

وهذا ما يشير لأهمية التربية الدينية السليمة، واستكمالها من خلال مناهج التربية الإعلامية، واحترام التعدديات، ضمن المراحل الابتدائية، والتعليمية كافة، لتوليد توازن بعيد عن الانحراف، وإذكاء روح النقد والبحث والتمحيص لديهم، والتي تتدرج في أثرها وصولاً لاحترام متبادل بين كافة الديانات السماوية.

وفي حين أن إبراز فاعلية الأديان وتشاركها في بناء حضارة الإنسان، يعد مشروعًا وهدفًا إنسانيًّا عالميًّا كبيرًا جدًا، إلا أنه ليس مستحيلًا، وبخاصة في ظل وجود الكثير من الإرهاصات والتمهيدات والجهود التي تدعم ذلك، وبدايةً لا بد من تعميق التواصل وتجسير الهوة الفكرية والثقافية المتبادلة فيما بين الأديان، من خلال استثمار شتى الوسائل المتاحة، ونشر الثقافة بتوسيع دائرة الترجمة وتبادل المؤلفات، وعقد الندوات والقمم، وتفعيل ساحة المشترك والتي تركّز

على خمس غايات أساسية: كرامة الإنسان، و حياة الإنسان، وممتلكات الإنسان، وحريّة الإنسان، ومساواة الإنسان بأخيه الإنسان، والعدل والأمن والسلام والتعايش البشري .

كما لا بد من إيلاء الحوار و"بذوره" النقية المزيد من الاهتمام والتركيز ودمجه في المجالات والقطاعات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، وتوسيع الدائرة البحثية الدارسة للعلاقة بين الدين والحداثة ، وأخيرًا رسم الخطط الاستراتيجية الأقرب للواقع لإنتاج تعاون مشترك واسع الانتشار.

التوصيات المقترحة:

١. إنشاء مركز عالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات داخل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بهدف تعميق المعرفة بالطرف الآخر، وتعزيز ثقافة الحوار، ومراجعة الموروثات التاريخية السلبية التي تشكل عقبة أمام التفاهم المشترك بين أتباع الأديان السماوية.

٢. الدعوة إلى تعزيز القيم الأخلاقية لدى أتباع الأديان بصفة عامة، والأديان السماوية بصفة خاصة.

٣. الالتزام بلغة التفاهم والمصالحة والحوار وتعميمها بين أبناء الشعوب.

٤. بذل الجهد في نقل الروح الإيجابية لهذه الديانات والحوارات إلى القواعد العريضة من أتباع الديانات السماوية لكي تتحقق الأهداف المرجوة من هذه اللقاءات بين العلماء والقادة الدينيين.

٥. تكثيف جهود المخلصين من علماء الديانات السماوية وأتباعها من أجل مواجهة تفشي ظاهرة الكراهية للآخر والعنصرية والتمييز على أساس من الدين أو اللون أو العرق أو الجنس.

٦. إدانة الإساءات للمقدسات الدينية ورموزها وآثارها وشخصياتها.

٧. الدعوة إلى تفعيل القرار الأممي رقم ٦٥/ ٢٤١ القاضي بتجريم ازدراء الأديان وإدراج ذلك في الدساتير الوطنية.

٨. العمل المنهجي الجاد على تنقية وسائل الإعلام والكتب الدراسية والمناهج التعليمية والأعمال السينمائية والدرامية مما يشوبها من صور سلبية ومعلومات خاطئة عن الأديان السماوية وأتباعها ، والعمل على إزالة سوء الفهم المتبادل لدى كل طرف إزاء الطرف الآخر.

٩. إدانة التوظيف السياسي للدين بأي شكل من الأشكال.

١٠. رفض نسبة الإرهاب إلى أي دين من الأديان، وبيان براءة الأديان من الأعمال الإرهابية وترويع الآمنين وقتل المدنيين المسالمين، إلى غير ذلك من الأعمال البشعة التي لا يقوم بها إلا إرهابي متطرف.

١١. بيان أن الأديان الثلاثة تؤكد على مكانة المرأة ومساواتها مع الرجل، وعلى أن الأسرة بمفهومها الطبيعي والفطري (الزوج والزوجة) هي الأساس الصحيح لبناء المجتمعات الإنسانية.

١٢. الدعوة إلى تعزيز ثقافة المحبة والتسامح والتواضع بدلًا من ثقافة

الكراهية والاستيلاء والاستعلاء من أجل رباط متين بين أتباع الأديان والثقافات ومعرفة بعضها لبعض لكون الجهل يؤدي إلى الخوف واللامبالاة.. وأن التعارف يؤدي إلى التآلف وإلى التعاون وهي الوسيلة الوحيدة للتخلص من الفتن والسير على خطى الأنبياء لبناء حضارة إنسانية عالمية بعيدًا عن أجواء القهر والظلم والهيمنة.

❊ ❊ ❊

الحوار والمشترك الإنساني(*)

أطلت على النظام الدولي فكرة أو مصطلح المشترك الإنساني بحسبانه إحياء للتوحد أو التقارب العالمي، وهو ما يقتضي بيان مفهومه أو تحديد ملامحه، ومن هذا المنطلق يجوز القول بأنه: مجموعة من المبادئ والمعايير ذات الطبيعة الإنسانية العامة، تتوافق عليها الأمم، مستمدة من الأنظمة والتشريعات العالمية الرئيسة للأمم المتمدنة عبر تاريخها ومسيرتها الحضارية.

وعلى هدي طبيعة الموضوع، فإنه يعالج أسس المشترك الإنساني بين عالمية الإسلام والنظام الدولي المعاصر، في إشارة إلى المثال والواقع، والتطلع إلى تكاتف الأمم حول هذا المشترك في نطاق الخطاب العالمي للإسلام ودعوته البشرية للالتقاء على مقومات الاجتماع الإنساني الرشيد، جنبًا إلى جنب مع خطابه للمسلمين، وننوه إلى أن أسانيد هذا التوجه يعتمد على نصوص تأسيسية ثلاثة:

فمن يطالع القرآن يجد فيه خطابًا واضحًا نحو الإنسان بصفته الآدمية، إما بلفظ (يا بني آدم) في مواضع متعددة، بهدف التفكّر في توجيهه إلى مبادئه وتعاليمه الهادفة إلى إسعاده في الدنيا بالوفاء باحتياجاته ومطالبه الحياتية وإرشاده إلى رقيه وتقدمه فيها، وفي آخرته بتعريفه بخالقه وصفاته ودعوته إلى الإيمان به

(*) أ.د/ محمد الشحات الجندي، أستاذ الشريعة الإسلامية، رئيس الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية بكازاخستان.

عن بينة، بغرض إقناعه بالدخول فيه وهدايته إليه، دون إلزامه بذلك، وهو المسطور في سورة الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ (الإنسان: ٣)، أما أول نصوص هذا التوجه الذي يشكل نقطة ارتكاز للمشترك الإنساني، هو نداء القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات: ١٣)، والآية تقدم رسالة إسلامية عالمية لكل الناس بضرورة التفاهم والتلاقي، على سند أن الناس جميعًا خلقوا من أب واحد هو آدم وأم واحدة هي حواء، ومتى تفكر الإنسان في ذلك أيقن أنه لا مناص له عن التعارف والتسالم اعترافًا وتأكيدًا على أصوله الواحدة وإن تنوعت أشكالها، ومن ثمَّ فإنه نص محوري على تأسيس المشترك الإنساني، الذي يعد أصلًا في هذا الباب.

وتتأيد هذه الرسالة نحو الأصول الواحدة للإنسانية بالنص الثاني في السنة النبوية: بخطبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع ، وهي أشبه بالمؤتمر العام، وفيها خاطب الرسول جموع الحاضرين بقوله:"أيها الناس ، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى[1] ثم أوصاهم بحسن معاملة النساء بقوله: " اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم"[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد ، حديث رقم ٢٣٤٨٩، ٣٨/ ٤٧٤ ، مؤسسة الرسالة ١٩٩٩ م.

(٢) رواه مسلم ٨/ ١٨٣.

فالخطبة بدلالة ما ورد بها وبالهدف المراد منها دعوة ناطقة بالأدلة الدامغة الدالة على التوحد على ما فيه الخير والتقارب فيما بين الناس بهدف المصلحة المشتركة ، بالبناء على أصول وقيم جامعة بينهم وفق رسالة الإسلام في الرحمة العامة للإنسانية جمعاء، وهو ما قرره النص الثالث ببيان الغاية التي من أجلها نزلت رسالة الإسلام للأمم جميعًا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ۝١٠٧﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

جذور استكشاف المشتركات الإنسانية:

نلمح في فكر بعض الفلاسفة المفكرين التنويه بالمبادئ الإنسانية المثالية، التي وإن تقررت بشكل غير تقليدي – غلبت عليه النزعة الفلسفية الفكرية، المغايرة لاتجاه الفقهاء في تقريراتهم للأحكام الشرعية من نصوصها في دلالتها القطعية أو الظنية في القرآن والسنة والإجماع، والمصادر العقلية الأخرى كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف وغيرها، فكان اجتهادهم مقيدًا بالنصوص ودائرًا في فلكها- إلا أنها اتسمت بإطار عام ذي أبعاد مرنة، وفي ظل قراءة أخرى تعتمد على مغزى النصوص ومقاصدها العامة وتحري الأسرار الكامنة فيها، والكليات العامة التي تقررها بمعان ومضامين تلتقي مع رؤى وفكر المفكرين على أسس عقلانية قائمة على التفكير الذهني والتأمل الذاتي.

ويجد المستقرئ لمسيرة الفلاسفة أنها بنت جسور التواصل بين الفكر الإنساني والإسلامي، ونقلت فكر العصر القديم بعد تنقيحه، ومواءمته مع الفكر الشرعي لعلماء الكلام والفقه في اتجاهاته النقلية والعقلية، مما طبعه بطابع الإسلام في بناء

العلاقات بين المختلفين، وفقًا للطبيعة البشرية على أسس الكرامة والتسامح والرحمة والعدالة والتيسير والمصلحة، وهي مقومات رئيسة يقوم عليها الاجتماع البشري.

وإن نظرة منصفة تتلمس الموضوعية تقود إلى القول بأن هذا الفكر الإسلامي، بمكوناته الكلامية والفلسفية والفقهية والأخلاقية والحضارية والتجريبية، قد أثر في الفكر الحديث في مجال النقاش الإنساني تأثيرًا واضحًا.

ويمكن القول في ضوء ذلك: إن المبادئ الأساسية التي أتت بها النظرية الحديثة إنما أكدت عليها ولم تنشئها ابتداء، وهي تتلخص في الحقوق الآتية:

١- حقوق طبيعية : وهي الحقوق الموسومة في الفقه الإسلامي بالحقوق الفطرية، وهي حقوق لصيقة بالشخصية متصلة بها لا تنفصل عنها، كحق الحياة والحصول على الاحتياجات الأساسية من الطعام والشراب والكساء والسكن، وهي المقررة بالنص القرآني: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ۝١١٩﴾ (طه: ١١٨-١١٩).

بالإضافة إلى حق التملك وكسب المال للرجل والمرأة على السواء، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ الله بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ الله مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا۝٣٢﴾ (النساء: ٣٢).

٢- حق حماية كيان الإنسان، بتجريم المساس بمقومات حياته كلها بمنع الاعتداء على جسمه وكافة حواسه وعقله وقلبه، وهي المبادئ التي قررتها النصوص الشرعية قطعًا وبيقين لا يتطرق إليه شك بقوله تعالى عن حماية حق الحياة: ﴿وَلَا

تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ (الإسراء: ٣٣)، والمسئولية ليست عن الجسم في عمومه فقط، بل يشمل الأطراف والحواس كلها، وهو معني النص في قوله تعالى:﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ (الإسراء:٣٦)، وكذلك بحديث الرسول ﷺ : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"[١]، ولا ينبغي أن يفهم من دلالة الحديث أن التحريم قاصر على المسلم فقط، ولكنه يشمل كل إنسان، كما نصت عليه الآية السابقة؛ فإنه عام لكل إنسان، فضلًا عن أنه يشمل كل فرد رجلًا كان أم امرأة ، كبيرًا أم صغيرًا، سليمًا أم معاقًا، تبعًا للقاعدة الأصولية: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، ولوقوع الإجماع الصريح عليه وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، مما يجعلنا نقرر أن النصين قرآنًا وسنة يدلان على عصمة النفس الإنسانية بكل مكوناتها، ويعطي الإنسان حصانة تكفل له الحماية العامة.

٣ – الحق في الحرية، وهي مكنة للشخص تجعله صاحب اختيار فى تسيير شئون حياته، في إطار النظام العام للمجتمع، وفيما يتعلق بالدول فإن عليها الالتزام بالنظام العام الدولي الذي تحكمه المواثيق العالمية كميثاق الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٥، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨، والعهد الدولي للحقوق السياسية والمدنية، والعهد

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم ١٥٦٤، ٤ / ١٩٨٦.

الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عام ١٩٦٦، بالإضافة إلى المعاهدات الدولية والقرارات الصادرة عن المنظمات العالمية والإقليمية، مثل: منظمة التعاون الإسلامي، وجامعة الدول العربية، والاتحاد الإفريقي.

والمُطَّلع على حق الحرية يجده من الحقوق الأساسية التي قررتها الشريعة الإسلامية للإنسان، فيما دل عليه القرآن الكريم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة:٢٥٦)، وفي تحديد مهمة الرسول (صلوات الله عليه) في البلاغ عن الدين والتعريف به ، ودعوة الناس لمن يرغب الدخول فيه عن قناعة وقبول بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ (الغاشية: ٢١، ٢٢)، وهذا ما تدل عليه السنة العملية للرسول (صلى الله عليه وسلم)، فالثابت بيقين أنه لم يُكْرِه أو يفرض الإسلام على أحد ، ولم يسمح لأحد أن يفتش عما في ضمير أو قلب من يدَّعي أنه مسلم، ولو صدر منه ما يدل على ما يناقض الإسلام، وبلغ في الحرص على تصديق ما يدعيه الشخص حدًّا بعيدًا، حتى في الإعلان عن موقف يدل على العداء السافر ضده شخصيًّا أو ضد الدين، وهو ما أوضحه بجلاء ما صدر من عبد الله بن أُبَيّ زعيم المنافقين فيما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ (المنافقون: ٨)، ويقصد بالأعز نفسه المليئة بالحقد الأسود على الرسول ﷺ والإسلام، وهو موقف من جملة مواقف غاية في الخصومة والعداء، ولما أراد بعض الصحابة أن يقتله أَبَى الرسول ﷺ ذلك قائلًا: " أتريدون أن يقال : إن محمدًا يقتل أصحابه"، مستندًا إلى أنه في ظاهر حاله

نطق بالشهادتين، ويدعي أنه على دين الإسلام، وليس أدل على احترام حق الحياة من هذا الموقف.

وإذا كان هذا الموقف الحاسم الناطق بحماية معتقد الإنسان وهو قطب الحقوق والحريات، والدفاع عنه إلى هذه الدرجة؛ فإن الاعتراف بالحريات الأخرى يكون أوفر وأوفى للحاجة إليها في تحقيق التنمية والإعمار والقيام على المصالح العامة منها والخاصة، كحرية التنقل المقررة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ (النساء: ٩٧)، وحرية التعبير بضوابطها، قال تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ الله ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨)، وحرية الفكر، وهي عملية ذهنية عميقة تتسم بالتدبر والاعتبار والنظر في مسألة أو قضية، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ الله ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ (الروم: ٨)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣) وحرية نوع التعليم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[١]، وغيرها من الحريات، مما يستوجب أن تكون أولى بالحماية وأجدر،

(١) سنن ابن ماجه، حديث رقم ٢٢٤، ١/ ٨١، دار الفكر، بيروت.

فهي ترسي وتفعّل ملكة الاختيار، وهي ميزة اختص الله بها الإنسان عن سائر الكائنات جميعًا ، ووفقًا لها تتم المساءلة والمحاسبة كنتيجة لاختياره ، وهو ما يصح معه القول بأن هذه المتطلبات والحقوق والحريات تعد قواسم مشتركة، وعليها يجتمع الناس، وبها تقوم حياتهم ومعايشهم.

وسائل تحقيق المشترك الإنسانى:

ليس عصيًّا على الإنسان فردًا كان أو شعبًا أو أمة أو دولة - أيًّا كان نظامها أو أيديولوجيتها أو نظام الحكم فيها - الالتقاء على التوافق حول الأسس الجامعة والمشتركة التي تربط بين مكونات الإنسانية في كل زمان ومكان، مرد ذلك إلى أن الناظر الفاحص بموضوعية إلى هذه الروابط النابعة من طبيعة الإنسان، والسبل التي تستقيم بها حياته ويرتقي بها اجتماعه، يجدها متجذرة في ضميره، ومعبرة عن فطرته الراسخة في أعماقه، فهو خلق من أب وأم واحدة، وهو ما تلتقي عليه الأديان السماوية وعقلاء البشر إلا من لا يقام لرأيهم وزن ، ولا يبرهن على قولهم حجة، فالفكر الإنسانى على اختلاف مشاربه مستقر على أن أصل البشرية يعود إلى آدم وحواء، وأن الناس كلهم جاءوا من التناسل بين الرجل والمرأة منذ بدء الخليقة الأولى، وهو ما يشهد له القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء: ١)، وهو ما يكرس على ترسيخ الطبيعة الاجتماعية للإنسان وتعزيزها، والاعتراف بأن وجوده واستمراره نتج عن انتمائه إلى ثنائية الرجل والمرأة بوصفهما نواة تكوّن الأسرة، ثم تنبثق منها

الوحدات الاجتماعية الأخرى من القبيلة والشعب والقرية والمدينة والدولة، كوحدات شكلت المجتمعات البشرية ، وعليها تأسس الاجتماع الإنساني.

وعلى قدر ما يوجد من فروقات واختلافات بين البشر، فلا مناص لهم من ضرورة التعاون والالتقاء على ما يبقي على وجودهم وتنشأ به مجتمعاتهم ، وبالبناء على ذلك يمكن تأسيس نموذجين لمجتمعات البشر هما:

أولًا: نموذج التوافق على المشترك المحلي أو الداخلي:

وهو قائم على الصلات الاجتماعية الأولى وصولًا إلى الدولة في العصر الحديث، ويقينًا فإن هناك إطارًا جامعًا، يتوحد أو يشترك فيه القاطنون في هذه الدولة، فقد يكون وجودهم متوحدين أنهم ينحدرون جميعًا أو غالبيتهم من أصل أو عرق واحد أو قومية واحدة نابعة من تاريخ ممتد عبر قرون وأجيال، ودين واحد، وثقافة مشتركة ، ولغة واحدة ، تجمعهم عادات وتقاليد سائدة بينهم، تجعلهم أصحاب هوية تميزهم عن سواهم ، في نطاق الأرض والشعب والسلطة الحاكمة ، هذا هو وضع النظم السياسية الحديثة القائمة على نظام الدولة الوطنية، وهو نظام يعترف به قانون الأمم أو القانون الدولي الذي يعترف بالدولة الوطنية ذات السيادة، وعدم التدخل في شئونها الداخلية ، حيث تتمتع بالاستقلال وحق تقرير المصير والدفاع الشرعي عن وجودها وكيانها.

وإذا أردنا أن نتعرف حكم الشريعة على هذا النموذج الذي تمثله الدولة الوطنية، نجد أنه النموذج الأساس الذي يجمع المتواجدين أو المتوافقين على هوية مشتركة، وتتوفر عناصرها بدرجة أقوى في نطاق الكيان المرتكز على الدولة

الوطنية، ويمكن بيان الأسس التي يقوم عليها المجتمع فيما يلي:

أ) التوحُّد على الهوية والمقومات الأساسية: وهي الأصول المادية والمعنوية الراسخة في ضمير ونظم الأمة أو الدولة، وتحظى بالموافقة بين أفرادها أو الغالبية العظمى منهم، إذ يجدون فيها المقوّم الأساسي الذي يقوم عليه اجتماعهم، وتتوفر عليه إراداتهم واستعداداتهم؛ لما وقر في ضميرهم واستقر في أعماقهم حتمية وجودها وضرورتها لحياتهم، بناء على عقيدتهم الدينية وتاريخهم عبر عقود من الزمان ولغتهم وثقافتهم والعادات والتقاليد التي يتعاملون بها، يستشعرون أنها ملزمة ومحل احترام فيما بينهم، بحيث تشكل الهوية المميزة لجماعتهم والنظام العام الذي تبنى عليه الدولة أو الأمة التي تمثلهم بين مجتمعات الأمم أو الدول.

ومن الأهمية بمكان الالتقاء على الهوية أو العناصر المكونة لها، وتوعية الشعب بأهميتها، فهي صمام أمان للأمة والدولة يجب التمسك بها وإعلاء شأنها.

ب) الوحدة الوطنية: وهي مقوم أساس لقيام الدول وقوة المجتمعات، وكلما كان المجتمع متماسكًا قويت الدولة وعظم شأنها، لذلك تعمل كل دولة على بناء جبهة داخلية مترابطة، من خلال صياغة الأسس الدستورية كمبدأ المساواة بين المواطنين والحرية في إبداء الرأي، والتشريعات الداعمة كالمواطنة لتفعيل المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين جميعًا لدمج الشعب في كتلة وطنية واحدة، في ظل تعدد الأديان والأعراق والثقافات وغيرها، بهدف التلاقي والتوحد على إعلاء مصلحة الوطن، وقد عاش المسلمون في العصر الأول على التوحد الداخلي على الرغم من التعددية التي قامت عليها الدولة الإسلامية

العالمية، فهى تضم أديانًا وأجناسًا وألوانًا وقوميات عديدة، لكن وعي القائمين على الأمر والشعب أبقى على التوحد الديني والسياسي، مدركين قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وأيقنوا أن قوتهم في توحدهم وأن ضعفهم يكون بسبب تفرقهم.

ج) السلام الاجتماعى: وهو مطلب ضرورى في تحقيق الوحدة الوطنية، بواسطة توفير عناصر السكينة والطمأنينة والأمن والأمان لأفراد الشعب، وهو أمر لازم للتماسك بين فئات المجتمع وإحداث الاستقرار، وهو عامل مؤثر للتنمية الاجتماعية الذي يعمل على الانطلاق على طريق التنمية الاقتصادية، وإحراز التقدم المنشود، وهو مطلب تسعى الدول - بل وتتسابق - إليه لتوفير الاحتياجات الضرورية والمطالب الشعبية، ويقينًا فإن بناء القاعدة الشعبية وتماسكها كان من ركائز وحدة الدولة الإسلامية، وهو ما تلاحظ على إرساء مبدأ التآخى بين المهاجرين والأنصار، إلى حد إيثار الأنصار المهاجرين على أنفسهم وبذلهم لكل غالٍ ونفيس، بما نعته القرآن وأثنى عليه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ (الحشر:٩)، وكذلك توحُّد الأوس والخزرج، وقد نتج عن ذلك أن صارت المودة والتكافل والتراحم عنوانًا على دولة الإسلام، ومصدر قوة مستمدة من هوية إيمانية

وممارسات عملية مطبقة في الواقع الحياتي.

ثانيًا: نموذج المشترك الإنساني العالمي:

إن تناول هذا النموذج يهدف إلى بيان المبادئ على مكونات النموذج الإنسانى، وهي المقومات البناءة التي تتشارك فيها الأمم والشعوب المختلفة؛ لكونها لازمة لانتظام الحياة والمعايش والوفاء بالحقوق الأساسية للإنسان في كل زمان ومكان على نحو تتحقق فيه إنسانية الإنسان في أرجاء المعمورة.

وفي محاولة للتعرف على العناصر أو المقومات التي تشكل هذا النموذج ينبغي الإشارة إلى أن الموضوع تتنوع فيه الأنظار وتتباين فيه الرؤى الدينية والأيديولوجيات والثقافات والنظم السياسية والمدنية في الأمم والمجتمعات عبر العصور، ومن ثم نرصد في هذه المحاولة هذا النموذج بحسب المنظور الإسلامي الذي يتأسس على العالمية، والمنظور الدولي الذي تسود فيه أيديولوجيات الدول وفكر العولمة، وهي امتداد للنموذج الداخلي على المستوى الكوني، والتي يمكن أن نوجزها في الآتي:

١- الاعتراف بتعدد الهويات بمقوماتها المتنوعة وإقرار الخصوصيات التي تتمتع بها الأمم والدول.

٢ - حفظ السلم والأمن الدوليين، وهما محور ارتكاز لحياة الإنسان والشعوب والدول، فلا غنى عنهما للإنسان؛ فهما يجلبان له راحة الفؤاد وسكينة النفس، كما أنه مصدر للصحة النفسية تقود به إلى السعادة.

ثالثًا: التعايش السلمي:

مادة التعايش تعبر عن العيش الحياتي معًا في مشاركة تضم مجموعة من البشر الذين وجدوا أن التفاهم وتبادل المنافع فيه استقامة معاشهم وانتظام حياتهم، بالتعاون والتشارك فيما بينهم، الأمر الذي يجعل هذا التعايش ضرورة اجتماعية مصلحية؛ لذلك نجد أن الأديان والثقافات والحضارات الإنسانية جعلته أس الاجتماع طوعًا أو بسلطة النظام والقانون، وينبغي أن يكون هذا التعايش ذا طبيعة سلمية؛ إذ بدون السلمية والبعد عن الشقاق والصراع لن يتحقق السلام الاجتماعي ولا التوافق الحياتي ولا الأمن ولا الأمان.

توصيات:

١- التعاون والتضافر لإنجاز تلك المشتركات في الواقع المعيش للإنسان والدول.

٢- توافر العزيمة والإرادة الشعبية والدولية بتهيئة الجهود والاستعداد المتواصل من قادة وزعماء الدول.

٣- إشاعة ثقافة المشترك الإنساني لدى الرأي العام العالمي، حيث يقدم دفعة قوية لجعله حقيقة واقعة.

* * *

التعددية والقواسم المشتركة(*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى أنبياء الله ورسله أجمعين... وبعد:

فقد خلقنا الله تعالى متعددين متنوعين في كل شيء... في اللون ، والعرق، واللغة، والفكر، والثقافة، والمهارات، وسخر لنا كلَّ ما في الكون؛ لنتكامل جميعًا في إعماره وتنميته، وإسعاد الإنسان.

ولا سبيل إلى التعاون، والتكامل، والتعاضد، إلا بمنهجية ناجعة، تُجلِّي الحقائق، وتوضح وجهات النظر، وتقضي على الغموض واللبس، وتذيب الثلوج ، وتقرب المسافات بين سائر البشر.

ومن هنا تبرز الأهمية البالغة لقيم: التعددية، والتنوع، والمسئولية، والقواسم المشتركة (الثقافية، والدينية، والأخلاقية، والحضارية،...) بين سائر البشر، ولا ريب أن هذه القيم كفيلة - حال الإيمان الكامل بها، وتفعيلها لتكون منهج حياة - بإيجاد عالَم آمن وخالٍ من الحروب والصراعات والمشكلات ، يسوده التفاهم، والإيمان المشترك بأهمية كل منَّا في الحياة .

وتتعاظم الحاجة إلى الحوار في هذه الآونة أكثر من أي وقت مضى، فبعد أزمة كورونا التي أرعبت العالم، وأربكت الدنيا، وكشفت عن ضعف الإنسان

(*) د/ أحمد علي سليمان، عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وحاجته إلى التعاون والتكامل لإعمار الكون والحياة، وتعظيم قيمة الحوار بين كل الناس؛ ليعلو صوته، ويسود صداه، ويبلغ مداه كلَّ مكان؛ ليكون بديلًا عن أصوات الذخيرة والمدافع والقنابل.

إننا في حاجة جدّ ماسة إلى الحوار المثمر البنَّاء الذي يضع البشرية كلها أمام مسئوليتها؛ لإعمار الكون، بدلًا من تدميره، وإسعاد الحياة بدلًا من إتعاسها، ومعالجة مشكلاتها بدلًا من تكثيرها.

نحتاج حوارًا جديدًا، ينطلق من الإيمان الكامل بالتعددية، والمسئولية، والقواسم المشتركة بين البشر، وما أكثرها في هذه الحياة!!.

لماذا التعددية؟

إن التنوع والتعددية سنة من سنن الله تعالى في الكون، والخلق، والحياة؛ لذلك كان هذا التنوع اللامحدود، وهنا ألتقط صورًا حسية ونفسية لبعض مظاهر التعددية وأشكالها التي أرادها الله تعالى، فهي جزءٌ لا يتجزأ من مقومات الحياة، وقد تركت للقارئ الكريم أن يتنسم بنفسه عبير الألفاظ القرآنية، ويسبح في مناطق إشعاعها وإيحاءاتها، وبعض أسرارها؛ ليستلهم بعض حِكم الله العالية في مراده، وتدبيره، وتقديره.

- التعددية في المخلوقات: يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ (فاطر: ٢٨).
- التعددية في أطوار خلق الإنسان: قال تعالى: ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ

أَطۡوَارًا﴿١٤﴾ (نوح:١٤)، (النطفة، ثم الأمشاج حين يمشج النطفة الدم، ثم يغلب الدم على النطفة فتكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظامًا، ثم تكسى العظام لحمًا.. وهكذا)، وياله من إعجاز عجيب حيَّر العقول والألباب عبر العصور..!.

•تعددية الألسنة ، واللغات ، وتنوعها: يقول (عز وجل) : { وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ} (الروم: ٢٢).

• التعددية في القوميات، والأجناس: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ الله أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: الآية ١٣).

•التعددية في الديانات، والرؤى، والأفكار: يقول سبحانه: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ (البقرة ١٤٨)، وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴿١١٨﴾﴾ (هود: ١١٨).

•التعددية في الأشكال، والأنماط البشرية: حيث جعل الله تعالى البشر مكونين من: الرجل والمرأة، الصغير والكبير، الغني والفقير، الطويل والقصير، الأبيض والأسود، المؤمن والكافر.. وهكذا.

•التعددية الفكرية: في الفهم، والتفكير، والتعبير والأداء بين الأشخاص

(فروق فردية بين الناس)، وتعددية في فكر الإنسان نفسه في مراحل حياته المختلفة، بل إن المرحلة الواحدة من حياته يعتريها تعدديات في التفكير.

فقه قراءة الآخر وأهمية التحاور معه:

إننا في مسيس الحاجة إلى أن يطّلع كل منا على فكر الآخر، ويستقرئه بتأنٍّ وروِيَّة وتجرد.. دون إصدار أحكام مسبقة؛ فالمخالف لك هو مرآتك، وغالبا ما يرى فيك ما لم تره أنت في نفسك، وربما لا يراه مَن هو على شاكلتك وفكرك واتجاهك؛ لذلك تنبع أهمية ثقافة التعددية وتطبيقها وأن يُحسنَ كلٌّ واحد منا الظن بالآخر، فمخرجاته العقلية التي قد تخالف فكرك هي نتاج العقل الذي ميزنا الله تعالى به عن غيرنا من المخلوقات، وقد تكون نتيجة خطئك أنت، وقد تنير لك دروبًا مهمة على طريق الصلاح والإصلاح والنجاح، وصدق الله القائل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ الله ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (البقرة:٢٥١).

ولأجل التأكيد الدائم والمستمر على أهمية التعددية؛ فقد أكد الخالق العظيم على الشورى، وجعل لها مكانة سامقة في الإسلام، باعتبارها من العوامل الداعمة للتعددية على الدوام.

المهم هو التخلص من أحكامنا السلبية المسبقة على الآخر، وتخلص الآخر من أحكامه المسبقة علينا، والتخلص من التعميم، ومن الاستعلاء الفكري أو الاستعلاء بمعناه الشامل على الآخر المخالف في الفكر، أو اللون، أو العرق، أو الدين.

وأعجب من هؤلاء الذين يناصبون المخالف العداء والتجريح لمجرد اختلافهم معه فكريًّا، وربما لم يطلعوا على فكره من الأساس!! فالاختلاف والتعددية مزية ما بعدها مزية، فهما إثراء للحياة.

وطبيعي أن أختلف مع أي إنسان في جزئية أو جزئيات، ولكن اختلافي هنا هو اختلاف مع أفكاره، وليس على شخصه الذي يجب أن يكون له كامل الاحترام..

نقطة مهمة أحب أن أشير إليها وهي أن أفكارنا ليست كلها ثابتة على الدوام؛ بل هي متطورة، وقد تتغير بتطور الحياة والمواقف والخبرات، فما تراه صائبًا في القديم قد لا تراه كذلك في الوقت المعيش، وهكذا.

القواسم المشتركة قاطرة المنظومة العالمية للأخلاق:

المشتركات الإنسانية (الثقافية والدينية)، هي الحبال الموصولة بين شتى المكونات البشرية، وهي الرابط المتين ، والداعم لقاطرة الحوارات الناجعة والعلاقات الإنسانية الرشيدة.

إن المشترك الديني يعد أساسًا "للرؤية الكبرى" التي يمكن أن تحدد إطار وملامح منظومة عالمية للأخلاق، والمنظومة العالمية للأخلاق تعد مدخلاً للحوار الناجع، ولعلاقات أفضل بين شعوب العالم في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والبيئية، والتكنولوجية، والفكرية والثقافية...إلخ، من أجل ما يلي:

- إظهار ما بين مختلف الحضارات والثقافات، والرسالات السماوية من معانٍ وأحكام، وقيم مشتركة مثلت قواسم موحدة للحياة.

- توظيف رؤية المشترك في إثراء التجربة الإنسانية والحضارية بشكل عام.
- توظيف المشترك في تطوير العلاقات بين مختلف الدول والشعوب وتنميتها.
- بيان المشترك في المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والقانونية بهدف تحقيق وحدة الإنسانية، وإقامة العلاقات الدولية على أسس سليمة وتعاونية.

لذلك فإن التعرف على مفهوم المشترك، وجذوره، وتطوره التاريخي، وأنواعه من الأهمية بمكان، فالمشترك الديني باعتباره أساسًا لمنظومة عالمية للأخلاق يمكن أن يتضمن الموضوعات الآتية:

- التشريعات الدينية وأثرها في تدعيم منظومة القيم وإرساء مبادئ الأخلاق.

- المشترك الإنساني في مجال حماية البيئة، يمكن أن يوحد أهداف العالم إزاء هذه القضية وما يستجد، من خلال مبادئ حماية البيئة في التشريع الإسلامي، والميراث الإنساني لمختلف الأديان، وحماية البيئة على ضوء المستجدات الدولية، ومشكلات التغيرات المناخية والبيئة.

وثمة سلسلة من الموضوعات يمكن أن تشملها قاطرة المشترك الإنساني، والمبادئ والمشتركات الاقتصادية التي أرستها الأديان السماوية والحضارات الإنسانية، ومن بينها: العدالة التعويضية، وتحريم الاستغلال والظلم والغش

والاحتكار، وأيضًا المشترك القانوني في الشريعة الإسلامية والقانون الروماني وغيرهما ، وكذلك المشترك الثقافي كالمبادئ الموجهة للثقافة في مختلف الحضارات، والأخلاقيات الحاكمة لثقافة البشر في الحضارات، والمشترك الثقافي في مجال الفنون والآداب بمختلف أنواعها.

وفي هذا المقام أقترح إنشاء (مركز عالمي لدراسات وبحوث المشترك الإنساني) بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وتتلخص أهميته في أن المشترك الإنساني – كما نعلم – مخرج آمن للبشرية، وسبيل معتدل لدعم الحوار والعيش المشترك.

إن الاعتماد على فكرة المشترك الإنساني ، والقواسم المشتركة بين الحضارات والثقافات والأديان؛ سيسهم في بناء العلاقات الإنسانية وترسيخها على مبادئ الأخوة الإنسانية.

– ترسيخ نظرية المشترك الديني والثقافي بين الحضارات والمجتمعات في أنحاء العالم، من الأهمية بمكان؛ لتعظيم التفاهم، وإطفاء الخلافات، وجبر الخواطر، وتحقيق التقارب والتعاون المنشود، ومن ثم إيجاد بيئة متينة خالية من الصراعات ، ومواتية لعمليات التقدم والإقلاع الحضاري.

وتتعاظم أهمية هذا المركز العالمي المقترح في وسط تفاقم ظاهرة "الإسلاموفوبيا" في الغرب ، والتطرف ضد الإسلام، وتصاعد عمليات العناد وسوء الفهم، التي تسهم في توسيع الفجوات والهوّات بين الدول والحضارات

والثقافات ، ومن ثم فإن نظرية (المشترك الإنساني) تعد منطلقًا لجهد دولي نشط؛ لتحقيق التصالح الحقيقي بين الحضارات، والديانات، والثقافات.

*　*　*

الحوار بين الحضارات واحترام الخصوصية (*)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وبعد :

فكثيرة هي المعطيات والمؤشرات اليوم التي تؤكد على ضرورة الحوار بين الثقافات والحضارات؛ إذ إنه لا يمكن أن يسود السلام العالمي دون تعميق نهج الحوار والتواصل على مختلف المستويات بين جميع الثقافات والحضارات؛ وذلك لأن البديل حينما يخبو ويتراجع نهج الحوار هو صعود نهج النبذ والقطيعة والحرب بين مختلف الثقافات والحضارات، ولا ريب أن سيادة نهج القطيعة والحرب بين الحضارات يعني فقدان السلم العالمي ودخول البشرية جمعاء في أتون المواجهات المفتوحة والحروب التي تعمق الحواجز والأحقاد، وتدمر المكاسب والعمران، وتقتل نوازع الخير والحب والوئام بين شعوب العالم، ونحن نعيش عصر اختزال المسافات وتقدم الاتصالات والمعلوماتية الإيجابية التي تخدم الحوار.

وكل أمة تتميز بشخصيتها القومية والحضارية المختلفة، كما أن لديها ما هو مشترك حضاري عام؛ لهذا ومن أجل بقاء التمايز الحضاري إيجابيًّا، ومن أجل تفعيل الخصوصيات لتمارس دورها في معركة الإبداع والتطور؛ نرى أهمية الحوار بين هذه

(*) أ.د/ أسامة العبد، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، عضو مجمع البحوث الإسلامية ، عضو مجلس النواب المصري ، ووكيل لجنة الشئون الدينية والأوقاف .

الحضارات والثقافات حوارًا إيجابيًّا يحترم التمايزات الحضارية، ويفسح المجال للخصوصيات العقدية والحضارية والقومية أن تمارس دورها الإيجابي في شحن شعوبها بالكبرياء وبالطاقات المحركة لإثراء مصادر العطاء الإنساني.

وتشكل الحضارة الإنسانية مزيجًا من العلاقات المتشابكة التي تجسد منجزات الإنسان في أوجه الحياة المختلفة، والتي أبدعها ضمن خطته الواعية؛ لهذا فإن لكل أمة أو شعب نصيبه من الحضارة، فالإنسان مطلقًا كائن متحضر، بمعنى أنه يمارس أسلوبًا من الحياة على وجوه النشاط الفكري والاقتصادي والسياسي والديني والفني، وقد عبَّر عن هذه المسألة أحد المفكرين بقوله: ليست الحضارة في حقيقتها الظاهرة والباطنة سوى بناء عالم إنساني فوق العالم الطبيعي، وإن الحضارات كمنجز إنساني شامل ليست مختلفة في جوهرها.

وإنما الاختلاف بين الحضارات يأتي من جراء الثقافة التي تحملها هذه الحضارة، والخلفية الفكرية التي تقف خلف المنجز الإنساني، وبالتالي فإن الحوار بين الحضارات يتطلب الوعي والحضور والشهود، والوعي بمتغيرات العالم وأحواله ووقائعه المتسارعة، والوعي بالإمكانات المتوفرة في فضائنا المعرفي والإنساني، وحضور وشهود من أجل ألا تبقى هذه العناصر والأمور حبرًا على ورق .

حوار الحضارات:

الحوار لغة هو مصدر الفعل حاور، وهو النقاش أو الجدال ، وهو الحديث بين شخصين أو أكثر، والمحاورة هي المراجعة للكلام والمنطق في المخاطبة، أما اصطلاحًا

فيعرف الحوار بأنه: الحديث الذي يحاول كل طرف من الأطراف المشاركين فيه أن يقنع الآخر بما يريد ، بينما يقوم الطرف الآخر بمراجعة ما يقول منطقيًّا ومن ناحية الأفكار والحقائق ، حيث يحاول كل طرف من الأطراف أن يجد أفكارًا جديدة يحاول أن يقنع بها الطرف الآخر.

أما الحضارة لغة: فهي مصدر الفعل حَضَر، وهي الإقامة في الحضر، وهي مرحلة من مراحل التطور الإنساني تقوم على التمدن وكل ما يناقض حياة البداوة، والحضارة في الاصطلاح هي : جل ما اخترعه الإنسان من أمور تجعل الحياة أكثر رقيًّا في مختلف الجوانب: العقلية، والنفسية، والمادية، والخلقية.

كما يمكن تعريف الحضارة بأنها: مجموعة من الناس المشتركين في عاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، بالإضافة إلى طرق تنظيمهم للمجتمع الذي يعيشون فيه.

أما الحوار الحضاري فهو: أداة مهمة تؤدي إلى تحقيق التفاهم بين الشعوب المختلفة، وهو أداة إيجابية تحقق التعارف والتآلف بين الشعوب وتؤدي إلى حسم القضايا التي تتشارك الشعوب فيها وتهتم بها، والجدير بالذكر أن الحوار بين الحضارات يقوم على تجسيد القواعد التي تحكم العلاقات بين الشعوب على اختلافها.

وفي العصر الحديث أطلق البعض هذا المصطلح على كل نتاج مادي لأمة من الأمم من عمران ومخترعات وابتكارات وتنظيمات. وتسع النطاق ليشمل بالإضافة على النتائج المادية القيم الدينية والثقافية.

التعريف المنهجي لحوار الحضارات:

حوار الحضارات في تعريفه المنهجي يدل على آلية تبادل دول وشعوب العالم آرائها ومشكلاتها ، وتعيين حلول لهذه المشكلات ، ومن ثم تطبيق القرار الذي ترى أغلب المجتمعات والشعوب بصحته ، حيث إن لكل مجتمع حضارته الخاصة ، وبالتالي فإن له مشاكله الخاصة به ، إلا أن المجتمعات بطبيعتها ليست بمعزل عن بعضها البعض، فكل حضارة تؤثر وتتأثر بغيرها، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث مشاكل مشتركة بينها، وهو ما يطلق عليها المشاكل العالمية، فكان من الحوار الحضاري والذي تقوم المجتمعات على أسسه أن يسهم في حل مثل تلك المشكلات والوصول إلى القرار السليم بسببها.

حوار الحضارات في الفكر الإسلامي:

يرى المفكرون والباحثون المسلمون المعاصرون أن الإسلام يقوم في مفهومه لحوار الحضارات على الأخذ والعطاء مع الغرب، كما يؤكدون على أنه ليس هناك ثقافة على وجه الأرض رفعت من شأن الثقافات الأخرى كالحضارة الإسلامية، ويرى الإسلام أن أي كيان حضاري يقوم في أساسه على أربع قواعد وهي القاعدة الإيمانية الأخلاقية، والقاعدة الفنية الجمالية، والثقافية المعرفية، وأخيرا التقنية الصناعية.

وعليه فإن اختلاف الحضارات الإنسانية يكون بصدد تغير ترتيب وقواعد الكيان الحضاري من حضارة لأخرى، وفي الحضارة الإسلامية القاعدة الإيمانية

والأخلاقية هي القاعدة التي تميزها عن غيرها من الحضارات، وإن حوار الحضارات في الفكر والثقافة الإسلامية ينبثق عن مبدأ الإقرار والتأكيد على التنوع الحضاري والثقافي، بالإضافة إلى تعدد اللغات والعدل بين الناس، وعدم تفضيل أحد على أحد بناء على لون أو جنس أو عرق أو أي عوامل التفريق الأخرى، كما أن الفكر الإسلامي يقرُّ بتداول الحضارات لآرائها وخبراتها، وأن التطور ليس ملكًا لأحد وليس حكرًا على أحد فهو أمر متاح لجميع الشعوب.

الإسلام دين الحوار:

إن الإسلام هو دين الحوار والتعارف والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسانية، وإيجاد السبل الضامنة لتحقيق التعايش والسلام والأمن، ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر، لهذا أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة والطرق السليمة في مخاطبة الآخر قال تعالى:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (النحل: ١٢٥).

وعلى هذه الأسس القويمة يرسي القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، إنه منهج حضاري متكامل في ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم، والذي يلاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون حسنة، ولكنه لم

يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي أحسن؛ لأن الموعظة غالبًا ما تكون مع الموافقين، أما الجدال فعادة ما يكون مع المخالفين؛ لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن.

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، فالحوار ممكن لوجود القواسم المشتركة وهناك مجال للتفاهم والتقارب، ومن ثم فليتقارب الناس وليتعاونوا على ما هو صالح لهم جميعًا، وقد بيَّن الإسلام نوع العلاقة التي يجب أن تسود بين المسلمين وغيرهم، إنها علاقة تقوم على التعارف والتعاون والعدل والبر والإحسان.

فهذا هو الحوار الحضاري والعلاقة الإنسانية السامية، قال تعالى:﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ الله عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ الله يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨﴾ (الممتحنة: ٨).

فالإسلام يؤمن بالتعددية الحضارية بل ويمارسها، ويرى في التعددية أنها سنة من سنن الله تعالى في الكون، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ الله لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ

ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى الله مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤﴾ (المائدة:٤٨)، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾ (هود:١١٨)، فالإسلام يساعد على نهوض الحضارات بحيث يتحول العالم إلى منتدى حضاري يحقق التعددية الحضارية.

والحوار منهج قرآني، فقد كلم الله ملائكته واستمع منهم ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ (البقرة:٣٠)، وكذلك رسله: ﴿وَإِذۡ قَالَ الله يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦)، وحتى مع الكافرين: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ (طه: ١٢٥، ١٢٦). وحتى مع إبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ (الأعراف: ١٢)، والقرآن مليء بمحاورات الرسل مع أقوامهم: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي الله شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ (إبراهيم: ١٠).

وحضارتنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار، فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير.

شروط الحوار الحضاري:

كي يحقق الحوار بين الحضارات أهدافه المرجوة والتي يعد تجاوز التصادم والصراع بين الحضارات أهمها؛ لابد من أن يحقق شروطًا معينة، ومن هذه الشروط:

●توازن وتكافؤ القوى المتحاورة: ولكي يكون الحوار إيجابيًّا يجب أن يتحقق التكافؤ بين الأطراف المتحاورة، والجدير بالذكر أن التكافؤ لا يتم قياسه اعتمادًا على معيار سياسي، أو اقتصادي، أو عسكري، وإنما يُقاس بما قدمه كل طرف للحضارة الإنسانية، وبما أسهم به كل طرف في تنمية المجتمعات وتحقيق الإنجازات فيها.

●استكشاف الأطراف المتحاورة لبعضها البعض: لكي يتحقق الهدف من الحوار بين الحضارات لابد أن يكتشف كل طرف الطرف الآخر ويقف على موقعه من حيث العطاء، واستيعاب المفاهيم الحضارية ومختلف التجارب التاريخية، بالإضافة إلى مدى استيعابه وتفهمه لقضية التعايش السلمي، ومعرفة القيم الدينية التي يقوم عليها، والأنماط الاجتماعية السائدة، كما يجب معرفة مدى فاعلية الحوار الحضاري وما ينتج عنه من ثمار مفيدة لكلا الطرفين.

●الاحترام المتبادل: ويتمثل الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة على تجنب إنقاص أحد الأطراف من قيمة الطرف الآخر، كما يجب عدم سعي كل

منهما إلى فرض السيطرة والهيمنة على الطرف الآخر وإرهابه بأي وسيلة كانت، وعلى كلٍ من الأطراف أن يحترم الاختلاف في الرأي والعقيدة كما يجب على كل من الطرفين احترام نفسه وتفاعله بشكل إيجابي في المجتمع، والحفاظ على تراثه؛ وذلك لكي تقوى هيبته في نفوس الأطراف الأخرى، وبالتالي احترامه وإعلاء شأنه، وتقدير الثوابت الفكرية بين أطراف الحوار.

- تحقيق الهدف المرجو من الحوار: يجب على كل طرف من الأطراف المتحاورة أن يعرف الهدف المقصود من عملية الحوار، وما يتصل بهذا الهدف من ارتباطات، ولكي يكون الحوار إيجابيًّا وحقيقيًّا يجب أن يحقق الهدف المقصود كتعارف الثقافات على بعضها البعض، وتشارك المعرفة، وبناء علاقات إيجابية بين الطرفين، أو لتبادل وجهات النظر حول قضية معينة يهدف كل طرف من الأطراف إلى حلها وحسمها، وتحديد الهدف والسعي لتحقيقه، والذي من شأنه أن يجعل الحوار عملية إيجابية.

ومن أهم آداب الحوار في الإسلام:

١ – حسن القصد: وذلك بالإخلاص لله والرعية في طلب الحق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ الله مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ (البينة: ٥).

٢ – العلم: فلا حوار بلا علم، والمحاور الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله سبحانه وتعالى المجادل بغير علم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي الله

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (الحج: ٨)، وذم أهل الكتاب لمحاجتهم بغير علم كما في قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٦).

٣ – التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام، حيث إن أهم ما يتوجه إليه المحاور التزام الحسنى في القول والمجادلة.

٤ – التواضع واللين والرفق من المحاور: وحسن الاستماع وعدم المقاطعة والعناية بما يقوله المحاور، فهو أدعى للوصول إلى الحقيقة واستمرار الحوار، وهذا ما تعلّمَناه من القرآن، فقد أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام عند مخاطبة فرعون الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية، فقال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٤).

٥ – الحلم والصبر: فالمحاور يجب أن يكون حليمًا صبورًا فلا يغضب لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه، والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته، إنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلم من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَالله يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (آل عمران: ١٣٤).

٦ – العدل والإنصاف: يجب على المحاور أن يكون منصفًا فلا يرد حقًا، بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة

التي يوردها محاوره، وهذا الإنصاف له أثره العظيم في قبول الحق، كما تضفي على المحاور روح الموضوعية.

أهداف الحوار الإيجابي:

- بناء جسور من التواصل الفعال بين الثقافات الشعبية والعالمية المختلفة.
- المساهمة في منع اندلاع الحروب بين الدول من خلال الاعتماد على التقريب الثقافي والفكري بين الشعوب.
- تعزيز دور التبادل الدبلوماسي بين الدول؛ مما يسهم في بناء ترابط إيجابي عالمي.
- تقديم الدعم للتعاون الاقتصادي، وهو مجال من المجالات الإنسانية التي تعتمد على وجود حوار بناء مستمر.
- دعم دور الحوار الأخلاقي القائم على الإيجابيات الثابتة بين الثقافات المشتركة، والسعي لتجنب السلبيات المختلفة قدر المستطاع.

الحفاظ على خصوصيات الأمم والمجتمعات:

إن من أول الخطوات في الحفاظ على الخصوصيات هي إثبات الهوية والحفاظ عليها، فيجب علينا أن نتمسك بالخصوصية الدينية أي الدين الإسلامي واللغة العربية كمنبع للثقافة والحضارة العربية والإسلامية، وأن نركز على أصول وثوابت ديننا الإسلامي الحنيف، وأن نثبت وجودنا على الساحة العالمية، وأن نجعل خصوصياتنا الثقافة العربية والإسلامية تتفاعل مع الثقافات العالمية، حتى

نستطيع أن نساير العالم في تقدمه مع الحفاظ على هويتنا وثوابتنا، وأن يحترم المتحاورون خصوصيات الآخر احترامًا كاملًا في فكره وثقافته ومعتقده؛ حتى يستطيع الجميع أن يصل بالحوار إلى التعاون في كافة المجالات، فإن جوهر الدين الإسلامي الحنيف هو توجيه استخلاف الإنسان في الأرض حتى يصل إلى إقامة أمة متوازنة (أمة وسط) يسود فيها السلام والعدل والمساواة والإنسانية بين الناس جميعًا، فيعيش الإنسان حياة متسقة مع حركة الكون، والخطاب القرآني يحث المسلمين بل الناس جميعًا على التعارف فيما بينهم، والتعارف يبدأ بالحوار فيما بينهم قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: ١٣).

والإسلام له دور أساس في تعزيز الحوار ، وذلك بشهادة بعض المستشرقين أمثال (سان سيمون) بقوله : (إن الدارس للحضارات الإنسانية المختلفة لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي قام به العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية لأوربا الحديثة).

وما من شك أن احترام الاختلاف في الآراء واحترام الخصوصية يؤدي إلى التقريب بين الشعوب والأفراد من الديانات المختلفة عن طريق بناء علاقات قائمة على وحدة الفكر الثقافي الإنساني، وتجنب مظاهر العنصرية الدينية التي تؤدي إلى حدوث العديد من الكوارث بين الدول والشعوب.

* * *

الحـــــوار وإنصـــاف الخصـــم(*)

هناك مصطلح أصيل في ثقافتنا هو مصطلح "إنصاف الخصم"، لا نقول: قبول المخالف فقط، ولكن نصل إلى مرحلة الإنصاف.

يقول الدكتور نظمي لوقا في مقدمة كتابه الماتع "محمد الرسالة والرسول": «من يغلق عينيه دون النور يضير عينيه ولا يضير النور، ومن يغلق عقله وضميره دون الحق يضير عقله وضميره ولا يضير الحق، فالنور منفعته للرائي لا للمصباح، والحق منفعة وإحسان إلى المهتدي لا إلى الهادي إليه، وما من آفة تهدر العقول البشرية، كما يهدرها التعصب الذميم الذي يفرض على أذهان أصحابه وسرائرهم ما هو أسوأ من العمى لذي البصر ومن الصمم لذي السمع؛ لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد البصر إنسانًا، والأصم قد يبقى بعد فقد السمع إنسانًا.. أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه حتى ما يميز الخبيث من الطيب فذا ليس بإنسان بالمعنى المقصود من كلمة إنسان، وبهدي من هذا النهج وجدت من واجبي أن أكتب هذه الصفحات موقنًا أن الإنصاف حلية يكرم بها المنصف نفسه قبل أن يكرم بها من ينصفهم، وليس الإنصاف مزية لصاحبه إلا حينما يغالب الحوائل، أما حين يوافقها فما أهون الإنصاف»، إنها كلمة رجل منصف في مقدمته لسفر يتحدث فيه عن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(*) أ. د/ أحمد ربيع أحمد يوسف ، عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق – جامعة الأزهر.

والناظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي يجد هذا المسلك الذي يحتوي على إنصاف الخصم بشكل واضح، فالقرآن الكريم به نماذج متعددة لإنصاف الخصم حتى ولو كانوا من المخالفين في الاعتقاد، ومن نماذج هذا الإنصاف في القرآن الكريم ما يلي:

١ – حديث القرآن الكريم عن ملك مصر في عهد يوسف، فرغم أنه كان على دين قومه ولم يؤمن برسالة يوسف (عليه السلام) فإن القرآن يعرض له مساحة ينصفه فيها، ويبين المزايا التي وجدت في هذا الملك، فبعد أن فسر يوسف (عليه السلام) رؤيا الملك وطلب الملك أن يؤتى به؛ امتنع يوسف عن الخروج من السجن قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ الله لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ (يوسف: ٥٠ – ٥٥).

ولقد كان من الممكن أن يساوم الملك يوسف لخروجه من السجن حتى يسكت عن هذه القضية التي تنال من بعض سيدات المجتمع ؛ ولكن لأن الملك

كان عادلًا أمر بفتح تحقيق جديد في القضية، وسأل النسوة مباشرة، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ (يوسف: ٥١)، وبعد فتح التحقيق من جديد ظهرت براءة يوسف ؛ ولأن الملك كان عادلاً جعل يوسف وزيرًا على خزائن الأرض.

٢ – محاورة القرآن الكريم لأهل مكة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ اللهُۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ (سبأ: ٢٤ – ٢٦)، وهذا الكلام جارٍ على ما تتخاطب به العرب من استعمال الإنصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير، ويسميه أهل البيان الاسْتِدْرَاجَ، حتى يُصْغِي المخاطَب إلى ما يلقيه إليه، إذ لو بدأه بما يكره لم يُصْغِ، ويقول الإمام الرازي: (هذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها، وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطئ يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم؛ فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ، والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز؛ فإن الخصم حينها يجتهد في النظر ويترك التعصب، وذلك لا يوجب نقصًا في المنزلة لأنه أوهم بأنه في قوله

شاك، ويدل عليه قول الله تعالى على لسان نبيه: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤) مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون، وهذا الأسلوب يرفع حدة الخلاف، وقد يؤدي إلى تسليم المخالف، ويقول الإمام البيضاوي في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٢٥). هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات؛ حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

٣ - القرآن الكريم وهو يعرض آراء الخصوم يعرضها على حقيقتها دون زيادة أو نقصان، ولا يوجد كتاب سجَّل مقولات الأعداء ضد الكتاب وصاحب الكتاب ومن أنزل الكتاب غير القرآن الكريم، فقد عرض القرآن الكريم أقوال الخصوم وكان لا يستهين بها، وإنما كان يعرض آراءهم وأقوالهم ثم يرد عليها بالرد العقلي، فحينما قالوا: إنما يعلمه بشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النحل: ١٠٣).

ولما وصفوا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسحر وبالجنون ذكر ذلك ورد عليهم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (الذاريات: ٥٢ – ٥٣).

٤ - حينما وصف اليهود رب العزة سبحانه بالبخل ذكر قولهم كما قالوا ثم رد عليهم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ (آل عمران: ١٨١ – ١٨٣).

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم التي تعرض هذا الجانب لوجدناها كثيرة ومتعددة، فالقرآن يأمر بأن نعدل مع الخصم وأن نُنصف هذا الخصم حتى ولو كان مختلفًا معنا في الفكر أو في العقيدة أو في أي شيء، وكذلك الأمر في السنة النبوية المطهرة والسيرة العطرة.

وفي تراثنا الإسلامي كثير من إنصاف الخصوم، ومن ذلك:

١ - المحاورة التي دارت على أرض الحبشة بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي حينما حضر عمرو بن العاص - قبل إسلامه - وعمارة بن الوليد موفدين من قريش لطلب عودة المهاجرين إلى مكة، وفي المحاورة قال جعفر للنجاشي: سلهما أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيدًا أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم، فقال عمرو: بل أحرار، فقال جعفر: سلهما هل أهرقنا دماء بغير حق فيقتص منا؟ هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه؟ فقال عمرو: لا، فقال النجاشي لعمرو وعمارة: هل لكما عليهما دين؟ قالا: لا، قال: انطلقا، فو الله لا أسلمهم إليكما أبدًا.

٢ - قال أحمد بن حفص السعدي شيخ ابن عدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن

الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضا، ويعلق المحققون لسير أعلام النبلاء على هذا بقولهم: وهكذا يكون عظماء الرجال في اتساع صدورهم، وتقدير جهود غيرهم، والإشادة بفضلهم. فإن اختلاف الأئمة المجتهدين في فهم بعض نصوص الكتاب والسنة وما تدل عليه ظاهرة طبيعية في شريعة الإسلام، وهذا الاختلاف مما أراده الله تعالى ورضيه، فهو رحمة وتوسعة ومجال للاجتهاد، ولقد كان من أثره هذا التراث الضخم الذي تحفل به المكتبات الإسلامية من المؤلفات المتنوعة.

٣ – عن طاووس أن زيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم تماريا في انصراف الحائض قبل أن يكون آخر عهدها الطواف بالبيت، فقال ابن عباس: تنفر، وقال زيد: لا تنفر، فدخل زيد على عائشة فسألها فقالت: تنفر، فخرج زيد وهو يبتسم ويقول: ما الكلام إلا ما قلت، قال أبو عمر: هكذا يكون الإنصاف، وزيد معلم ابن عباس، فما لنا لا نقتدي بهما.

٤ – في محاورة علمية هادئة يظهر فيها الإنصاف بين الصحابي الجليل ابن مسعود وأبي مسلم الخولاني التابعي الجليل، لا بأس من ذكرها لما فيها من علم وخلق كريم، ما أحوجنا إليه في مناظراتنا ومجادلاتنا، وأن المنصف لا يضيق ذرعًا مهما علا وسما إذا وجه إليه سؤال أو أكثر في سبيل بيان الحق، فقد روى الطبراني عن أبي مسلم الخولاني أنه قدم العراق فجلس إلى رفقة فيها ابن مسعود، فتذاكروا الإيمان، فقلت: أنا مؤمن، فقال ابن مسعود: أتشهد أنك في الجنة؟، فقلت: لا أدري مما يحدث الليل والنهار، فقال ابن مسعود: لو شهدت أني مؤمن

لشهدت أني في الجنة، قال أبو مسلم: فقلت: يا ابن مسعود، ألم تعلم أن الناس كانوا على عهد رسول الله على ثلاثة أصناف: مؤمن السريرة مؤمن العلانية، كافر السريرة كافر العلانية، مؤمن العلانية كافر السريرة؟ " قال: نعم، قلت: فمن أيهم أنت؟، قال: أنا مؤمن السريرة مؤمن العلانية، قال أبو مسلم: قلت: وقد أنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ (التغابن: ٢). فمن أي الصنفين أنت؟، قال: أنا مؤمن، قلت: صلى الله على معاذ، قال: وما له؟، قلت: كان يقول: اتقوا زلة الحكيم، وهذا منك زلة يا ابن مسعود، فقال: أستغفر الله.

٥ – يذكر القرطبي عن ابن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف ، ويعلق القرطبي على ذلك بقوله : هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عمَّ فيه الفساد! وطلب فيه العلم للرئاسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى.

أين هذا مما روي عن عمر –رضي الله عنه– وقد قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبة يعني يزيد بن الحصين الحارثي، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من صوب النساء طويلة، فقالت: ما ذلك لك! قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ (النساء: ٢٠)، فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ!

٦ - وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل عليًّا عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: أصبت وأخطأت، وفوق كل ذي علم عليم.

٧ - وذكر عن محمد قاسم بن أصبغ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس، فلما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مسدد، فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي : أنه قدم عليه قوم من مضر من مجتابي النمار فقال: إنما هو مجتابي الثمار، فقلت: إنما هو مجتابي النمار، هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق، فقال لي: بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا! أو نحو هذا، ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ - لشيخ كان في المسجد- فإن له بمثل هذا علمًا، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال: إنما هو مجتابي النمار، كما قلت، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة، جيوبهم أمامهم، والنمار جمع نمرة، فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه: رغم أنفي للحق ، رغم أنفي للحق، وانصرف .

ما سبق من نماذج وغيرها كثير يوضح أن إنصاف الخصم متأصل في ثقافتنا، وفي إنصاف الخصم في المحاورة يقول الغزالي: أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقًا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه، ويكرمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة (رضي الله عنهم) حتى أن

امرأة ردت على عمر، ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس، فقال: أصابت امرأة وأخطأ رجل.. وسأل رجل عليًّا فأجابه ، فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا كذا، فقال: أصبت وأخطأت، وفوق كل ذي علم عليم.

واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما)، فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل، فقال: هو في الجنة، وكان أمير الكوفة، فقام ابن مسعود فقال: أعده على الأمير فلعله لم يفهم، فأعادوا عليه فأعاد الجواب، فقال ابن مسعود: وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة، فقال أبو موسى الحق ما قال. وهكذا يكون إنصاف طلب الحق.

فما أحوجنا إلى أن نتعلم ثقافة إنصاف الخصم، فهي ثقافة أصيلة في تراثنا، وإن كان الواقع المعاصر الذي نعيشه ونحياه توجد به حوارات متعددة إلا أن بعضها بينه وبين الإنصاف مسافات متعددة، وكل على رأيه وكل معجب بعقله لا يتزحزح عنه أبدًا.

ولا شك أن الاختلاف الفكري بين الناس شيء مقبول، ولكن بشرط ألا يؤدي إلى الغوغاء أو إلى إعجاب كل صاحب رأي برأيه؛ لأن هذه مشكلة كبيرة جدًّا تؤدي إلى تفاقم مشكلات كثيرة ومتعددة، قد أكون أنا على صواب وأنت على صواب فلمَ لا نلتقي؟ وقد يكون سبب التشبث بالرأي ظن البعض أن الحق واحد والباطل متعدد، والحقيقة أن الصواب قد يتعدد.

* * *

احترام الخصوصية الدينية (*)

من المسلمات البدهية التي لا يختلف عليها عاقلان أن الإسلام منعوت بآداب سامية تعلو فوق كل فكر، كما اعتبر الإسلام احترام خصوصية الآخر الدينية أصلًا من أصول قيام الحياة الآمنة التي تميز الإنسان وتفرده عن بقية منظومة الخلق بالبر والوئام، وعملية احترام الآخر عملية تقويمية لإدراك الإنسان، ولها مردود إيجابي ارتقائي في الحياة الاجتماعية واستقرار وأمن المجتمعات على الأساس الإنساني، ما يتواءم ومتطلبات الفرد السوي وقيم المجتمع المتحضر ومعاييره، حيث تجمع بين شرائح المجتمع مع اختلاف معتقداته وتوجهاته الفكرية في صورة متناغمة تتجسد فيها معاني الإنسانية من خلال مبادئ تكوينية سامية تحقق آلية متناسقة في تكوين بناء المجتمع على أسس بنائية تعميرية، لا على توجهات هدمية تخريبية .

ولم ينسلخ مفهوم احترام الآخر وعدم إكراهه على الدين في المنظور التشريعي الإلهي عن مطالبات البقاء الإنساني، ولم يصطدم ذلك بالحقائق الحيوية للكينونة الحضارية، فالإسلام خاطب الوجود كله بمنهج التناغم مع طبيعة الحياة فيه، وساق البشرية كلها إلى حياة الإلف والإخاء، وأنقذها من عناء التدابير الفكرية المنزلقة إلى نظام حياة الغابة، وحررها بِخطْو ينبهها من خطر السيكولوجيات المضللة.

(*) أ. د/ محمد عبد الدايم الجندي، أستاذ الأديان والمذاهب، ووكيل كلية الدعوة للدراسات العليا، جامعة الأزهر.

ومنهج الإسلام في ضبط واستقرار الوجود الكوني على أسس الترسيخ والاحترام والبر والقسط لم يتغير، ولا يصح أن يتغير نظامه، فهو الوحيد الصالح لبقاء الحياة الصالحة، ومنهج الإسلام منذ وجدت قصة الإنسان على البسيطة وإلى يوم القيامة ثابت على مبدأ حماية الإنسانية، ويرفض مداهمة خصوصية الآخر ومضايقته والتضييق على ممارساته الدينية في ظل السلم والأمن المتبادل، وتأتي رسالة رسول الله محمد لتؤكد وتجدد نداء السماء بعدم المساس بمنهج الله سبحانه في نظرته السلمية في الحياة، فإنه لا اجتهاد مع النص .

والمطالع لآي الله في صياغة العلاقة بين المسلم والآخر، يجد ما يرمقه من طلبته من خرائط ترسم خطو السير الحياتي على مبدأ السلام والمحبة، وحين نادى القرآن البشرية في هذا الجانب، ناداها على اعتبار حقيقتها الإنسانية مذكرا إياها بأصل خلقتها، وجامعية خلقها، فقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ (النساء:١)، وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات: ١٣)، ما وجه المسلمين إلى كيفية التعامل مع الآخر، فقال سبحانه: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ الله عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ الله يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ (الممتحنة: ٨)، والقرآن مليء بهذه المبادئ التسامحية، فمع تأكيده الاختلاف بين البشر، لا يلغي الائتلاف التعايشي واحترام

الآخر والبر به والتآلف معه، واعتبر أن الناس جميعًا أسرة واحدة، يرجع نسبهم إلى أب واحد وأم واحدة، ورسالته السمحة رسالة شاملة موجهة إلى جميع الناس مع إلزامية صيانة الكرامة الإنسانية ونبذ العداء والبغي، وقام على المساواة التامة في حق البقاء على مبدأ السلام ، وكذلك السنة حثت على ذلك، والسرد التاريخي أكد مفهوم التسامح على نفس المنهج.

احترام الخصوصية الدينية للآخر في الإسلام

وجَّه الإسلام أعظم دعوة في تاريخ البشر إلى احترام خصوصية الآخر مشددًا على عدم إكراهه في الدين، وقد جمع الإسلام في هذا الباب من أبواب المعاملة كل أطراف الحسن والأدب، فلا يتصور أن أحدًا ـ في أي وقت أو أي موقع ـ أن ينكر هذه الحقيقة أو يشكك في مصداقيتها، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: نبذ إكراه الآخر على الدين مركز دائرة التاريخ الإسلامي توجيهًا وتطبيقًا:

في ظل التداعيات الدامية التي سطرت تاريخ العدو على المسلمين بحوافر خيول الملاحم الزاحفة إلى بيت المرحمة الإسلامي، فبعيدًا عن الظنون العائمة، وباستعراض تقارير رقابة محكمة السمع والبصر والفؤاد المطلة على رقعة التاريخ، لم يسمع طنين ولا أنين ولا عويل ولا بغي ولا سطو من المسلمين على غيرهم، ومن خالف ذلك في رأي، فمثله ككومة الثلج ما إن تطالعها شمس الحقيقة إلا وتذوب .

مشاهد تاريخية واقعية لدعوة الإسلام إلى احترام الآخر:

إن مشاهد احترام الإسلام للآخر الواردة في صفاح التاريخ كثيرة لا تحصى، أختار بعضا من نواحيها، فالتاريخ الإسلامي قد امتلأ إناؤه من صور احترام الخصوصية الدينية للآخر عمليًّا، ونذكر منها ما يأتي:

المشهد الأول: النبي أسوة في احترام خصوصية الآخر:

ضرب النبي أعظم مثال في الدنيا يعلم العالم من خلاله احترام خصوصية الآخر، يروي الحاكم وغيره، عن زيد بن سعنة أنه قال: لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فكنت أتلطف له لأن أخالطه، فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمرًا إلى أجل فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ قلت: ألا تقضيني حقي يا محمد فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل، فقال عمر: أي عدو الله، أتقول لرسول الله ما أسمع ؟!! فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر قسوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال:» أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فأقضه حقه، وزده عشرين صاعًا مكان ما رعته» ففعل، فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما فقد اختبرتها، أشهدك أني قد رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، وليس ذلك بدعة

مستحدثة، ولا أخلاق مستهجنة في منهج النبي لا.. إنه طبيعة الإسلام التي فتح بها النبي قلوبا تلهت بعبادة الحجارة، وتلذذت بتراهات الجاهلية، وشهد التاريخ بذلك.

المشهد الثاني: التاريخ الإسلامي يجسد ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾:

لعل القارئ يعجب ـ مع اتساع مساحة الزمن بين عهد النبوة وأيامنا ـ حين يستقرئ التاريخ ويمر على منهج النبي في تعامله مع الآخر واحترام خصوصيته الدينية، إنه جسد قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ وأذعن لقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ (يونس: ٩٩)، فمزق بنور تلك الفضيلة المتسامحة الظلمات، وأجلى بروح الإسلام غياهب الضلالات، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما): قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني قال: الله قال: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقال: من يمنعك قال: كن خير آخذ قال: تشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله قال: أعاهدك على أن لا أقاتلك و لا أكون مع قوم يقاتلونك قال: فخلى رسول الله سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

المشهد الثالث: مثاليون على نفس المنهج من احترام خصوصية الآخر صنعوا على عين النبي ﷺ:

لا يستطيع عقل أن ينكر احترام أصحاب سيدنا محمد، إلا عقل مظلم خابي

الشعاع ، فما أكثرها من حقائق سردها التاريخ تنبي عن مشاهد تترى من احترام الصحابة للآخر لتقول للعالم: إن محمدًا فينا باق بأخلاقه ما بقيت في الأرض حياة، ومن المشاهد المثالية في تاريخ الصحابة ما يلي:

كان الفاروق عمر بالشام وحانت الصلاة، وهو في كنيسة القيامة، طلب منه البطريق أن يصلي بها، وهم أن يفعل، ثم اعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسلمون فيها بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى، وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها إلا واحدا، غير مؤذنين للصلاة مجتمعين.

وتتوالى الأحداث ويخوض عمر الفاروق الغمار السمح، فلم ينزل على أحد بجوائح السطوات، ولم يجس الخلال بوابل النقمات، إن امرأة جاءته (وهو خليفة المسلمين) في حاجة وكانت مشركة، فدعاها للإسلام فأبت، فقضى لها حاجتها، لكنه خشي أن يكون في تصرفه هذا ما ينطوي على إكراهها للدخول في الإسلام، فاستغفر الله عما فعل وقال: "اللهم إني أرشدت ولم أكره"، وعلى نفس النسيج التناغم يسير عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان يعطف على شاعر نصراني، وهو أبو زبيد.

وتسير المنظومة التاريخية ممزوجة بالتسامح تباعًا، دون تعطيل لهذا النظام المتناسق المتشابك الذي لا تحول بين اتصاله الأيام والسنون، ففي فتوح البلدان رسمت حوافر الخيول شعارات المسامحة والبر، ونقشت على الصخور منظومته مع خطوها المنتظم في الوديان والفيافي، ويضرب خالد بن

الوليد مثالًا عظيمًا في معاهداته مع الكتابيين، فكان من نصوصها: ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أعيادهم، كما نصت معاهدة حذيفة بن اليمان: مع أهـل الذمة على إعطائهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرواحهم، ولا يغيرون على مـلة، ولا يحـال بينهم وبين شرائعـهم ولهم المنعة ولم يقتصر خلق الفاتحين على الكتابيين، ولكن شمل أرباب الوثنيات، فلم يحرموا من روحها، فعند فتوح السند أيام الدولة الأموية، استطاع «محمد بن القاسم» أن يرتفع بالبوذيين إلى مصاف أهل الكتاب، كما حدث مع الزرادشتيين في إيران، فقد ضم ابن القاسم البوذيين إلى مصاف المعاهدين، ليتمتعوا بكافة الحريات، وصالحهم على ألا يقتلهم، ولا يعرض لبيوت عبادتهم، ككنائس النصارى وبِيعَ اليهود وبيوت المجوس.

بهذا المنهج ملأت النجوم سائر الأغوار، وأزالت الكديات والأوعار فشاعت انسيابية في الحياة الإنسانية، وغاب التسيب والجور، وما تلك إلا ملامح من كتاب كبير، مليء بالمشاهد السمحة مع الآخر، وهي ثابتة في التاريخ الإسلامي.

التوصيات:

١ ـ تكثيف الجهد في إرسال رسالة الإسلام ودعوته لاحترام الآخر ونشر ذلك في الأوساط الغربية بكافة الوسائل الإعلامية والدعائية، ذبا عن الإسلام المظلوم بين هتك الأعداء، وتضليل الأدعياء.

٢ـ إنشاء مراكز بحثية متخصصة في نشر ثقافة حث الإسلام على التعامل مع الآخر بالبر به واحترام خصوصيته، تقوم بتقصي المقالات والبحوث الغربية وترجمتها، والتواصل بينها وبين جهاتها كتتبع لمركزية الجدل والخلاف، ومحاورتها ومعالجة مفاهيمها، أو الرد عليها ببحوث مترجمة للغات متعددة تعطيلا لانفرادها الميداني بين الأنساق المجتمعية المتعددة.

٣ـ وضع منظومة مترابطة تجمع بين أطراف المسئولية الدعوية عالميًّا غير معطلة، لتفعيل وتكثيف الإفصاح عن حقيقة التسامح الإسلامي في التعامل مع الآخر، وتطويع كافة الآليات الإعلامية والدعائية وتخصيص ميزانية خدمية دولية لتيسير الوصول لهذا الهدف.

* * *

الحوار واحترام خصوصية الآخر(*)

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، من آتاه الله عظيم فضله وكريم هدايته فشرح به الصدور، وأنار به الأفئدة، وعلى آله وصحبه ذوي البصائر الأطهار، وبعد:

فهذا بحث عن الحوار واحترام خصوصية الآخر دينيًّا وثقافيًّا، والحوار في الإسلام يشتمل على النشاط القولي والعملي والحركي، ويخضع للتغير حسب الزمان والمكان، ولا نجد حوارًا صغيرًا أو كبيرًا يتعلق بالأفراد والجماعات من المسلمين ومن غيرهم إلا وقد فضله الله في ديننا العظيم الذي أكمله الله لنا، وأتم به النعمة، وارتضاه لهذه الأمة، فالإسلام قد اهتم بالحوار ورغّب فيه، سواء في أدب التخاطب والتحدث، أو أدب التعبير، وأيضًا أدب الرد على الناس بعامة وأدب الرد على الخصوم بخاصة.

وهذا المنهج التأديبي التعليمي إنما هدانا إليه القرآن الكريم، حيث علَّمنا كيف نتحاور، وكيف نتفق أو نختلف، وعلمه لنا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام (رضي الله عنهم أجمعين) ، ثم اتسع الأمر لأكثر من هذا في كيفية التحاور مع الأمم الأخرى، وفي التبادل الفكري والعلمي، وفي التواصل الإنساني من خلال التعارف والتلاقي حول مفاهيم إنسانية تحقيقًا لمبدأ التحاب والتواد، والتواصي بالخير والتسامح.

(*) أ.د/ محمد عبد الستار الجبالي، أستاذ ورئيس قسم الفقه بكلية الدراسات العليا – جامعة الأزهر.

إن الإسلام ينطلق من أن الاختلاف كامن في طبيعة الحياة، فقد خلق الله تعالى الكون ومن فيه على أساس من الاختلاف الظاهر في النوع والعدد، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (الروم: ٢٢)، فالإسلام لا يقاطع الآخر، ولا يحرم أصل التعايش مع غير المسلمين.

إن القرن الذي نعيش فيه هو قرن يزيد فيه التواصل والتحاور البشري، ويمكن القول: إنه قرن التدافع الثقافي، وهذا توجه مهم ومفيد يلزم المسلمين استقباله والتعامل معه بإيجابية؛ لأن منهجية الحوار بالبيان والحكمة إنما هو منطلق أساسي في منهج القرآن الكريم، فالمسلمون مطالبون بالسعي للحوار مع غيرهم بما يحقق وضوح الرؤية ويجمع الكلمة على المبادئ والقيم الربانية الخالدة، ومن المهم أن نعترف ونتيقن أن الأمة الإسلامية تحكم علاقتها وتحاورها قواعد تقوم على أساس صحة كل علاقة وسلامة كل حوار، قال تعالى:﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ الله إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (المائدة: ٤٩)، كما تحكمها قيم وآداب لا ينبغي تجاوزها، ولا يصح معها التنقيص من معتقدات الآخرين، وهذا صريح في قوله تعالى:﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله فَيَسُبُّوا۟ الله عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام: ١٠٨)، والمجتمعات الإسلامية وفق تعاليم الإسلام

وقيمه مأمورة باحترام الخصوصية والتزام العدل والإنصاف مع وجود الاختلاف في العقيدة، حيث يقول الله سبحانه وتعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨).

وإذا كان التدافع بين الناس حقيقة أوضحها القرآن الكريم لتحقيق الحياة الأفضل، فإنه جدير بحماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم، قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).

آداب الحوار:

للحوار آداب ينبغي أن يتحلى بها المحاور، ومنها:

١ـ إخلاص النية لله تعالى: ينبغي ألا يدخل المحاور في حوار مع غيره إلا إذا كان موجّهًا نيته لله (عز وجل) ، لا أن يقصد إظهار براعته وثقافته، وحقيقة الإخلاص التبرؤ مِن كل ما دون الله، أي أن المحاور ينبغي أن يقصد وجه الله بقوله وعمله، وأن يبتغي مرضاته وحسن مثوبته، ومن أغراض الحوار أن يكون لحراسة الشريعة والذب عنها، ودلالة الناس على الهدى، وتثبيتهم عليه، فإذا لم تخلص النية لله تعالى لم يتحـقق الغرض ، قال الشافعي: ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت

لو أن الله أظهر الحق على لسانه [(١)].

٢ـ العلم: العلم من أهم أسباب نجاح الحوار، وبدونه يكون الضرر كبيرًا، إذ يصبح الحوار تضييعًا للوقت والجهد، والعلم المقصود هو العلم المتعلق بموضوع الحوار ومادته، والعلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ولمَّا كان العلم هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق وللتفكير السليم أنكر الله على أهل الكتاب محاجتهم دون علم فقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٦٦﴾﴾ (آل عمران: ٦٦).

٣ـ الصدق: من مقتضيات الحوار عدم كتم شيء من الحق، أو إخفاء بعض العلم الذي له علاقة بموضوع الحوار، خاصة إذا كان ظاهر تلك الأدلة المسكوت عنها لصالح الطرف الآخر، فإن ذلك قدح في مصداقية المحاور، والعقيدة الإسلامية عقيدة الصدق والوضوح، ولذلك حرص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على إبراز هذا الجانب في محاوراتهم لأقوامهم، فهذا نبي الله هود ﷺ يبين أمانته وصدقه في التبليغ، قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴿٦٨﴾﴾ (الأعراف: ٦٨).

٤ –التزام المحاور بما يدعو إليه: الحوار إما أن يكون حول قضية علمية أو عملية، فإذا كان حول قضية عملية، ينبغي أن يكون المحاور قدوة حسنة في

---

(١) راجع: أدب الحوار والمناظرة، ص ٢٥.

تطبيق ما يحاور لأجله، ويدافع عنه، والعمل بما يعلم فيحول الأفكار النظرية إلى حقائق علمية ملموسة، فمن فرط في العمل وقصَّر في التنفيذ، دل ذلك منه على اضطراب وعدم يقين، وكان أضعف في حجته، وأعجز عن إقناع غيره، والموعظة التي لا يلتزم بها صاحبها تؤدي إلى شرٍّ عظيم، وتؤدي إلى فتنة السامع وعدم إقناعه بصحة ما يقوله المحاور، يقول أبو الأسود الدؤلي في ذلك:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم[1].

٥ـ التكافؤ بين المتحاورين: ويقصد بالتكافؤ التقارب بين المتحاورين من حيث المنزلة والمكانة الاجتماعية والعلمية بقدر الإمكان، ولا نقصد من ذلك الامتناع مع من نختلف معه في المكانة، ولكن مراعاة تقارب السن والمنزلة له أثر في مجرى الحوار إيجابًا أو سلبًا، وقالوا: لا تصح المناظرة ولا يظهر الحق بين متناظرين حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والإنصاف، وإلا فهو مراء أو مكابرة[2].

رابعًا: سماحة الإسلام واحترام خصوصية الآخر دينيًّا وثقافيًّا:

إن المتتبع لتعاليم الإسلام وأحكامه يجد أن علاقة المسلمين بغيرهم تقوم على أسس وقواعد لا بد منها في الحياة الاجتماعية والدولية، ومن خلال هذه الأسس التي أقرها الإسلام نَعِمَ غيرُ المسلمين بحقوقهم وحرياتهم كاملة في ظل

---

(١) راجع: الحوار في الإسلام، ص ٨٠.

(٢) تفسير السعدي ٣/ ٢٦٣.

حماية وحراسة المسلمين الذين كانوا يتسابقون في ضمان وكفالة هذه الحقوق، ترجمة لتعاليم دينهم الذي تشع تعاليمه تسامحًا وعفوًا ورحمة وعدالة .

وفي هذا المعنى يمكننا القول: إن الحريّات الشخصية واحدة من الحقوق المهمة التي قررها الإسلام لغير المسلمين وحماها على مر العصور، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فلم يفرض على غير المسلمين أمرًا يخالف تعاليم دينهم، ليس في الأمور المرتبطة بالعقيدة أو المواطنة أو الحرية أو التملك أو ممارسة السياسة العامة فحسب، ولكن في أمور الأحوال الشخصية، فتُركوا وما يختارون وفقًا لما تقرره مؤسساتهم الدينية من كنائس أو معابد أو غير ذلك مما يرتضيه غير المسلم، وهذا موقف يجسد عظمة الإسلام وتسامحه واحترامه لخصوصيات المخالف في العقيدة وكفالة حقوقه وحرياته، وهذا الأمر مقرر ومكفول بقواعد شرعية، وتضبطه نصوص قرآنية خالدة ووصايا نبوية كريمة.

وتتجلى عظمة الإسلام في احترام خصوصية الآخر في كل ما يتعلق بالمأكل والمشرب والملبس والزواج والطلاق والميراث، وغير ذلك من الأمور التي تدور في إطار الحريات الشخصية، وتتمثل تعاليم الإسلام وأحكامه التي تضمن احترام الخصوصية للآخر ثقافيًّا واجتماعيًّا وعقائديًّا في عدة قواعد من أهمها:

١ـ احترام الإنسانية وتكريم البشرية: الأساس الأول الذي تقوم عليه العلاقات الإسلامية، ضمانًا للمسلم وتثبيتًا لقواعده هو احترام الإنسانية، وتكريم البشرية، وقد صرح القرآن الكريم بهذا التكريم الإنساني في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة: ٣٠)، وقوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣)، وهذا التكريم لا يختص بعنصر دون عنصر، ولا بجنس دون جنس، بل الجميع سواء في حق الحياة الكريمة، قال النبي ﷺ في خطبة الوداع: "الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[(١)].

٢ــ المساواة التامة: لقد جاءت الشريعة الإسلامية بنصوص صريحة تقرر مبدأ المساواة على إطلاقها، بلا قيود ولا استثناءات وإنما مساواة تامة، لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على أعجمي، عملًا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: ١٣)، وقوله ﷺ: "الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من التراب، ولا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى"[(٢)]، فالناس جميعًا في الشريعة متساوون في الواجبات، متساوون في المسئوليات.

---

(١) رواه البخاري، عن أبي أمامة (رضي الله عنه).

(٢) أخرجه ابن مردويه، عن سعيد (رضي الله عنه).

٣ـ العدالة المطلقة: لقد قامت العلاقات الإنسانية في الإسلام على أساس من العدالة واعتبار أن الناس جميعًا سواء، وأنه لا تفاضل بينهم أمام الأحكام، فإن أهم ما يسعى إليه البشر أن يطمئن الناس على حقوقهم وأن يستقر العدل فيما بينهم، ومن أجل هذا كان أول ما قرره الإسلام حفاظًا على كيان المجتمع البشري مبدأ العدالة بين جميع البشر، حيث تعددت آيات القرآن في الحث على العدل، ومنها قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (النحل: ٩٠)، وقوله سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ الله مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ﴾ (الشورى:١٥)، وقوله (عز وجل) : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ (المائدة: ٨)، فقد أمر الله تعالى بالعدل أمرًا عامًا دون تخصيص بطائفة دون طائفة؛ لأن العدل نظام الله وشرعه، والناس عباده وخلقه يستوون أمام عدله وحكمه .

ولقد وردت الأحاديث النبوية متضافرة على وجوب العدل ومنع الظلم مع العدوّ والوليّ على السواء مثل قوله ﷺ حكاية عن ربه: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا " (١).

٤ـ الحرية الكاملة: من المبادئ الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، مبدأ الحرية، وهو مبدأ لا بد منه في الحياة الاجتماعية وفي العلاقات

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

الدولية، وقد أعلنت الشريعةُ الحريَّةَ وقرّرتها في أروع مظاهرها وأبهى صورها حين قررت حرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية القول:

أما حرية التفكير؛ فلقد جاءت الشريعة الإسلامية منذ اللحظة الأولى معلنة هذه الحرية مجردة العقل من الأوهام والخرافات والتقاليد، وداعية إلى نبذ كل ما لا يقبله العقل؛ إذ لا تسمح الشريعة للإنسان أن يؤمن بشيء إلا بعد أن يفكر فيه ويعقله، ولا تبيح له أن يقول مقالًا أو يفعل فعلًا إلا بعد أن يفكر فيما يقول ويفعل، والنصوص الواردة في القرآن الكريم التي تحض على استعمال العقل وتحرير الفكر أكثر من أن تعد وتحصى، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ الله مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴿٣٧﴾﴾ (ق:٣٧).

وأما حرية الاعتقاد؛ فالشريعة الإسلامية أباحت حرية الاعتقاد، وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها، فلكل إنسان في ظل الشريعة الإسلامية أن يعتنق من العقائد ما يشاء، وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته، أو اعتناق غيرها، أو يمنعه من إظهار شعائر عقيدته (١)، واقرأ إن شئت هذه المعاني صريحة واضحة في قول الله تعالى لنبيه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ (البقرة:

(١) راجع: التشريع الإسلامي لعبد القادر عودة ١/ ٢٩.

٢٥٦)، وقوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية:٢١، ٢٢).

وأما حرية القول؛ فلقد أباحتها الشريعة الإسلامية وجعلتها حقًّا لكل إنسان، بل جعلت القول واجبًا على الإنسان في كل ما يمس الأخلاق الفاضلة والمصالح العامة والنظام العام، وفي كل ما تعتبره الشريعة منكرًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقوله ﷺ: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [(١)]، وحين قررت الشريعة حرية القول، فإنها في الوقت نفسه قيدتها بالقيود التي تمنع العدوان وإساءة الاستعمال.

وهكذا فإن مبدأ الحرية بشعبه الثلاث جاءت به الشريعة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا سابقة القوانين الوضعية بما لا يقل عن أحد عشر قرنًا.

هذا وقد بلغت سماحة الإسلام في احترام خصوصية الآخر إلى حد تركهم وما يعبدون، حيث كفل الإسلام لهم حرية اختيار العقيدة التي يرغبونها، فهو لم يكره أحدًا منهم على ترك دينه، ولم يجبره على اعتناق عقيدة بعينها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِالله فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

(البقرة:٢٥٦)، وفي معنى الآية يقول ابن كثير: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أي لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحدًا على الدخول فيه.

كما تتجلى سماحة الإسلام في احترامه للآخر عند سماحه لأهل الكتاب، بممارسة شعائر دينهم، إذ من القواعد المقررة في الشريعة "نتركهم وما يدينون"، فلا يجوز التعرض لغير المسلم في عقيدته وعبادته، وفي كتاب النبي ﷺ لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ على أموالهم وملتهم وبِيَعهم، وكل ما تحت أيديهم"[(١)].

وبعد: فهذه هي أهم قواعد الإسلام في احترام خصوصية الآخر، وأساس علاقات المسلمين بغيرهم، ويلاحظ في هذه القواعد أنها تتفق مع السلوك الإنساني العام في معاملة الآحاد، ولا تختلف الجماعات والدول عن معاملة الآحاد فيما هو فضيلة، فكل أمر مقبول في معاملة الآحاد داخل الأمة هو أيضًا معاملة معقولة ومقبولة في علاقات الدول، حيث إنه ينبعث من مبادئ دينية واحدة ترسخ وتؤكد على ثقافة التسامح والمحبة والصدق والتضامن والاعتدال.

* * *

(١) الخراج لأبي يوسف القاضي، ص ٩١.

الحوار بين الثقافات (*)

مما لاشك فيه أن الحوار بين الحضارات والثقافات من أهم القضايا المعاصرة المثارة على الساحة الدولية، ونحن في العقود الأولى من القرن الواحد والعشرين، والعالم كله يتجه إلى التنمية المستدامة وتحقيق الأهداف التي حددتها الأمم المتحدة والتي يجب أن نتوصل إلى تحقيقها قبل نهاية العقد الثالث من هذا القرن، ومن بين هذه الأهداف : الاهتمام بثقافة الحوار بين أتباع مختلف الأديان، فالثقافة والدين يخاطبان الروح والعقل والضمير الإنساني، ويحثان على السلام والتدبر والتشييد والبناء ، فكل الأديان تدعو إلى السلام والمحبة والتآخي واحترام حقوق الآخرين، وكل الحضارات تدعو الى الاستقرار والبناء وإثراء الحضارة الإنسانية بالإنتاج الفكري والفني وبالحوار البناء مع الآخر.

إن التقدم المطرد الذي نشهده في عصرنا هذا في وسائل الاتصالات خاصة عبر شاشات الفضائيات والإنترنت والهاتف المحمول قد جعلت التعارف والتبادل فيما بين معظم شعوب ودول العالم أكثر يسرًا، وأصبحنا نعرف الكثير عن بعضنا البعض ونطّلع على أهم ما يدور في معظم أنحاء العالم؛ ومن ثم ازدادت العلاقات كثافة وتشابكًا، وتداخلت القضايا المحورية التي تهم البشرية والإنسانية جمعاء فيما بينها، وأصبح الحوار مع الآخر من أهم القضايا المحورية لمزيد من التقارب بين الثقافات الإنسانية، بالرغم من التحديات العديدة التي ربما

(*) د/ فوزية العشماوي، أستاذة اللغة العربية والحضارة الإسلامية جامعة جنيف (سابقًا).

تعيق الحوار وتعرقله، وتجعلنا في حاجة إلى تحالف فكري وإنساني يجمع بين جميع الثقافات والحضارات، ويرتكز على الثوابت الأساسية المشتركة في كل حضارة، ومن هذه التحديات ما يلي:

١ ـ العولمة الثقافية:

من أهم التحديات التي تواجه استمرار الحوار بين الثقافات هو تيار العولمة الثقافية الذي غزا العالم، والذي يهدف إلى دمج جميع الثقافات في ثقافة واحدة ذات لغة واحدة، وهو ما سيترتب عليه آثار مدمرة على الخصوصيات الثقافية لكل شعب من الشعوب.

وقد بدأت كثير من الدول تأخذ حذرها من هذا التيار الكاسح، وتعد العدة لمواجهته للحفاظ على خصوصياتها الثقافية، مما يجب معه الدخول في حوار مثمر في سبيل صياغة مقاييس العولمة الثقافية على أن يكون الارتكاز على حماية الخصوصيات الثقافية الإسلامية.

٢ ـ تحدي الإسلامو فوبيا:

إن أهم تحد يعيق الحوار حاليًا هو انتشار تيار الإسلاموفوبيا أوالخوف من المسلمين في بعض الأوساط الغربية، ونسي هؤلاء أن الإسلام عاش وسطهم في سلام في أسبانيا التي فتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي وأقاموا فيها دولة الأندلس الإسلامية التي استمرت في قلب أوربا ثمانية قرون كاملة، ازدهرت فيها العلوم والفنون، وخاصة الفن المعماري الذي لا يزال يجذب السياح من جميع

أنحاء العالم حتى الآن؛ ليشهدوا مجد الحضارة الإسلامية التي جمعت ثقافات العالم وعرّفت العالم بالحضارة الإغريقية واللاتينية.

ضرو رة استمرار الحوار:

إن حوار المسلمين مع غير المسلمين يجب أن يرتكز على عالمية الإسلام، والتأكيد على أن الخطاب القرآني موجه للناس جميعًا، ولا يفرق بين الناس ولا بين الشعوب والقبائل بسبب الجنس أو العرق او اللون، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

ومن ثم يجب أن يعرف الغربيون أن الإسلام دين عالمي وأن رسالته رسالة عالمية لجميع الشعوب، والهدف الأساسي منها هو التعارف بين الناس جميعًا، دون تفرقة بين الناس أو بين الرسل الذين جاءوا قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) لتبليغ نفس الرسالة، قال تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بالله وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِّنْهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

ومن أهم الركائز التي يجب أن يرتكز عليها المسلمون في حوار الثقافات قضية حقوق الإنسان وحقوق المرأة ومكانتها الرفيعة في القرآن الكريم، وبيان أن المبادئ والمعايير التي أقرها المجتمع الدولي وصاغها في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان منذ خمسين عامًا فقط هي نفس القيم والمبادئ التي أرساها الدين

الإسلامي منذ ١٤ قرنًا من الزمان، لقد أكد الإسلام على كل هذه المبادئ كمعايير أساسية للحياة في مجتمع يسود فيه الأمن والسلام والحرية والعدل والمساواة بين الناس جميعًا.

كذلك تصحيح المفاهيم المغلوطة عن المرأة وإبراز الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة، وأهمها حق الذمة المالية والشخصية القانونية المستقلة التي لم تتمتع بها المرأة في أي ثقافة أخرى قبل الإسلام.

وبيان أن القرآن الكريم كتاب يدعو الى السلم والسلام ، ولا يدعو الى العنف والحرب، مع ضرورة التواجد الإسلامي على الساحة الدولية وخاصة في المحافل الدولية حيث يتم صنع القرار الدولي كالأمم المتحدة ومنظماتها الدولية لبيان هذه الحقائق.

احترام خصوصية الآخر:

إن انتشار الإسلاموفوبيا يرجع أساسًا إلى الجهل بحقيقة الرسالة الروحية والفكرية للإسلام، والحوار بين الثقافات حتى يكون إيجابيًّا مع الآخر يجب أن ينطلق من منظور سلمي يرتكز أولًا على الاعتراف بالآخر المختلف عنا، واحترام خصوصية الآخر الدينية والثقافية، وإقرار مبدأ الآية الكريمة ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾، وأن يخضع الحوار لثوابت وأصول حددها لنا القرآن الكريم، فمن أهم آداب الحوار مع الآخر الإنصات لما يقول والاهتمام به، وعدم مقاطعته وهو يعرض وجهات نظره المختلفة عن وجهات نظرنا، وعدم تسفيه آرائه، وعلينا أن

نعرفهم بحقيقة الإسلام ، وبأنه دين يدعو إلى السلم والتآخي والحوار مع الآخر والتعايش السلمي معه.

* * *

الحوار بين الواقع والمأمول(*)

أصبح مصطلح "الحوار" من أكثر المصطلحات تداولا، للتعبير عن أن كل طرف تابع لدين أو عقيدة يرى الطرف الثاني جديرًا بالاحترام والمناقشة والتقدير، إذ إن هذا حق طبيعي لكل منهما في الإنسانية، وقد آثرنا أن نستخدم دائما مصطلح "الطرف الثاني" لأنه الأكثر تعبيرًا عن المشاركة في وطن واحد، بديلًا عن مصطلح "الآخر" الذي يُوحي بالفرقة والاستبعاد والتهميش والإقصاء.

من تحديات الحوار: التشكيك الوطني الذي يختزل كل أشكال الهوية في الهوية الدينية، فضلًا عن تشكيك عقائدي يسهم في خلق صورة ذهنية سلبية حول الطرف الثاني.

إن مصر كما أنها مهد الحضارات فإن مقومات الحوار بها راسخة رسوخ تاريخها، فصلة المصريين بالأرض سابقة على الأديان (الإسلام- المسيحية – اليهودية)، كما أن وحدة اللسان العربي في مصر منذ القرن العاشر الميلادي ساعدت على صنع تصور عام، بالإضافة إلى تكوين وعي يربط بين المصريين جميعًا، ويُعبر عن العلاقات فيما بينهم.

إن المصير الواحد الذي يجمع المواطنين المصريين جميعًا تحت ظروف اقتصادية واجتماعية مماثلة هو الذي قدم مصر كنموذج تقوم الحياة فيه على مبادئ

(*) أ/ هانى لبيب ، رئيس تحرير موقع "مبتدا".

أسهم الجميع في صياغتها والرضا عنها وبها، وقد جرى ذلك من خلال عناصر أو عوامل مشتركة لسنوات وقرون عديدة، تفاعلت واندمجت بعضها مع بعض، فمن الجانب الفلسفي لا يمكن أن يفهم الإنسان طبيعة تفرد شخصيته بغير اختبار التعايش مع الأطراف الشريكة.

كما ساعدت ثنائية الدين في مصر بين المسيحية والإسلام على مدى جاوز أربعة عشر قرنًا في صياغة الموقف الواقعي والوعي المشترك الذي يفرز الفكر الموحد، مما نتج عنه شعور الجماعة الوطنية المصرية أكثر فأكثر باحتياجها إلى بعضها البعض كوحدة متكاملة، بداية من وحدة الهوية والمصير، ووصولًا إلى وحدة التراث الذي أنبتته هذه الأرض وغذته بأسباب البقاء والنمو.

وقد كان من الشخصيات الداعية للحوار الإمام/ محمد عبده، حيث ناشد أبناء وطنه أن يكونوا فوق الخلافات، وأن الوطنية عبارة عن تعاون جميع أهل الوطن الواحد، أما عبد الله النديم فقد فقال لهم: "أوصيكم بكلمة الاتحاد، والتمسك بحبل الائتلاف"، كما أوضح يعقوب صنوع أن الطريق إلى الوحدة الوطنية هو مكافحة الأباطيل التي تفرق بين المسلمين والمسيحيين بإظهار سماحة القرآن الكريم وكلمة الإنجيل. ثم نجد بعد ذلك الموقف الوطني الموحد غير القابل للجدل في حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، ثم في ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م.

- ثقافة الحوار:

إن "ثقافة الحوار" لها شروط يجب توافرها لكي تكون حوارًا بناءً، ومن ذلك:

١ – الإصغاء؛ بمعنى أنه لا يمكن بناء حوار سليم دون أن يكون هناك إصغاء جيد بين أطراف الحوار.

٢ – الاتصال؛ بمعنى أن يكون لدى كل طرف من أطراف الحوار مبادرة الاتصال الجيد أمام الطرف الثاني، وهو ما يساعد على أن يقوم كل طرف بتوصيل رسالته بشكل صحيح وبسيط ودقيق ومفهوم، حتى تَحدث حالة من التفاعل حول موضوع الحوار دون التباس أو سوء فهم.

٣– قبول الاختلاف، وهو شرط مهم يفترض أن يقبل كل طرف الرأي المخالف له قبل أن يبدأ الحوار من الأصل، ولا يعني بالطبع قبول الاختلاف الاقتناع به أو تبنيه، ولكن قبول مبدأ أن الآراء متنوعة إلى حد التباين.

٤ – توطيد العلاقات بين أطراف الحوار؛ بمعنى أن الحوار في حد ذاته هو حالة إنسانية بالدرجة الأولى، وهي تحتاج لأن يحكم هذا الحوار مبدأ التقدير والاحترام للطرف الثاني كإنسان له رأي مخالف عن الرأي الذي أميل إليه، وهو شرط يؤدي إلى الوصول لمساحة مشتركة من التفاهم والتعاون.

وعلى هذا النحو، نذكر بعض الملاحظات نعتقد في أهميتها:

أولاً: هناك مستويات للإيمان، وإذا كان هناك أخوّة في الدين، فهناك – أيضًا – أخوّة في الوطن، وهي تعني الالتزام بالولاء والانتماء للوطن والتمسك به، ونعتقد أن حوار أتباع الأديان (الإسلام – المسيحية) في مصر هو نموذج لحوار "العيش الواحد" المتساوي في أصل المواطنة.

ثانيًا: الحوار بين أتباع الأديان ليس قضية خاصة بالنخب الفكرية والدينية فحسب بل هو حوار مرتبط بالشعوب داخل أوطانهم في ظل قبول مبدأ الاحترام والتعاون والتفاهم.

ثالثًا: الدعوة للحوار بين أتباع الأديان على مستوى العالم هدف إنساني راق ونبيل، غير أن الأهم هو ضمان التزام الطرف الثاني منطقة الأمان المحايدة في هذا الحوار، لكي نتجاوز سلبيات الماضي من جانب ونبتعد عن نظرية المؤامرة من جانب آخر.

من قواعد الحوار:

١ - محاولة فهم كل طرف للطرف الثاني فهمًا صحيحًا.

٢- الحوار هو دعوة ليزداد كل طرف تفهمًا لمعتقداته كي يستطيع عرضها وإبراز قيمها السامية.

٣- الاحترام المتبادل بين جميع أطراف الحوار، واعتراف كل طرف بخصوصية الأطراف الأخرى.

٤- حرية الاختيار التي تعطي لكل طرف من أطراف الحوار حقه في قبول أو رفض أي فكرة أو أي رأي، دون ازدراء أو سخرية أو تهكم.

٥- المساواة في العلاقات بين المواطنين دون أدنى تمييز.

٦- التسامح هو خلق إنساني أصيل، يقوي الأواصر الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن الحوار بين أتباع الأديان بالقواعد السابقة ينقلنا إلى حالة الحوار الحقيقية، فينقلنا من الاستبعاد إلى الاستيعاب، ومن الرفض إلى

القبول، ومن التصنيف إلى التفاهم، ومن التشويه إلى الاحترام، ومن الإدانة إلى التسامح، ومن العداوة إلى الألفة، ومن التنافس إلى التكامل، ومن التنافر إلى التلاقي، ومن الخصومة إلى الصداقة.

- ثوابت الحوار:

الأديان لا تتحاور، بل الحوار يتم بين أتباع الأديان، وهو حوار حول القيم والمبادئ الإنسانية الواحدة في الأديان، وهو حوار أكبر من الأحداث ولا يمكن أن يتوقف حوار أتباع الأديان بسبب حادث طارئ أو مشكلة عارضة، ويجب أن يحرص المستنيرون والمعتدلون من الجانبين على هذه القاعدة.

وختامًا: فإن الدين عقيدة راسخة في كيان الإنسان لا إكراه عليها، بمعنى أنه لا إجبار لأحد على قول أو فعل لا يريده، والمستقبل يحتم علينا جميعًا احترام الخصوصيات العقائدية، والعمل على فتح أبواب التعاون المثمر بين أتباع الأديان عمومًا والأديان السماوية خاصة على اعتبار أنها تتجه إلى رب واحد تدين له دون غيره بالربوبية.

* * *

ثقافة الحوار في مواجهة العنف والتطرف والجماعات الإرهابية (*)

الحوار هو أساس الدعوة، وهو أساس العلم والثقافة، وهو أساس العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وهو الأساس الذي يحقق التفاهم والسلام والأمن والتعامل والتعاون بين كل الأديان، والحوار هو أساس بناء الأسرة، وهو عامل رئيس لاستمرارها وبناء علاقات صالحة طيبة بين الزوج وزوجته، والحوار هو الأساس الأول للتنشئة الاجتماعية بعد الثلاث سنوات الأولى، وبعد القدوة الصالحة، وكل أنواع التعليم في كل المراحل تعتمد في الدرجة الأولى على الحوار بين الأساتذة والطلاب، وحتى الامتحانات سواء الورقية أو عن بعد من خلال التواصل الإلكتروني تعتمد على الحوار؛ لأنها أسئلة وأجوبة، وإذا رجعنا للإعلام فسنجد أنه يعتمد على الحوار بشكل أساس، سواء كان يتعلق بالخبر أو الرأي، وحتى الفنون يعتمد بعضها على الحوار، فالأفلام والمسرحيات والمسلسلات هي رسائل موجهة للمشاهدين أو القراء أو المستمعين، وبعد ذلك يحدث الحوار في ذهن المتلقي.

وإذا رجعنا للقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة نجد أن الحوار يؤدي فيها دورًا جوهريًّا، والقرآن الكريم فيه الكثير من الآيات التي تبدأ بـ «قل»، أو

(*) أ. د/ نبيل السمالوطي، العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر.

«يا أيها النبي» أو «يا أيها الناس» أو «يا أيها الذين ءامنوا» أو «يا أيها الكافرون»... إلخ.

وقد حاور الله الخالق سبحانه، جميع الأنبياء، كما حاور المؤمنين، وحاور الكفار، وحاور الشيطان، وغير هذا كثير، كذلك فإن في القرآن الكريم حوارات مهمة بين الأنبياء والمرسلين وبين الجماعات أو الشعوب المرسلة إليها، وغير ذلك كثير.

وإذا كان عرض صحيح الإسلام وصناعة الدعوة والهداية يعتمد على الحوار، فإن مواجهة الأفكار الخاطئة والمزيفة والمتطرفة، ومواجهة الشائعات والفتن ومحاولات التشكيك، سواء كانت مخططة من قبل جماعات ضالة وهيئات معادية، أو حتى لو كانت تلقائية، كل ذلك لا يتحقق إلا من خلال الحوار الفعلي الهادئ الذي يستند إلى العقل الإنساني السليم والفطرة البشرية السوية كما خلقها الله عز وجل، والحوار يستند أيضًا إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إذ إنه الرسالة السماوية الخاتمة لكل البشر.

ولأهمية الحوار في الإسلام تم عقد العشرات من المؤتمرات الدولية الكبرى، وسوف نركز في هذه الدراسة على كشف الأصول التاريخية والفكرية لجماعات التطرف والعنف والإرهاب والتكفير التي حذرت منها، هذه المؤتمرات مع بيان أساليب مواجهة هذه الجرائم والانحرافات.

وعندما يتناول القرآن الكريم الخلق وأسبابه، ومعايير التفاوت بين الناس جميعًا يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ

﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣)، فلم يحدد الله تعالى أمر التعارف بدين أو ملة، فالتعاون بين كل الناس، شعوبًا: (يعني مختلف الدول)، وقبائل: (يعني مكونات المجتمع أو الدولة مع وجود اختلاف الأديان والأعراق والألوان والملل .... إلخ)، ومعيار القرب من الله تعالى هو التقوى، وهو ما يحاسب عليه الله -عز وجل- ولا شأن للناس به.

والتعاون هو واجب الناس في الدنيا، والمعيار عند الله -عز وجل- وليس عند الناس هو التقوى، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢)، وهذا ليس لأهل الكتاب، ولا لمن يعتنقون أيَّ دين آخر، فكلمة «يحادون» يعني: يحاربون الله ورسوله ولو كانوا الأقارب أو الجيران، فالمودة والعلاقات بين المسلمين وكل الديانات الأخرى تتمثل في التعاون والعمل المشترك لعمارة الأرض، وضمان وصول حقوق الإنسان والحريات لكل الناس دون استثناء ودون تمييز، وهذا لن يتأتى إلا بثقافة الحوار بين البشر.

وفكرة المواطنة التي طبقها الرسول ﷺ في أول دولة أنشأها بعد الهجرة، أسس فيها سيادة حقوق الإنسان وحرياته لكل أبناء المدينة المنورة، مسلمين

وغير مسلمين، سواء كانوا يهودًا أم مشركين، (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وقد قال عنهم سيد الخلق: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)، وهذا يعني تطبيق بنود العقد مع اليهود على المشركين طالما احترموا الشرط (الذي هو في المصطلح الحديث «الدستور») وهو هنا وثيقة المدينة التي أبرمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع يهود المدينة.

والإسلام يحترم حق كل إنسان في اختيار دينه بحرية بعد عرض حقائق وثوابت الإسلام عليه، كما يمنع احتقار الأديان الأخرى أو ما يطلق عليه ازدراء الأديان، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ الله فَيَسُبُّواْ الله عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

والإسلام يؤكد على حقيقة دولة القانون، بمعنى سيادة القانون على كل من يعيش داخل الدولة مسلمًا كان أو غير مسلم، وكما ورد في حديث النبي: (لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطع محمد يدها).

لقد نزل الوحي على سيدنا محمد بمكة المكرمة، ومكث فيها ثلاثة عشر عامًا، وكان الرسول ﷺ يدعو للإسلام الذي يتمثل في توحيد الله - عز وجل- وعمل الصالحات من خلال نشر السلام، وقيم الحق والعدل والإخاء والتعاون، وحق كل إنسان في كل حقوق الإنسان والحريات المختلفة، بما فيها اختيار دينه بمحض إرادته دون إكراه، وكان الرسول (صلي الله عليه وسلم) ومن معه من المؤمنين يُحَاربون من الكفار حربًا دون هوادة، وكان الكفار يؤذون المؤمنين

بمختلف أنواع الإيذاء، لكن الله – عز وجل- لم يكن قد أذن بعد للمؤمنين بمواجهة الإيذاء والحرب بالمثل، فكانت توجيهات الرسول ﷺ في هذه المرحلة الطويلة (١٣ عاما)، كما وضحتها آيات القرآن الكريم لأتباعه، كما يلي:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (النساء:٧٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الله وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (البقرة: ٨٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى الله وَكَفَىٰ بِالله وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ (الأحزاب: ٤٨).

وبعد الهجرة للمدينة وتكوين أول دولة شرع القتال لأول مرة، وهو إنما شرع للدفاع عن النفس والمجتمع والممتلكات الشرعية وضد الظلم، وللدفاع عن كل من يعبد الله سواء في الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، وللدفاع عن كل المعابد التي تمارس فيها العبادة؛ لأنها كلها يعبد فيها الله وحده.

انظر إلى هذه الآية المعجزة والقرآن كله معجز، يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ الله عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن

دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج: ٣٩ – ٤٠)، وهذا يعني دفاع الإسلام عن كل العباد، وعن المعابد التي يُذكر فيها اسم الله كثيرًا، وليس فقط مساجد المسلمين.

إن وسطية الإسلام تتمثل في محاربة العنصرية والفئوية، فالإسلام لا يفرض نفسه على أحد، ومثال ذلك ما حدث في مصر، فبعد أن فتح عمرو بن العاص – رضي الله عنه – مصر أرجع القساوسة، وسمح لهم بممارسة دينهم وعقيدتهم بحرية كاملة، وظل المسيحيون في مصر هم الغالبية حتى بعد ٤٠٠ سنة من الفتح الإسلامي، فالمسلمون يكتفون بعرض حقائق الإسلام، لكنهم لا يفرضون دينهم على الآخرين، يقول الله – عز وجل– لرسوله في القرآن الكريم: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢)، المسلمون يرفضون التسلط والاستعلاء وتسخير غير المسلمين، وكل الدول التي فتحها المسلمون ينطبق عليها عقد الرسول مع اليهود والمشركين في أول دولة مدنية أسسها صلوات الله وسلامه عليه: كل أبناء الدولة مواطنون لهم نفس الحقوق والحريات والواجبات، وهكذا أسس مفهوم المواطنة، ودولة القانون، ودولة سيادة الدستور على المستوى النظري والتطبيقي، كما أسس فكرة الدولة التعاقدية، حيث أبرمت الدولة عقودًا والتزمتها: عقد بين الرسول ﷺ وبين أبناء

المدينة، وعقد بين الأنصار والأنصار (الأوس والخزرج)، وعقد المؤاخاة، وعقد بين الدولة والمجتمع برئاسة محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبين اليهود، وبين الدولة وبين المشركين، فكلهم مواطنون، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

والإسلام يؤكد على إعطاء كل ذي حق حقه، فقد أكَّد أن للرب حقا، وللبدن حقًّا، وللأسرة حقًّا، وللمجتمع حقًّا، وهذا يعني عدم التطرف، والبعد عن المغالاة، فهذا انحراف حذَّر منه الإسلام، وحتى في العبادات هناك وسطية، فلكل عبادة وقتها، وفي أحكام الصلاة، من لم يستطع أداءها قائمًا فإنه يصلي قاعدًا، أو على جنبه، وأيضًا من كان مريضًا أو على سفر فإنه لا يصوم، وكذا أداء فريضة الحج يؤديها من استطاع إليه سبيلا، وكذا الزكاة فإنها تجب ببلوغ النصاب وأن يمر عليها الحول.

الجماعات المتطرفة:

إن الجماعات الإرهابية المتطرفة تحاول تحقيق أهدافها الخبيثة من خلال استهداف شباب دولنا وعالمنا العربي، وتخريب عقولهم، وبث مجموعة من المبادئ والأفكار لديهم تجعلهم ناقمين على دولهم، مستعدين لتنفيذ الخطط والمبادئ الشيطانية، التي ترسمها لهم هذه الجماعات المتطرفة الإرهابية، التي تريد إسقاط المجتمعات العربية والإسلامية.

وإذا تساءلنا لماذا كان استهداف الجماعات المتطرفة للشباب؟، نجد أن الإجابة فورًا؛ لأن الشباب هم عماد الشعوب والأمم، وهم الطاقة الإيجابية

القادرة على التعمير والبناء، وتحقيق كل أنواع التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وهم الطاقة المتحمسة داخل دولهم، والشباب في عالمنا العربي هم أغلبية السكان أو ما يقرب من ٦٠ – ٦٥٪ من عدد شعوبها.

والجماعات المتطرفة الإرهابية تحاول بكل طاقتها استعداء الشباب على قياداتها السياسية، وعلى مؤسساتها الوطنية، وعلى أجهزة الأمن والجيش في مجتمعاتها، وهذا يعني إحداث الوقيعة والحرب الأهلية، والنتيجة إسقاط الدول وتخريبها.

وبما أن أغلب وقت الشباب يقضونه الآن على أجهزة التواصل الاجتماعي، فقد استعانت هذه الجماعات المتطرفة والإرهابية بأكبر علماء الاتصال في العالم، ونشروا أعدادًا هائلة من الشائعات والتويتات، يصل عددها إلى أكثر من ٥٠٠ شائعة في الأسبوع، والهدف منها تخريب عقول الشباب، وهذا ما أطلق عليه «التجنيد الإلكتروني والتزييف الرقمي لفكر الشباب».

وكثيرًا ما نسمع عن جماعات تدَّعي أنها دينية إسلامية تزعم أنها تنشر الإسلام الصحيح، وهم في الحقيقة أعداء لأنفسهم أيضًا، فضلاً عن عداوتهم للناس عمومًا، وهم أعداء للحوار ولكل ما يتعلق به من ثقافة أو فكر، فهم يشكلون جماعات ترفض وتكفر كل من لا ينتمي إليها، فهي وحدها التي تعرف حقيقة الدين، وهي التي تحتكر الإسلام، وما عداها أو من لا ينتمي إليها بشروطها المجحفة بعيد عن الإسلام، وينطبق عليه مصطلحات الكفر والزندقة، ويُسْتَحل دمه وماله وعرضه، وهذا يعني أن الجماعات المسماة زورًا وبهتانًا بـ

«الإسلامية»، هي التي تعبر عن الإسلام، وأن قادتها يجب الولاء لهم، وعلى أعضائها السمع والطاعة دون نقاش أو إعمال للعقل؛ لأن قادة هذه الجماعات في زعمهم معصومون من الخطأ، ويتلقون الدين من الله مباشرة، وهذا يعني أنهم هم الذين يجب عليهم تولي السلطة في المجتمع لتطبيق الدين الصحيح، وأن كل من هو خارج عن هذه الجماعات ولا ينتمي إليها كفار مارقون يحل قتلهم.

أباطيل الجماعات المتطرفة وتصادمها مع صحيح الإسلام، وثقافة الحوار:

أولا: قضية قيام جماعة باسم الإسلام، وهي جماعة متطرفة تعد أن من يدخلها من الناس هم المسلمون حقًّا، وأن من لم يدخلها، كلهم كفار تُستحل دماؤهم وأعراضهم وأموالهم، فهذا هو الباطل عينه، فكما سبق أن أشرنا لا يوجد في الإسلام جماعات مغلقة أهدافها سر لا يعرفه أحد.

فالإسلام لا توجد فيه جماعات سرية، فكل ما في الإسلام معلن في الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء، ومبادئ الإسلام تعلن من جميع مساجد العالم من خلال الأذان الإسلامي، والإسلام لا يقبل التكفير، وليس مشروعًا أن يُكَفِّر شخصٌ أو جماعةٌ آخرين.

قد أكد رسولنا الكريم أن من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بالكفر أحدهما.. ولعل أخطر ما نادت به كل الجماعات المسماة زورًا بالإسلامية» هو تكفير كل من لا ينتمي إليها، مسلمًا كان أو غير مسلم، وهذا يتناقض مع صحيح الدين فضلا عن أنه يتنافى مع ثقافة الحوار.

ثانيًا: قضية العصمة؛ فمن المعروف شرعًا، أن العصمة انتهت بانتهاء الأنبياء والرسل – عليهم السلام- وآخرهم محمد ﷺ، والجماعات المسماة بـ«الإسلامية» لكل منها ما يطلق عليه اسم «المرشد»، وهو الرئيس الأعلى للجماعة، ويؤمنون أنه معصوم لا يخطئ، ويجب على أعضاء الجماعة تنفيذ أوامره دون نقاش.

ثالثًا: إلغاء إعمال العقل لدى كل أعضاء الجماعة، فهم يبايعون المرشد على السمع والطاعة في كل أوامره، ولكل جماعة خلايا، كل منها يتكون من عدد قليل، ولكل منها رئيس، وعلى أعضاء الجماعة السمع والطاعة لرئيس الخلية دون إعمال العقل، وهذا مخالف تمامًا لتعاليم الإسلام، فقد كان الصحابة يحاورون الرسول المعصوم الذي يُوحَى إليه فيما لم يرد فيه وحي من نص أو تشريع، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) أسس لمبدأ إعمال العقل والشورى، وقد أخذ الرسول برأي الصحابة في أحلك المواقف، مثل يوم بدر ويوم أحد، ويوم الخندق، هذا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وما بعده كان الأمر شورى، وكان فيه إعمال العقل، ومراقبة الحاكم، وحق الاعتراض والمناقشة، ولعل أول خطبة لأول خليفة وهو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – تؤكد هذه الحقيقة بقوله: (وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم).

رابعًا: سعي هذه الجماعات للوصول إلى السلطة بأساليب غير مشروعة وغير قانونية، فهذه الجماعات لكل منها أجنحة عسكرية، هذه الأجهزة تمارس القتل والإرهاب والتخريب وتدمير المؤسسات، وتدمير وقتل كل من لا ينتمي إليها.

والسؤال المهم: هل هذا يتفق مع حقيقة الإسلام، الذي هو دين السلام والأمن والرحمة والإخاء والمساواة والحوار وحقوق الإنسان والحريات لكل الناس، دون نظر إلى اختلاف الدين والملة والمذهب والطائفة، لا شك أن الإسلام الحق يرفض كل هذا التطرف والإرهاب وكل أشكال الانحراف الفكري والمذهبي والسلوكي.

خامسًا: أنصار هذه الجماعات المتطرفة لا يؤمنون بقيمة الوطن، بأرضه وشعبه وتاريخه، وهم يرون أن الجماعة أهم من الوطن، مع أن حب الوطن وقداسته من الإسلام، ونحن نعرف حب الرسول لـ «مكة»، مسقط رأسه، فقد تحمل إيذاء الكفار ثلاثة عشر سنة ، وعندما أخرج منها بكى، وقال: والله إنك لأحب أرض الله إلى الله، وإنك لأحب أرض الله إليَّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت.. وبعد وصوله إلى المدينة قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحب مكة أو أشد».

سادسًا: يفرض زعماء الجماعات المسماة خطأ بـ»الإسلامية» فهمهم وتفسيراتهم الفقهية الزائفة للقرآن والسنة على أتباعهم، وهم يرفضون أي فهم أو

تفسير أو فقه آخر، وهذا يعني التسلط الفكري والديني على أتباعهم، ويمارسون أقصى درجات الوصاية عليهم، كل ذلك بزعم أنهم يتكلمون باسم الله، وهذا ما جرمه الإسلام الصحيح، فحتى الرسول الكريم لم يكن يفرض رأيه على الصحابة فيما لم يرد فيه نص، ولم يجبرهم على الإسلام، قال الله تعالى:﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ (الغاشية: ٢٢).

وعظمة الإسلام أنه يتضمن ثوابت ومتغيرات ومن الأولى أن يؤمن بها الجميع، مثل: أركان الإسلام، وأركان الإيمان، والأحكام الشرعية قطعية الثبوت والدلالة، أما المتغيرات ففيها تفسيرات وأفهام متعددة، يحظر فرض أحدها على الناس.

سابعًا: من الخطأ البالغ بل والخطيئة الدينية الفادحة أن نطلق على هذه الجماعات – الإخوان أو القاعدة أو داعش وخلافهم– مصطلح «إسلامية»؛ لأنها تنشر التطرف، وتمارس الإرهاب ومختلف الجرائم المنظمة ضد الشعب، وضد الجيش والأمن، وضد كل مؤسسات الوطن؛ بل وضد القيم الإنسانية المعترف بها عالميًّا.

هذه الجماعات ليس لها مشروع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي للنهضة بالمجتمع، بل على العكس لهم العديد من المشروعات التي تستهدف هدم الوطن، وترويع الشعب، وإثارة الفتن والحروب الأهلية، وهم لا يعرفون شيئًا عن حقيقة الإسلام الذي جاء لنشر الرحمة، والسلام، والإخاء، والعدل، والتسامح، وعمارة

الأرض، واستمتاع الناس بالكرامة، وحقوق الإنسان والحريات، وذلك دون نظر إلى اختلاف الأديان والمذاهب والمستويات الاقتصادية أو الاجتماعية أو الجغرافية.

ثامنًا: يدعى قادة وأعضاء الجماعات المنحرفة المتخذة من الدين ستارًا لممارسة انحرافاتها أن أبناء وأعضاء هذه الجماعة فقط هم المسئولون عن إصلاح الناس والمجتمعات، وهم يفعلون ذلك لادعائهم زورًا وعدوانًا أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة التي لايعرفها غيرهم، وهذا ما يجعلهم يسعون بكل الأساليب غير المشروعة للقفز على السلطة وامتلاكها.

تاسعًا: أنصار هذه الجماعات المنحرفة تؤكد أن الدين منهج شامل للحياة، وهذا صحيح لكن المصيبة أنهم يقدمون هذا المنهج من منظورهم القاصر المنحرف، ولا يرجعون إلى العلماء المتخصصين في الدراسات الشرعية، وإلى الجامعات التي تدرس هذه العلوم ..وفي مقدمتها جامعة الأزهر، وإلى آراء واجتهادات الفقهاء والمذاهب الإسلامية خاصة المذاهب الأربعة الكبرى المعروفة في تاريخ الفكر الإسلامي ، وكذلك يرفضون الفكر الإسلامي الوسطي الذي يساوى بين الجميع في قيم الصحة والعدل والمساواة والإخاء وإعمال العقل وتحقيق المصالح العامة للجميع دون استثناء، والمصيبة الأكبر أنهم يحاولون فرض فهمهم المنحرف على الآخرين، ويفرضون الوصاية على أتباعهم وعلى الناس جميعا قهرًا، وهذه هى أبشع أشكال الفاشية أو النازية الدينية التي يرفضها الإسلام الصحيح، كما ترفضها رسالات السماء إلى الأرض.

عاشرًا: يؤكد قادة هذه الجماعات المتطرفة والإرهابية والمنحرفة أن كل الناس في المجتمع و الذين لا ينتمون إليها عصاة، مذنبون، بل كفار، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وهذا يعني في نظرهم ضرورة إعادتهم إلى الدين المغلق الذي يفهمونه بالقوة المسلحة، ومن خلال الوصول للسلطة بطرق غير مشروعة، وهم يرفضون تمامًا إعمال العقل، أو الحوار، أو الاجتهاد الذي هو في الإسلام فريضة إسلامية.

حادي عشر: الجماعات المتطرفة أنشأت حديثًا ما يطلق عليه الإسلام السياسي، وهو يقوم على كل أشكال التعصب الديني والمذهبي والفقهي، والعرقي، والطبقي ... إلخ، وهذا يتناقض تماما مع حقيقة الإسلام في وسطيته وعدالته وسماحته، وترسيخه لدعائم الدولة المدنية، والدولة التعاقدية، الدولة الدستورية، ودولة المؤسسات، دولة سيادة القانون، دولة إعمال العقل، دولة العلم والتعلم وعمارة الأرض، دولة تحقيق الخير للجميع، دولة مشاركة أبناء المجتمع في اتخاذ القرارات بأساليب تنظيمية بعيدًا عن الفوضى ... إلخ.

ثاني عشر: كل الجماعات المتطرفة تؤكد على مبدأ الاستعلاء على كل من هو خارج الجماعة وهم الغالبية العظمى، وهذا المبدأ مرفوض في الإسلام فقد أكد عليه الصلاة والسلام أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويجب أن نؤكد أن الله حذرمن تمزيق المسلمين وتكوين شيع أو فرق إسلامية مختلفة بعضها عن بعض، وأكد سبحانه وتعالى على ضرورة الوحدة في الدين والاعتصام بحبل الله الواحد الأحد الخالق لكل البشر ويكفي في هذا الرجوع إلى

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ (الأنعام: ١٥٩)، قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ الله جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ الله عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ (آل عمران: ١٠٣).

ويجب أن نؤكد كذلك على أن الإسلام ارتضاه الله لكل أنبيائه ورسله وعباده منهج حياة لكل الناس، يدعو إلى الوحدة والتماسك والتكامل والحقوق والحريات للجميع ويدعو إلى التسامح والعدل وإحقاق الحق والمساواة للجميع، ويدعو إلى إعمال العقل والتعليم والبحث العلمي والتفكر في كل مخلوقات الله الكون والمجتمعات الإنسانية والتاريخ، ويدعو إلى عمارة الأرض.

ومن هنا يحرم توظيف الدين لتحقيق أهداف شخصية أو سياسية أو يحقق مصالح فئات أو جماعات مصطنعة على حساب المصالح العامة لجميع أبناء المجتمع مسلمين وغير مسلمين، أو حتى المصالح العامة المشروعة لجميع الناس. هذا ما تخالفه الجماعات المتطرفة أو الإرهابية أو المنحرفة التي تتخذ من الدين وسيلة لخداع الجماهير، وهذه هي الجماعات الفاشية التي يرفضها الإسلام، ويرفضها العقل والمنطق السليم.

أساليب مواجهة الجماعات المتطرفة والإرهابية:

لا شك أن هذه الجماعات المتطرفة والإرهابية التى تتخذ من الإسلام ساترًا لتنفيذ

أهدافها الخبيثة، ولجذب الشباب إلى تبني أفكارها ومبادئها الشاذة والتي تتناقض كلية مع أهداف ومبادئ صحيح الإسلام التي هي الرحمة والسلام والإخاء والتقدم وحقوق الإنسان وحرياته لكل الناس دون استثناء، لا شك أن هذه الجماعات التي تمارس الجرائم المنظمة ضد الشعوب والمؤسسات، هي جماعات عابرة للحدود، وللدول وللقارات لهذا فإن المواجهة يجب أن تتعاون في تحقيقها كل دول وأنظمة العالم وقد أسهم مجلس الأمن في إصدار العديد من القرارات الملزمة لمكافحة الإرهاب، ومثال هذا قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ لسنة٢٠٠١م، وهو قرار ملزم وواسع الانتشار ؛ لأنه يعتمد على الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة . وأنشأ هذا القرار لجنة لمكافحة الإرهاب تتألف من جميع الأعضاء في مجلس الأمن.

ويلزم هذا القانون جميع الدول الأعضاء بما يلي:

١- تجريم تمويل الإرهاب .

٢- العمل دون تأخير على تجميد أية أموال تتصل بأشخاص ضالعين في أعمال الإرهاب.

٣- تجميد أية أموال للإرهابيين، والامتناع عن تقديم أي دعم مالي لهذه الجماعات .

٤- عدم تقديم أي ملاذ آمن للجماعات الإرهابية.

٥- تبادل المعلومات بشأن أي من هذه الجماعات التي مارست الإرهاب أو تخطط لارتكاب عمليات إرهابية.

٦ – التعاون بين الحكومات فيما يتصل بالتحقيقات أو عمليات التوقيف وتسليم المجرمين والمقاضاة لمن يتورطون في الأعمال الإرهابية.

٧- ضرورة النص في القوانين المحلية على تحريم تقديم المساعدات النشطة والسلبية للإرهاب، وتقديم المخالفين للعدالة.

٨- تنفيذ تدابير فعالة لمراقبة الحدود بين الدول.

وهناك العديد من الاتفاقات العربية لمكافحة الإرهاب.

ويجب مواجهة التطرف الفكري وما تبثه الجماعات الإرهابية من تفسيرات زائفة للنصوص الشرعية للشباب ونشر الفتن على أجهزة التواصل الاجتماعي، من خلال نشر الوعي الاجتماعي والثقافي والوطني، ونشر صحيح الدين والتأكد على أن كل الكتب السماوية جاءت لنشر الرحمة والسلام والإخاء والتكافل بين كل الناس، وأن تدعيم ثقافة الحوار بين البشر، سواء بين المختلفين أو المتقاربين، هو طوق النجاة وشعاع الأمل في مواجهة كل أشكال العنف والتطرف، وهو السبيل لوقاية أجيال وأجيال من الوقوع في البراثن الآسنة لجماعات التطرف والإرهاب.

* * *

حوار الأديان وأثره في مكافحة التطرف والإرهاب وصنع السلام الإنساني(*)

إن المتتبع لحوادث الإرهاب على المستوى الدولي يجد أنها تمثل أيديولوجيات دينية متطرفة تتناقض مع الطبيعة الإنسانية للأديان ؛ فالإرهاب لا دين له ولا وطن، وهي في حقيقتها ناجمة عن التشدد والتطرف في المفاهيم العقائدية والدينية للمتطرفين باستغلال الدين بمفاهيم مغلوطة بعيدة عن السماحة والسلام التي من أجلها قامت الرسالات، مما يظهر الحاجة الماسة للحوار بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام؛ لتصحيح فهم الأديان وفهم مقاصدها، حتى تعود القيم الروحية بين المجتمعات، والتعاون البناء المتبادل بين الشعوب، ويرفرف الاستقرار ويشرق الأمان مع فجر جديد .

إن الحوار بين أتباع الأديان يجب أن يقوم على فلسفة معينة ليكون تأثيره على صنع السلام الإنساني فعَّالا ومنجزًا ، ليكون الحوار سدًّا منيعًا يحمى المجتمعات من التطرف والإرهاب، وذلك بجهود دولية تشاركية على نحو ما سوف نعرضه في نهاية البحث، مبينين الجهود المبذولة لبعض الدول، عارضين ولأول مرة بعض النقاط الغائبة حول المركز القانوني المخالف لقواعد القانون الدولي لأحد المجالس الدينية التي أطلقت على نفسها صفة العالمية دون أن تحصل على ثمة ترخيص من أية دولة، وهى التي تقوم على الإفتاء الإرهابي .

(*) المستشار الدكتور/ محمد عبد الوهاب خفاجي، نائب رئيس مجلس الدولة المصري.

فلسفة الحوار بين أتباع الأديان وأثره على صنع السلام الإنساني:

أولا- التوجيه الإلهى للتعارف بالدعـوة الربانية إلي كلمة سواء هو الذى يفضي إلى التعايش السلمي المشترك للإنسانية:

من الجدير بالذكر أن قضية حوار الأديان والثقافات هي قضية التسامح والتعايش المشترك والسلام الإنساني؛ ذلك أن المجتمعات الإنسانية تقوم على التنوع والاختلاف - لا الخلاف - ويجب أن تتكامل وتتشارك في كافة المجالات، وعلى قمتها الفطرة السليمة للفكر الإنسانى ، فالحوار بين أصحاب الأديان والثقافات المتباينة على مستوى دول العالم يعمق بناء جسور التعاون والتفاهم البشري حول تحقيق الصالح العام للإنسانية، وهذا لن يحدث إلا بالتلاقي بين الأفكار والأيديولوجيات لإزالة أوجه الخلاف وتعميق التقارب، وهو ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية الغراء ، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ الله أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: ١٣)، ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِالله وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴿٨٤﴾﴾ وهذا التوجيه الإلهي للتعارف بالدعوة الربانية إلى كلمة سواء - مما يعرف عند قاموس البشر مجازًا بقانون التعارف للناس كافة، سواء اتخذ تجمعهم شكل القبائل أو الدول أو الأوطان أو الأمم أو القارات هو الذي يفضي إلى الحوار والتقارب واحترام

الغير، ومما لا ريب فيه أنه من مقاصد الأديان التعايش السلمي المشترك للإنسانية، وهو ما يؤدي إلى الفهم الصحيح للأديان على نحو يتلافى ما تستغله جماعات الفتنة والضلال والتطرف - بالمخالفة لمقاصد الأديان- نحو تسييس الدين؛ فيحدث التطرف والعنف والإرهاب.

- السلام لن يتحقق بين الأمم دون الحوار بين أتباع الأديان:

إن أيديولوجية التطرف والإرهاب تتناقض تناقضًا صارخًا مع الطبيعة الروحية للأديان، ويشهد العالم حالات غير مسبوقة من التطرف العنيف والإرهاب بكل أشكاله وصوره؛ مما يؤثر على الروح الدينية للعقائد، ويهدد الاستقرار في المجتمعات، ويمس سلامة الأمن والسلم الدوليين، والواقع أنه لن يتحقق السلام بين الأمم دون الحوار والسلام بين الأديان، فيجب أن يكون الدين جسرًا آمنًا ومعبرًا مطمئنًا للتلاقي والتعارف بين شعوب الأرض جمعاء، فذلك هو السبيل لمكافحة الفكر المتطرف الإرهابي الذي ينسف جسور التعاون، ويهدم معابر التواصل الإنساني للبشرية.

ومما لا شك فيه أن مصطلح الحوار في المفهوم الإسلامي هو حوار الدعوة إلى السلام، وهو مطلب شرعي إسلامي، وهو أيضًا وسيلة من وسائل دعوة أتباع الأديان السماوية الثلاثة، ذلك أن أول من مارس الحوار هم الأنبياء الكرام مع أقوامهم الذين بعثوا لهم لطاعة الله وتوحيده، وإن كان ذلك بطرق متباينة وأساليب متنوعة، فالحوار بين الأديان يهدف في الأساس إلى تحقيق التعايش السلمي.

ثانيًا – نقطة الانطلاق في حوار الأديان نظرة الإسلام إلى احترام اختلاف الأمم:

إن نقطة الانطلاق في حوار الأديان تكمن في نظرة الإسلام إلى احترام اختلاف الأمم، ذلك أن اختلاف الناس سنة قدرها الله رب العالمين لحكمة جليلة وغاية مثلى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ (هود: ١١٨– ١١٩).

ثالثًا– الدستور المصري يقوم على احترام الديانات الثلاث:

يقوم الدستور المصري على احترام الديانات الثلاث، وهو أساس الحوار فيما بينها، فبعد أن وضعت المادة الثانية من الدستور المبدأ العام في جعل الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع، جاءت المادة الثالثة حاسمة بالاعتراف باحترام الديانتين المسيحية واليهودية، فقد اعتبرت مبادئ شرائع المصريين من المسيحيين و اليهود المصدر الرئيس للتشريعات المنظِّمة لأحوالهم الشخصية، وشئونهم الدينية، واختيار قياداتهم الروحية، ولا ريب أن هذه النظرة الدستورية في احترم أصحاب الديانات الثلاث كفيلة بتحقيق أساس الحوار البناء فيما بينهم . ويمكن القول بأن مصر على مر العصور رمزًا للتعايش بين مختلف الديانات، حيث يعيش فيها بكل الأمان والطمأنينة مختلف أتباع الأديان وبذلك تصبح أرض الكنانة جسرًا للتواصل الحضاري والثقافي معهم .

رابعًا- حوار الأديان يقوم على بناء مجتمع مدني يتميز بالتعددية:

إن حوار الأديان يقوم على بناء مجتمع مدني يتميز بالتعددية، تسوده قيم التسامح والتعايش المشترك من خلال خطاب حضاري لجميع البشرية وفقًا للقيم السمحاء والمبادئ الميسرة التي أتت بها الأديان واحترام كل ديانة للأخرى، وهو ما يؤدي إلى خلق ثقافة التسامح الديني من كل طرف تجاه الآخر، وثقافة التعايش والحوار بين الأديان والثقافات، وترسيخ أواصر المحبة والعدالة بين مختلف المجتمعات، وهذا يستلزم بالضرورة ألا يُفهم الدين بعيدًا عن صالح الإنسان من خلال حقائق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، كما يتطلب تحرير فهم الدين من التشدد والتعصب والعدوان، وتجفيف المنابع الفكرية التي تدعو إلى الاستبداد والعنف، ونشر قيم الدين الصحيحة.

فالحوار يعد مطلبًا قرآنيًّا، بما يحقق مصلحة الإنسان، ويقضي على أسباب العنف والتعصب، حتى تتحقق فرص التعايش السلمي بين البشرية جمعاء.

خامسًا- حوار الأديان يتسع لقيم المواطنة العالمية:

إن المقصود هنا هو حوار الأديان وليس اندماج الأديان، فالإسلام يدعو إلى الإيمان بكل الكتب والأنبياء، والواقع أن اليهود والمسيحيين والمسلمين بحاجة إلى فهم دقيق واستيعاب لمقاصد الكتب السماوية وتطبيقاتها في الحياة العملية لبناء حضاراتهم ودولهم على هذا النحو الذى يحفظ لكل طرف عقائده وثقافته دون أن يسبب أذى للآخرين .

إن مساحة حوار الأديان تتسع لقيم المواطنة العالمية القائمة على الأمن والسلام في العالم، ومن ثَمَّ يجب أن يقتصر حوار الأديان على التعريف بمبادئ كل ديانة بحثا عن خطوط متلاصقة للتلاقي والتعايش السلمي للجميع.

حوار أتباع الأديان وأثره في مكافحة التطرف والإرهاب

١ - ثقافة الحوار بين الأديان:

يمكن القول إن الحوار بين أصحاب الديانات يهدف إلى تعرف كل طرف على الآخر، وهذا التعارف يؤدي إلى تحقيق التعايش السلمي بين الجميع من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن ثقافة الحوار بين الأديان تسهم مساهمة فعالة في مكافحة الفكر المتطرف والحد من الأنشطة الضارة لدعاة الكراهية والعنف.

وبهذه المثابة تعد ثقافة الحوار بين الأديان من بين أهم الوسائل اللازمة في مواجهة الجماعات المارقة عن حدود الأوطان التي تستخدم الدين ستارًا للتطرف والتشدد والإرهاب، فالقطيعة بين الأديان ليست من الأخلاق الحميدة الكريمة، التي أمر الله تعالي عباده بها التي تُقوِّم السلوك بين البشر بغض النظر عن دياناتهم ليستقيم على الفطرة السوية من حُسن المعتقد، وحب الخير للناس، واجتنابِ الشحناء، والتهاجر، والتباغض، ومما لا ريب فيه أن حوار الأديان على النحو المتقدم، يعد من المحامد الجميلة والمسالك الراقية، مما يحقق السلام الإنساني النبيل.

٢ - مكافحة الإرهاب بإذكاء الوعي الإنساني:

إن مكافحة الإرهاب ليس بالقوة وحدها بل بإذكاء الوعي الإنساني عن طريق

حوار متعدد الجوانب لعلماء الدين والفكر والثقافة؛ ولا ريب أن علماء الدين يأتون على القمة من تحمل المسئولية نحو حوار بناء بين الأديان، فمثل ذلك الحوار مع الآخر هو الذى يقطع أواصر الخوف ويبدد مظاهره، ولا ريب أن هذه الاستنارة وذلك الاعتدال والفهم الصحيح للدين ونظرته في احترام الأديان الأخرى هي الإرادة الحقيقية للبناء القوي العتيد للتناغم الاجتماعي والتعايش السلمي، بما يصون الكرامة لكل كائن بشري أيًّا كانت أصوله أو دينه.

٣- إنشاء مركز عالمي لحوار الأديان:

هناك إرهاصات أولى عن مراكز الحوار للأديان بجهود طيبة لبعض البلاد العربية فى إنشاء مراكز لحوار الأديان وهي إرهاصات محمودة في هذا المجال لكنها لا تكفي لكي ينتج حوار الأديان آثاره المرجوة على المستوى الأممي، وحتى تتحقق الغايات المرجوة من مراكز حوار الأديان يجب أن تكون هناك معاهدة دولية بين الأقطار المختلفة تضم مختلف الأمم المعنية بهذا الأمر تتشارك فيما بينها ولا تنفرد، وسندي في ذلك أن حوادث الإرهاب لدعاة التشدد والعنف والتطرف لم تعد قاصرة على أُمة دون أخرى أو ديانة دون غيرها، مما يستلزم الأمر معه تكاتف وتعاضد الجهود الرسمية التشاركية لجميع هذه الدول.

❋ ❋ ❋

أثر الحوار البنَّاء في مواجهة الإرهاب(*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ المواجهة بالحوار قديم قِدمَ البشرية، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ (المائدة: ٢٧ – ٣٠).

كما حفلت بالحوار الحضاري البنَّاء مظاهرُ الحياة في الحضارة الإسلامية في جميع مراحل تطورها التاريخي.

ونحن الآن في عصر تكثر فيه الحاجة إلى الحوارِ البنَّاء، والدعوة إليه، سواء على مستوى الأفراد، أو الشعوب، أو الدول، ولما كان الحديث عن الإرهاب والتطرف والعنف حديثًا عن قضية عصرية شغلت حيزًا كبيرًا من الساحة السياسية والفكرية والاجتماعية والنفسية كانت الحاجة ماسة في الفترة الراهنة لبحث أثر الحوار في مواجهة كل سبل وصور الإرهاب سلوكيًّا وفكريًّا، وحماية الشباب وضمان عدم انزلاقه نحو التطرف، فبالحوار تنفتح مغاليق الشبهات

(*) أ. د/ محسن محمد أحمد علي، أستاذ الشريعة الإسلامية، وكيل كلية دار العلوم، جامعة الفيوم.

والأفكار الخاطئة والسلوكيات المنحرفة، وبالحوار تُعالج وتدرأ الكثير من تراكمات العقائد الضالة المضللة.

مفهوم الحوار البنّاء: هو الحوار الذي تتوفر فيه مقوماته وآدابه ليحقق المقاصد المهمة المرجوّة منه ، ويَستكشفُ ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات يُمكنُ الاعتراف بها وقبولها، وما لديه من معلومات غير صحيحة ومفاهيم مغلوطة يتم التركيزُ عليها وإصلاحها وتصويبها، فالحوار البنّاء ليس هدفًا لذاته ، أى ليس حوارًا لأجل الحوار، والجدل والمراء ، ولا لإظهار القدرة والمهارة في الكلام والمراوغة ، وغزارة المعلومات ، وإنما يُتخذ كنقطة انطلاق للتعامل والتفاهم بين الأديان والحضارات والثقافات المتنوعة .

ولقد حرص الأنبياء (عليهم السلام) على اتخاذ واتباع هذا المفهوم للحوار البنّاء في عرض اعتقاداتهم بالأدلة والبراهين بعيدًا عن العنف والتعصب ، بل بالتحلي بالأسلوب الحسن ، ومكارم الأخلاق (التسامح والصفح والإحسان والتلطف) في حواراتهم ، كما حدث في حوار سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه ، وكما حدث في حوار يوسف (عليه السلام) مع السجينين ، وفي حوارِه- أيضًا- مع إخوته .

وكتب السنة والسيرة النبوية زاخرة بالعديد من المواقف التي رفض فيها النبي ﷺ استعمال أي عنف أو عدوان ضد مخالفيه ومكذبيه ومن أرادوا قتله ، بل اتخذ الحوار البنَّاء بالأدلة والبراهين بعيدًا عن العنف والتعصب ، متحليًا بالأسلوب الحسن، وكان يعلّم أصحابه (رضي الله عنهم) أسمى طرائق الحوار

وأساليبه في التفاعل الحواري للوصول إلى نتائج إيجابية تخدم التفكير الصحيح.

المقاصد المهمة للحوار البناء:

لقد قامت علاقة المسلمين بغيرهم على أساس الحوار الهادف بعيدًا عن العنف والتعصب، فالحوارُ المتشدد لا نفع منه، يتضح هذا بصورة خاصة في العهد المكي الذي رفض فيه النبي ﷺ استعمال أي عدوان على المشركين، قال: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ وهو مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ الله ﷺ بِهَا،أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ قَالَ: فَرَجَعْنَا فَنِمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا (١).

إن المسلم يحرصُ في حوارِهِ البنَّاء على تحقيق مقاصد مهمة ، ويمكن إجمالها بما يأتي:

١-إظهار الحق وتبيان الحقائق.

٢- التعايش السلمي والتماسك المجتمعي.

إظهار الحق وتبيان الحقائق:

ينبغى أن يحرص المحاورُ على أن يكون حوارُهُ في مقامِ تمييزِ حَقٍّ من باطلٍ، وبيان للحقائق ، وإلا كان مراءً وجدالًا وخصومة ، ولقد أمر القرآنُ الكريمُ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٥ / ٩٤) حديث رقم: ١٥٧٩٨، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

المسلمَ أن يحاور بعلم وهدى وبصيرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى اللهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ (يوسف: ١٠٨).

وعاب القرآن الكريم على قوم يجادلون بغير علم ، يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٨﴾ (الحج: ٨).

ويقول الحافظ الذهبي: "إنما وضعت المناظرة لكشف الحقِّ، وإفادةِ العالِمِ الأذكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفلَ الأضعفَ"[١].

وأشار الإمام الغزالي[٢] إلى أن التعاون على طلب الحق من الدّين، ولكن له شروط وعلامات، ذكر منها: أن يكون كل طرف من طرفي المناظرة في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهر له الحق، ويكرمه ويفرح به، وكانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق [٣].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١ / ٢٠٩)، المؤلف: عبد الرءوف المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٢) إحياء علوم الدين (١ / ٤٤) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) تلبيس إبليس، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (١ / ١٤٦)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، تحقيق: د. السيد الجميلي.

التعايش السلمي والتماسك المجتمعي:

إن من مقاصد الحوار البناء تقريب وجهات النظر المتباعدة، وتحقيق التقارب والتواصل والتفاهم والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع – سواء كانوا في بلد واحد أو وطن واحد أو بيت واحد– وتفادي الخلافات المؤدية للنزاعات والحروب والتطرف فيما بينهم، أما غياب الحوار الجاد يؤدي إلى تفكيك وحدة المجتمع والنسيج الاجتماعي، وفي ظل التقدم الهائل في وسائل التواصل الحديث، يمكن للحوار البنَّاء أن يحقق التواصل والتفاهم في أمكنة مختلفة.

لقد حقق النبي ﷺ التعايش السلمي والتماسك المجتمعي من خلال صلح الحديبية، فلقد خرج ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ [١] من المدينة المنورة على رأس أصحابه الكرام (رضي الله عنهم)، قاصدًا مكة معتمرًا ولم يَخْرُج إلا بسيف المسافر فقط، وساق أمامه الهَدْيَ الكثير ليثبت للجميع أنه ما ذهب إلا للعمرة، وعند ذي الحليفة أحرم، وأحرم معه كل الصحابة، وانطلقوا في التلبية طوال الطريق.

لقد بعثت قريش الرسل – واحدًا بعد الآخر – إلى رسول الله ﷺ للتخويف والإرهاب، ومحاولة الصد عن البيت الحرام، فأعلن رسول الله ﷺ في وضوح وصراحة لهؤلاء الرسل أنه يريد الصلح والمعاهدة.. فقال: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ

---

(١) انظر: الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢ / ٩٧٤) (٥٨) كتاب الشروط (١٥) باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم: ٢٥٨١.

شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ».حتى جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو محاورًا للنبي ﷺ وسفيرًا لقريش، ففتح معه رسول الله ﷺ حوارا للتصالح والتعايش السلمى بين قريش والمسلمين، وقد أظهر الرسول ﷺ في أثناء حواره ومفاوضات الصلح رغبته الأكيدة في الصلح والتعايش السلمي ليثبت حبه للسلام، بينما أظهرسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو تشددًا وتعنتًا، فيتنازل رَسُولُ الله ﷺ في هذا الحوار تنازل عن كتابة البسملة كاملة وأنه رسول الله، ويَقْبَلُ أن يعود من هذا العام فلا يطوف بالبيت، ويقبل أن يَرُدَّ من جاءه مسلمًا من أهل مكة إذا طلب أولياؤه ذلك، وعدم الحرب بين الفريقين لمدة عشر سنين، وأن القبيلة التي تريد الانضمام إلى طرف من الطرفين فلها ذلك، وتجري عليها أحكام المعاهدة.

وفي أثناء المفاوضات يأتي أبو جندل بن سهيل بن عمرو يطلب النصرة من المسلمين، فيطلبه رسول الله ﷺ من سهيل بن عمرو، فيرفض سهيل، ويُعَلِّقُ نجاح المفاوضات بكاملها على أخذه لهذا الفتى المسلم المعذَّب، وأمام مخاطر فشل المعاهدة يوافق رسول الله ﷺ من أجل أن يتم الصلح برغم كل معوقاته، وبرغم اعتراض كثير من الصحابة، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ويتحقق ما يريده رسول الله ﷺ.

وتشير كتب السيرة النبوية إلى أن النبى ﷺ حين رجع في أواخر السنة السادسة من الحديبية اختار من أصحابه الكرام رسلاً يتسمون بالفطنة و يُجيدون

لغة الحوار، ولهم معرفة وخبرة بمقومات الحوار الناجح، فبعثهم برسائل منه إلى جميع الملوك ورؤساء الأمم يدعوهم إلى الإسلام[1]، ودارت حوارات بناءة بين رسول الله ﷺ ورُسله، مع هؤلاء الملوك والرؤساء، مما أسفرعن دخولِ كثير من هؤلاء الملوك والرؤساء الدين الإسلامي.

مقومات الحوار البنَّاء:

يقوم الحوار الناجح على عدة مقومات مهمة تحقق للحوار مقاصده، هي:

-الإقناع بالأدلة والبراهين.

-التركيز على القواسم المشتركة.

-الاتفاق على أصل يرجع إليه في الحوار.

أصل الحوار مع الآخر في الإسلام يعتمد على أسلوب الإقناع، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِالله فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ولا ينبغي للمحاورِ أن يذكر أو يقبل رأيًا إلا أن يكون هذا الرأي مؤيدًا بدليل معتبر وبرهان واضح وباستدلال صحيح، ولذلك نجد كثيرًا في القرآن الكريم، المطالبة بالبرهان والدليل ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ (الأنبياء: ٢٤).

ونجد في القرآن الكريم حوارًا فكريًا ونقاشًا عقليًا من إبراهيم (عليه السلام)

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري ١ / ٣٢٢.

مع الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وفي هذا الحوار: نتعلم من إبراهيم (عليه السلام) كيف يكون الرد بأوضح حجة وأقوى برهان على أهل الأهواء والشبهات وأصحاب الجدل المذموم.

يقول الإمامُ أبو محمد بنُ حزم الأندلسي: ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة وقد تُهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تُغلب أبدًا فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم إنما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة محمد ﷺ عندهم فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد من المسلمين[(١)].

القواسم المشتركة:

إنّ بِدْءَ الحوار بمواطن الاتفاق بين الأطراف المتحاورة يؤتي ثماره، ولا تكون هناك شروط مسبقة يفرضها أحد الطرفين على الآخر طريق إلى كسب الثقة وبثِ روح التفاهم، فيصبح الحوار هادئًا وهادفًا، ولذلك لما حاول وفد

(١) الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد (١/ ٢٨)، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

قريش بقيادة عمرو بن العاص إقناع النجاشي ملك الحبشة بضرورة رد المسلمين المهاجرين إليه، تقدم الصحابي جعفر بن أبي طالب ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة وجرى بينهما حوار هادف، عَدَّدَ فيه جعفر بن أبي طالب ﷺ أُمُورَ الْإِسْلَامِ التى جاء بها رَسُولُ الله ﷺ ثم قَرَأَ عَلَيه صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، ليلحظ النَّجَاشِيُّ ربط الرسالتين برباط واحد والقواسم المشتركة التى بينهما، فَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالله وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى – وفي رواية: عيسى – لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ (١).

ويستهدف الحوارالهادف الانطلاق من القواسم المشتركة، سعيًا إلى تنمية هذه القواسم المشتركة والعمل على تفعليها، ولقد حرص رسولُ الله ﷺ على بيان الأصل المشترك" بين دينِهِ الإسلامي وبين الشرائع السماوية، حيث جاء في صحيح البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ).

فينبغى أن تبنى حواراتُنا على البحث والاتفاق على القواسم المشتركة وتعميقها بين الأطراف المتحاورة ، مثل القيم الإنسانية والدينية والأخلاقية والمصير المشترك والعيش المشترك ، وتقديم المصلحة العليا على المصلحة

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٢٦٦، رقم: ١٧٤٠، وشعب الإيمان، العلامة للبيهقي ١ / ٦٣، رقم: ٩٣.

الشخصية، ومصلحة الأمة على مصلحة الأفراد.

الاتفاق على أصل يُرجع إليه في الحوار:

يجب الاتفاق على أصل يرجع إليه المتحاورون إذا وُجد الخلاف، واشتد بينهم، وذلك كالاتفاق على الرجوع عند الاختلاف إلى مصدرى التشريع (القرآن الكريم، والسنةرالنبوية)، أو إلى القواعد الثابتة المستقرة، أو إلى ما كان عليه السلف الصالح (رضي الله عنهم).

قال الإمام الشاطبي: إن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهما فائدة بحال[1].

ولقد دار حوار بين الإمام الشافعي وبين ابن إسحاق (إمام من أئمة أهل الحديث) - رحمهما الله- الذي استدل في حوارِهِ على صحة قوله أن بعض التابعين قال به. فقال الشافعي: ما أحوجنى أن يكون غيرك في موضعك فكنت آمر بعرك أذنيه، أقول: قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: قال عطاء وطاووس والحسن وإبراهيم، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة[2].

* * *

(١) الموافقات في أصول الفقه، العلامة: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي٤ / ٣٣٥، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ٢ / ٩٠، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ الطبعة الثانية، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو.

أثر الحوار البنَّاء في مكافحة الإرهاب وصنع السلام الإنساني (*)

لم تحظ قضية على مدار التاريخ بقدر من التوافق الإنساني والعالمي، مثلما حظيت قضية مكافحة الإرهاب وتحقيق السلام، فالإرهاب بكافة أشكاله ومنطلقاته تفاقم خطره بشكل غير مسبوق في السنوات الأخيرة وبات العدو الأول للحضارة الإنسانية، وجسَّد الجانب المظلم من النفس البشرية وما يمكن أن تكون عليه من الانتهازية والعنف والكراهية.

ولذلك صار التعاون الدولي في مجال مكافحة الإرهاب وإحلال السلام العالمي هو السمة المميزة لهذا العصر، الذي أيقنت فيه جميع الأمم بضرورة الاصطفاف في مواجهة عدوها المشترك، وقد أفرزت المساحة الزمنية التي استغرقتها دول العالم في مكافحة الإرهاب عبر السنوات السابقة استراتيجيات كثيرة ورؤى متعددة، تعكس وجهات النظر المختلفة تجاه الآليات الفعالة في مكافحة الإرهاب وإحلال السلام، مما أتاح الفرصة كاملة لمراقبة تلك الاستراتيجيات ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها، وتقييمها بشكل موضوعي وعملي.

(*) الدكتور/ إبراهيم نجم، الأمين العام لدور وهيئات الإفتاء في العالم ومستشار مفتي جمهورية مصر العربية.

وقد ثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن الاستراتيجية الناجحة لمكافحة الإرهاب لا يمكن لها أن تعتمد محورًا واحدًا في عملية المكافحة، بل يجب أن تسير المواجهة على كافة المحاور الأمنية والفكرية والإصلاحية لتستطيع أن تواجه ظاهرة معقدة لها دوافعها المختلفة.

ومن هنا يُعلم موقع الحوار في عملية مكافحة ظاهرة التطرف؛ إذ يمثل الحوار أهم عناصر المواجهة الفكرية مع الفكر المتطرف، وأهم أدوات تحقيق السلام والتعايش الإنساني، وهو ما نحاول إبرازه في ذلك البحث.

التأسيس لحوار بنَّاء:

إن إجراء الحوار البناء يتطلب تهيئة المناخ المناسب لإجرائه، بحيث تتم إزالة كافة العوائق التي يمكن أن تحول بين الحوار وبين تحقيق غاياته، ويمكن إبراز أهم الخطوات التأسيسية فيما يلي:

١ - إخراج الحوار من حيز الدفاع عن الذات:

يمثل الحوار خيارًا فطريًّا؛ لأن التواصل هو سمة الإنسان في الأصل، فالإنسان يميل إلى الحوار بميوله الفطرية، إلا أن ذلك الحوار قد يكون متأزمًا أو يصعب إجراؤه من الأصل إذا ولد في سياق صدامي، فعلى الرغم أن الحاجة الماسة إلى الحوار تكمن في وقت الأزمات والصراع، إلا أن تلك الملابسات والمناخ الصدامي يشكل عائقًا أمام إجراء الحوار أو تحقيق أهدافه؛ والسبب في ذلك أن الحوار في تلك الحالة يكون أداة للدفاع عن الذات، وتحقيق الغلبة الفكرية، لا

تفكيك الأفكار أو إعادة تقييمها، وهو ما يفسر انتقال الحوار من العرض المنطقي والعقلاني للقضايا الفكرية إلى سجالات وجدالات أبعد ما تكون عن المنطق؛ لتحقيق انتصار ذاتي وهذا ما يحول دون تحقيق الحوار غايته، ولذلك يجب تحييد الجانب الذاتي في الحوار، عن طريق محاولة الفصل بين الأفكار وبين معتنقها، وتكريس ذلك المفهوم في نفوس المستهدفين بالحوار، لتحقيق الفصل بين الذات وبين مجموعة الأفكار، وحينها يمكن للحوار أن يحقق أهدافه، ويستطيع المستهدف بالحوار التوقف قليلًا عن مساره الأحادي، ووضع الحقائق والأدلة المتضمنة في الحوار موضع التقييم، ومن ثم التراجع عن أفكاره المتطرفة.

ولعل حوار ابن عباس – رضي الله عنهما– مع الخوارج مثَّل جانبًا تطبيقيًّا مثاليًّا لتهيئة المناخ للحوار البنَّاء ، يقول عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في حواره مع الخوارج عندما احتشدوا لقتال علي بن أبي طالب ﷺ ومن معه من صحابة رسول الله ﷺ : «أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره ، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون...» (١).

فابن عباس – رضي الله عنهما– حاول تهيئة المناخ عن طريق دفع الخوارج لعدم الالتفات لانحيازاتهم الذاتية عن طريق تذكيرهم بأنه أتاهم من عند

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٤٨٠) رقم (٨٥٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧/ ٤٠، ٤١) رقم (١٦٨١٩).

أصحاب النبي ﷺ، ومن عند علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، وأصحاب النبي -رضوان الله عليهم- وذكرهم بفضل أصحاب النبي وقدمهم في الدين والعلم، ومن شأن ذلك أن يثبط من نزعاتهم الذاتية عند إدراك حجم الفريق المختلف معهم ومكانته، وأن تصويب خطأ الفكر لا يعيب ؛لأن الفريق المختلف يضم أفضل الناس بعد الأنبياء، مما يفتح الباب أمام النظر العقلي الموضوعي للحقائق والأدلة، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك ورجع الكثير منهم عن أفكارهم المتطرفة.

٢- محاولة تجاوز الأحكام القَبْلية:

إن الآفة الحقيقية التي تقف أمام التفكير الموضوعي هو مجموعة الأحكام والقناعات المسبقة التي يتعامل الإنسان معها بوصفها ثوابت لا تقبل التغيير، مما يدفعه للرفض المطلق لأي فكر يصادم تلك الأحكام والقناعات السابقة، فالحوار ينطلق في الأصل من فرضية احتمالية خطأ المفاهيم والقناعات المستقرة، ولا يمكن تحقيق افتراض ذلك إلا إذا كان طرف الحوار يمتلك الاستعداد النفسي اللازم ؛ لأن تكون قناعته السابقة غير صحيحة، أو على الأقل ينتابها بعض الخطأ، وعلى الرغم من الصعوبات التي تنطوي عليها حالة التطرف الفكري إزاء تقبل تلك الفكرة، لكون المتطرف ينطلق في الأصل من نظرة أحادية وإيمان جازم بمجموعة من الرمزيات والمرجعيات، إلا أن الدفع باتجاه الثقة والطمأنينة يوفر للخطاب والحوار مناخًا مناسبًا يساعد الطرف المستهدف على قبول الأفكار المطروحة في الحوار وإعادة تقييم ثوابته.

وتلك الثقة التي من شأنها تخفيف حدة الجمود لدى أصحاب الأفكار المتطرفة لا تتحقق إلا بسلوك طريقة تدريجية في تفكيك الأفكار والقناعات، وعدم اللجوء إلى العبارات الصادمة والأسلوب الهجومي، ومن الشواهد التاريخية على ذلك الأسلوب الحواري، ما روي عن مصعب بن عمير (رضي الله عنه) ، عندما وصل إلى المدينة المنورة للدعوة إلى الإسلام وتهيئة الطريق لدخول النبي ﷺ المدينة، حيث جاءه سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما حينئذ يزجرانه عن دعوته أهل المدينة للإسلام، فلما تقدم أسيد بن حضير إليه قال له: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. فيقول راوي الخبر: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، وفي إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟! [١].

فإن مصعبًا (رضي الله عنه) كان يعلم أن المقدِم عليه سيد قومه، وأنه يمتلك مجموعة من القناعات التي يصعب عليه التخلي عنها إن لجأ إلى طريقة صدامية في الحوار، فأراد ابتداء أن يهيئ المناخ المناسب للحوار عن طريق التأكيد على أن المستمع يملك خياراته الكاملة في السماع والحوار، فضلًا عن الاقتناع بالأفكار وتقييم معتقداته السابقة، وهو ما دفع أسيد بن حضير للاستماع دون تأهب للرفض، فسلك مسلكًا تدريجيًّا نتج عنه اعتناق أهل المدينة للإسلام.

---

(١) دلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٤٣٩).

٣- إدراك الغاية من الحوار:

وذلك يكون بالابتعاد قدر الإمكان عن مواطن الخلاف الحقيقية، خوفًا من تبعاته، فيتفرغ الحوار عن مضمونه، ويتحول إلى صورة شكلية غايتها إثبات حصول الحوار بقطع النظر عن مقاصده.

والغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الفاسد من الرأي والقول؛ فهو تعاون من المتناظرين على التوصل إلى الحقيقة، بطرق الاستدلال الصحيح، فيجب أن يكون الحوار مُتَّجهًا إلى هدف معين يسعى إلى تحقيقه، ومن ثم فإنه لا بد أن يكون بعيدًا عن الجدل العقيم الذي لا طائل من ورائه، ولذا يتعين وضع الهدف من التفاوض وتوضيحه.

والحقيقة أن الحوار في مسائل الاختلاف لا سيما المتعلقة بالفكر المتطرف هو بمثابة إجراء عملية جراحية غاية في الدقة، يفترض من خلالها استئصال جذور ورم سرطاني، وهذا يقتضي الوصول مباشرة إلى محل ذلك الورم لا الحوم حوله دون الاقتراب منه، فإن ذلك لا يجدي نفعًا في حالة المريض، وسيكون نصيب المريض جراحًا لا طائل منها، وسينتهي الحوار مثلما بدأ بلا أي نتائج، ولذلك يجب التخطيط للحوار المنتج، وإصابة الركائز الأساسية للخبط والخلط الفكري، ومن ثم تصحيحها.

آثار الحوار البنَّاء:

للحوار البنَّاء أهميته البالغة في مكافحة التطرف والإرهاب، وتحقيق السلام الإنساني، ودائمًا ما تنعقد الآمال عليه أن يكون بديلًا عن العنف واستخدام القوة، وأن

تكون لغة الحوار هي اللغة السائدة التي يستحقها الإنسان، وتعبر عن آدميته وحضارته، وإن تطبيق الحوار البناء والنجاح في إجرائه يترتب عليه العديد من الآثار الإيجابية، أهمها:

تفكيك القناعات الخاطئة وتصحيح المفاهيم:

غالبًا ما تنتج الأزمة الفكرية من تشوه في المفاهيم، فالمفهوم يمثل الركيزة والمنطلق الأساسي للنظريات الفكرية، وهذا ما يفسر سعي منظري الحركات المتطرفة لتشييد بناء مفاهيمي خاص، يكون ركيزة لهم لتأسيس رؤيتهم حول الدين والعالم، فالحركات المتطرفة على اختلاف انتمائها علمت جيدًا أن وظيفتها الأولى هي العبث بدلالات المفاهيم الشرعية، وإكسابها أبعادًا أخرى ودلالات مستحدثة تخدم أفكارهم ورؤيتهم، ومن ثَمَّ الدفع بتلك المفاهيم والبناء عليها، وهو ما يحدث إرباكًا واضطرابًا في الحالة الفكرية تكوِّن البيئة المثالية للترويج للفكر المتطرف.

ففي تلك البيئة تحديدًا يبدأ دعاة التطرف في الترويج للمفاهيم الشرعية بدلالتها المصنوعة على أيديهم كالجهاد والهجرة والكفر، وإحاطتها بسياج مقدس، لتحصين معتنقيها من التخلي عنها أو قبول فكرة احتمال خطئها، فتتحول إلى أيديولوجية عصيَّة على التغيير، يصعب تفكيكها بسهولة، ومن هنا يظهر كمّ التعقيد في التكوين الفكري للجماعات المتطرفة.

ولذلك كانت الغاية الأسمى من غايات الحوار، هي تصحيح تلك المفاهيم المغلوطة ، فالحوار البنَّاء هو القادر على تفكيك البناء المفاهيمي لدى

الأفراد المتطرفين، وتصحيح تلك المفاهيم، فالفكر لا يمكن تغييره إلا بالفكر.

دعم التواصل والتعارف الإنساني:

يعد الحوار أحد وسائل التواصل الإنساني التي تعكس سلوكًا حضاريًّا يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات؛ فالحوار أداة يملكها كل بني آدم ويمكن له من خلالها التواصل مع سائر البشر، فالحوار يظهر الحقائق كاملة بعيدًا عن التشويه والتلفيق والمبالغة، فإن المواقف الحادة والعنيفة تجاه الآخر دائمًا ما تكون نتيجة للفهم المغلوط والمعرفة الناقصة، فإذا ما عززت ثقافة الحوار فتح الباب أمام المعرفة الحقيقية، ومن ثم يمهد للقضاء على التوتر والاحتقان غير المبرر.

والإسلام لا يعادي الأمم التي لا تدين به، وفي ذلك يقول الدكتور دراز: «هل ترى أوسع أفقًا، وأرحب صدرًا، وأسبق إلى الكرم، وأقرب إلى تحقيق السلام الدولي والتعايش السلمي بين الأمم، من تلك الدعوة القرآنية التي لا تكتفي في تحديد العلاقة بين الأمم الإسلامية وبين الأمم التي لا تدين بدينها، ولا تتحاكم إلى قوانينها- لا تكتفي في تحديد هذه العَلاقة بأن تجعلها مبادلة سلم بسلم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال:٦١)، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ الله لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٠)، بل تندب المسلمين أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر، وعدل وقسط: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ الله عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ الله يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)[(١)].

---

(١) الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، الدكتور/ محمد عبد الله دراز (ص١٨٤)، دار القلم-الكويت.

وفي هذا الصدد يجب توصيل الصورة الحقيقية المعتدلة عن الإسلام والمسلمين؛ ليعرف العالم أجمع أن الإسلام ينبذ الإرهاب وأن تعاليمه تلعن مرتكبيه .

محاصرة الجماعات الإرهابية وتجفيف مواردها البشرية:

تعتمد الجماعات المتطرفة على استغلال كافة الدوافع الدينية والنفسية في عمليات التجنيد والحشد، وذلك من خلال خطاب متطرف يميل إلى العاطفة لتوجيه سلوك الأفراد المستهدفين إلى سلوك طريق التطرف، وهنا تأتي وظيفة الحوار البناء، ليقوم بدوره الوقائي في مكافحة ظاهرة التطرف، واستنقاذ الشباب من الانقياد أو الوقوع في براثن التطرف في تلك المراحل الحرجة التي قد يمرون بها، هذا بالإضافة إلى دوره العلاجي، فإن التصدي الفكري عن طريق الحوار البنَّاء هو الخيار الأبرز لتجفيف منابع التطرف، ومن ثمَّ إضعاف القوة البشرية لدى التنظيمات الإرهابية، وتقويض نشاطاتها وانتشارها.

تحقيق السلام العالمي:

لقد أثبت التاريخ بفصوله المتكررة أن العنف واستعمال لغة القوة لم يكن يومًا حدًّا فاصلًا في إنهاء الاختلاف، وتأكد أن كافة المحاولات العنيفة لتنميط الثقافات أو استلاب الخصوصيات الثقافية قد باءت بالفشل؛ فالخلاف سنة كونية باقية بقاء الإنسان، ومن هنا تأتي الوظيفة الحضارية للحوار، والإيمان بأن الصراع هو الطارئ، وأن الأصل في العلاقات البشرية هو السلام والتعايش، حتى لو أصبح الصراع والتنافر هو المسيطر على العلاقات الإنسانية اليوم ، إلا أن

ذلك لا ينفي كون السلام هو الأصل.

يقول الدكتور دراز: «إن الإسلام لا يكفّ لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة أتباع كل ملة ونحلة في سبيل التعاون في إقامة العدل ونشر الأمن، وصيانة الدماء أن تسفك، وحماية الحرمات أن تنتهك، ولو على شروط يبدو فيها بعض الإجحاف؛ ناهيك بالمثل الرائع الذي ضربه لنا رسول الله ﷺ في هذا المعنى حين قال في الحديبية: «والله لا تدعوني قريش إلى خطة توصل فيها الأرحام وتعظم فيها الحرمات إلا أعطيتهم إياها». هذا هو مبدأ التعاون العالمي في الإسلام، يقرره نبي الإسلام ورسول السلام»(١).

إن الحوار البنَّاء أصبح هو طوق النجاة والأمل لتحقيق السلام العالمي، وإنهاء حالة فوضى الخلاف.

وختامًا.. سيظل الحوار البنَّاء هو ملاذنا لعالم أفضل، يؤمن أن ما يجمع البشر أكثر مما يفرقهم، وأن هناك دومًا خيارًا آخر غير العنف والكراهية، وهو خيار أكثر أمنًا وتحضرًا ورُقِيًّا، ونافذة يمكن من خلالها رؤية القواسم الإنسانية المشتركة بين بني آدم.

إن الحوار هو الأداة الناجعة التي يمكن من خلالها تفكيك الأفكار، وتبديل القناعات، ومعرفة أن الرموز والأشخاص لا يملكون الحق المطلق، وأن الإنسان يستحق أكثر من أن يكون تابعًا فاقدًا للإدراك والتفكير والتحليل، فإن

---

(١) الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، (ص١٨٥).

الله سبحانه وتعالى كرمه بنعمة العقل والتفكير، وميز جنسه عن سائر الأجناس بقدرات التواصل والتعايش.

إن الخطاب البنَّاء الآن يحمل مسئولية التمهيد لحالة جديدة وعالم جديد قد استفاد من دروسه التاريخية، وعلم أن الاتجاه نحو الحرب والعنف والكراهية لا يصل بالإنسان إلى حلول آدمية مهما بدا عكس ذلك، وأن الحوار البنَّاء هو الضامن الوحيد لتحقيق السلام والتعايش، مع المحافظة على الخصوصيات الدينية والثقافية والحضارية لكل أمة من الأمم.

إن موجات التطرف المتعالية التي لا تهدأ حتى تعاود ثورتها من جديد تحتاج إلى يقظة تامة، وحوار مستمر ومتجدد، يعتمد كافة الأساليب التي من شأنها تمييز الحق من الباطل، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعزيز القِيَم الأخلاقية، فإن ذلك فقط هو الكفيلُ بحفظ الأمن والأمان في العالم بأسره مهما اختلفت العقائد والأديان.

❋ ❋ ❋

دور الإعلام في ترسيخ الحوار (*)

يضطلع الإعلام في عصرنا الحاضر بدور مهم في حياة الناس، حتى أشبه العالم بالبيت الواحد، فما يحدث الآن في مكان ما على كوكبنا يمكن أن يصل إلى المتلقي بعد ثوانٍ معدودة.

إن الاستثمار الأمثل لوسائل الإعلام في مجال الحوار أصبح ضرورة ملزمة، فكل الأمم تستطيع من خلال الحوار الرقي بمجتمعاتها نحو الأفضل، كما أن تنشئة أبناء المسلمين على الحوار واجب حتمي للوصول إلى المشتركات من أجل بناء مجتمع واحد.

إن عالمنا اليوم ينتظر مشاركة المسلمين في صناعة مستقبل مستقر؛ لما يملكونه من منهج شامل وعادل لصياغة المعادلة بين الإنسان والكون، وعلى ذلك ينبغي أن يهم المسلمون بقوة وجِدَّة في الإعلام عمومًا، وخاصة الإعلام الجديد ووسائل التواصل الاجتماعي، لبناء ثقافة الحوار من خلال التوظيف الجيد لوسائله المختلفة.

كما أن على وسائل الإعلام الإسلامية احترام التعددية الثقافية لجميع الشعوب انطلاقًا من حقيقة تمايز البشر من حيث اللون والعرق والثقافة، والإقرار بأن التنوع الإنساني يمكن أن يصبح مصدر إثراء للوجود البشري

(*) د/ عبد الله حسين الشيعاني، عضو اللجنة الإعلامية برابطة الجامعات الإسلامية.

والثقافة الإنسانية، والسعي لمعرفة الآخر كما يقدم نفسه، والبحث عما يجمع ، ونبذ ما يفرق، والتغاضي عن خصوصيات الآخر والاحتكام إلى العقلانية، وتغليب الأسلوب العلمي على العاطفي والانفعالي، والإدراك السليم لظروف الحوار وشروطه الموضوعية، والانتهاء إلى ما هو قابل للتنفيذ من التوصيات وتجنب طرح المشروعات غير المتوقعة، وكل ذلك يلزمه المزيد من الوعي والاحترافية في العرض، وقوة الإنتاج.

التعاون الإعلامي:

اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين، في أيلول _ سبتمبر ١٩٩٩م ، قراراً بالموافقة الإجماعية على الاقتراح بإعلان عام٢٠٠١م، عاماً للحوار بين الحضارات.

وقد عقدت عدة دول عربية مؤتمرات متخصصة في هذا الشأن، ورغم كل مساهمات العالم الإسلامي في الحضارة الإنسانية، فإن هناك من يتهمه زورًا بأنه غريب أو رافض لحضارة القرن الواحد والعشرين.

إن المجتمع الإسلامي يسهم بشكل فعّال في وضع أسس للحوار بين أتباع الأديان من خلال مشاركات ثلة من العلماء ممثلين عن الأزهر والمرجعيات الدينية من كل أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه، ولكن نظرة الغرب إليه لا تزال مختلفة من حيث الأهداف من إقامة الحوار معه، ولذلك فإن من أهم الوسائل المفضية لحوار ناجح إبراز وسائل الإعلام المختلفة لأهمية نشر ثقافة التسامح الديني بين المجتمع.

إن إحياء مشروع حوار الأديان بعد فترة من الركود يؤكد للعالم كله استعداد العالم الإسلامي المستمر للحوار الديني البنّاء، ويسعى في ذات الوقت إلى نشر ثقافة السلم التي تعزز القضاء على كافة مظاهر التطرف والتعصب والعنف الديني عبر الحوار الإيجابي الذي سيؤتي أُكله ولو بعد حين.

الإعلام ودوره البنائي:

يعد الإعلام في عصرنا الحاضر بمثابة الجامعة المفتوحة لتلقي جميع أفراد الأسرة تعليمهم المفتوح من خلاله، ويتضح ذلك جليًا من خلال دوره الفاعل في توجيه المجتمع وإرشاده وتثقيفه، وتزداد الحاجة إليه في عملية التنمية بجميع مجالاتها.

إن هذه المكانة المهمة التي وصل لها الإعلام، ودوره البنائي في تقدم البشرية، ودخوله إلى جميع مناحي حياتهم وأسباب رفاهيتهم. ومساهمة وسائل التكنولوجيا الحديثة وتوفر وسائل الاتصال بين الناس، كل ذلك يعطي فرصًا حقيقية للارتقاء في سلم التنمية، ومن هذا المنطلق فمن الواجب على القائمين على الإعلام في الدول الإسلامية أن يقوموا بإنتاج برامجهم الموجهة للغرب وللعالم بما يتفق مع خطابهم وحقائق ثقافاتهم، لتصل رسالتنا إليهم كاملة دون تشويش.

إن الدراسات العلمية تشير إلى ضرورة استثمار المعطيات العصرية في وسائل الإعلام لتحقيق تفاهم مشترك بين أصحاب الديانات والأيدولوجيات التي تسود العالم المعاصر، إذا كنا نعمل جاهدين لاستكشاف أعمال المفكرين المحدثين

في ميادين الإعلام المختلفة، فإنه يجب أن نشحذ الهمم لدراسة الحوار مع غير المسلمين في عالم أصبحت فيه وسائل الإعلام والقنوات الفضائية وشبكة الإنترنت مسيطرة على هذا الكوكب الذي نعيش فيه.

لقد آن الأوان لصنع برامج حوارية متخصصة، تسهم في تحقيق علاقات إنسانية، تقوم على المحبة ونبذ العنف والكراهية، وإظهار الجانب الايجابي في كل حضارة، ومن المهم لمثل هذه البرامج التي ننتجها أن تلاقي صدى في وسائل الإعلام الغربي.

إننا لابد أن نعترف بأهمية الإعلام في تصحيح الصورة المغلوطة التي نشرها الإعلام الغربي عن الإسلام، ولتحقيق هذا يجب أن يوجد إعلاميون متخصصون في هذا المجال، واعون لمآلات الكلمات التي يكتبونها في سبيل تصحيح الصورة المغلوطة، وكذلك يجب الاستعانة ببعض أبناء الجالية المسلمة المقيمة في الغرب التي تعرف خبايا هذه الأمور، ولديهم من الخبرة ما يمكنهم من الرد بكل وضوح وسهولة.

وبناء عليه فإننا نحتاج إلى أن نؤهل جِيلاً من الكُتَّاب ورجال الإعلام؛ مدربين بصورة مِهَنية، وشبابًا يمكنهم أن يستخدموا تقنيةَ المعلومات؛ لإزالة الشبهات المُثارة عن الإسلام؛ إلى جانب عملهم على نقْل الوجه الحقيقي للإسلام؛ بوصفه دينَ بَركة ورحمة للبشرية.

كما يمكن الاستفادة في هذا المجال البنائي من المحددات التي اقترحتها (اليونسكو) لتطوير وسائل الإعــلام في إطــار أمثل يتيح لوسائل الإعلام ، على

السواء إمكانية المساهمة في تحقيق الإدارة الرشيدة والتنمية الديمقراطية.

وتختص مؤشرات تطوير وسائل الإعلام بجميع مكونات البيئة الإعلامية، وتتمحور حول خمسة مجالات رئيسة هي:

١. منظومة قواعد تفضي إلى حرية التعبير والتعددية والتنوع في وسائل الإعلام.
٢. التعددية والتنوع في وسائل الإعلام، والتكافؤ في الإمكانيات الاقتصادية والشفافية في الملكية.
٣. وسائل الإعلام بوصفها منبرًا للخطاب الديمقراطي.
٤. بناء القدرات المهنية ودعم المؤسسات التي تدعم حرية التعبير والتعددية والتنوع.
٥. توفير القدرات على صعيد البنى الأساسية من أجل دعم وسائل الإعلام المستقلة والتعددية.

وتوفر هذه المؤشرات بمجملها الصورة المنشودة لما يجب أن تكون عليها بيئة وسائل الإعلام من أجل ضمان حرية التعبير والتعددية والتنوع في هذه الوسائل)[1].

الإعلام والتقارب:

تبرز مكانة وسائل الإعلام في تحقيق التفاعل والتناغم والتقارب والانسجام

---

(١) اليونسكو، عرض كتاب "مؤشرات تنمية وسائل الإعلام: إطار لتقييم تنمية وسائل الإعلام"، الموقع الرسمي.

بين أفراد المجتمع البشرى وبين المنظمات والدول المختلفة، وذلك من خلال التقنيات والقوالب الإعلامية المؤثرة، ويأتي الحوار بين كل الملل والنِحل في مقدمة هذه القوالب التي تسهم في تحقيق الغايات.

وإذا كانت المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتكنولوجية قد غيرت وجه العالم من عدة أبواب، فإن الإعلام قد أسهم وبشكل رئيس في ذلك سواء عن طريق الإعلاميين المهتمين بالتغيرات المختلفة على مضامين الحياة في المجتمعات المحلية منها والعالمية، أو عن طريق وسائل الإعلام التي تزايد دورها في حياتنا المعاصرة حتى غدا الإعلام شريكا رئيسًا في ترتيب أولويات الاهتمامات مؤثرًا على عملية إصدار الأحكام، ومن ثم يجب اعتماد خطط وسياسات إعلامية تعمل بشكل إيجابي، ومن خلال إعداد برامج هادفة لإشاعة ثقافة الحوار، وليس كما يحدث في الفضائيات والشبكة العنكبوتية التي غزت البيوت وصارت منابر يتبارى عليها أصحاب الأيدولوجيات المختلفة لنشر أفكارهم المنحرفة، أو الأفكار التي تؤسس الكراهية والعنف ضد الآخر، وزرع الأحقاد والاحتقان السياسي والاجتماعي والديني.

كذلك لا بد أن تعتمد السياسة الإعلامية على البحوث العلمية الجادة لمعرفة احتياجات الجمهور واتجاهاته، مع الموازنة بين تلبية اهتمامات الجمهور وتلبية احتياجاته. ويجب أن تشارك عدد من الوزارات والهيئات والجامعات ومراكز البحوث والدراسات المستقلة والأجهزة ذات العلاقة المباشرة بالإعلام

في صياغة السياسة الإعلامية الخاصة بالحوار، وذلك إما عن طريق صلتها المباشرة بالإعلام ونظمه ووسائله، أو بحكم استعانتها ببعض أنواع وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى، وبما أن وسائل الإعلام الجماهيرية تعتبر الناقل الأساس لثقافة الحوار والداعم له، فهي تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها، وتؤدي دورًا أساسيًا في تطبيق السياسات الثقافية الحوارية.

إن وسائل الاتصال الجماهيري لا تستطيع أن تستغني عن الاتصال المواجهي في الإقناع والتأثير، لأن الاتصال الجماهيري يتميز بالسرعة الفائقة في نقل المعلومة وفي نشرها على أكبر عدد ممكن من الناس، إلا أن مرحلة الإقناع تتطلب المواجهة المباشرة لعرض الحجج المنطقية والبراهين العقلية، فلا يكفي أن يستمع الناس إلى الحقائق والأفكار المختلفة عبر الإذاعة، أو أن يشاهدوها على الشاشة الصغيرة أو الكبيرة، أو يقرؤوا ما تنشره الصحف عنها، إذ لابد من الاستعانة بوسائل الاتصال المواجهي لكي تكمل دائرة الحوار الإعلامي بين المسلمين وغيرهم.

وهذا يعني أنه لا بد من التنسيق بين الوسائل المباشرة وغير المباشرة لتحقيق الغايات المستهدفة، فلا يمكن الاستغناء بالوسائل الإلكترونية الحديثة عن الوسائل التقليدية القديمة، فلكل منها دور محدد، ومجال معين، ووقت معلوم، فإذا كان الاتصال المواجهي قادر على الاستمالة والإقناع، فإن الاتصال الجماهيري أكثر قدرة على التبليغ والانتشار.

وفي ضوء كل هذا فإننا في حاجة إلى وقفة علمية متأنية لإعداد خطة علمية لحوار إعلامي ثقافي مثمر بين المسلمين وغيرهم تستثمر فيه الإمكانات المختلفة لكل واحدة من هذه الوسائل لإجراء الحوار والنقاش وتبادل الأفكار بين المسلمين وأصحاب الأديان والأيديولوجيات الأخرى.

الإعلام وثقافة الحوار:

يؤدي الإعلام الدور الأكبر في رسم السياسة الثقافية لأي بلد، فتبني نظرية المسئولية الاجتماعية في العملية الإعلامية، هو المعول عليها في أن تقوم وسائل الإعلام بمهمة إشاعة ثقافة الحوار، وتجعل من الرأي العام رقيبًا على آداب مهنة الإعلام بعد أن استُخدمت وسائل الإعلام في الإثارة والخوض في أخبار الجريمة، ويرى أصحاب هذه النظرية أن الحرية الإعلامية حق وواجب ومسؤولية في نفس الوقت، ومن هنا يجب أن تقبل وسائل الإعلام القيام بالتزامات معينة تجاه المجتمع، ويمكنها القيام بهذه الالتزامات من خلال وضع مستويات أو معايير مهنية للإعلام مثل الصدق والموضوعية والتوازن.

وتؤمن نظرية المسئولية الاجتماعية، بأنه يجب أن تكون وسائل الإعلام تعددية، تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع من خلال إتاحة الفرصة للجميع في النشر والعرض، كما أن للجمهور العام الحق في أن يتوقع من وسائل الإعلام مستويات أداء عليا، إضافة إلى ذلك فإن الإعلاميين في وسائل الإعلام يجب أن يكونوا مسؤولين أمام المجتمع، إضافة إلى مسئولياتهم أمام مؤسساتهم

الإعلامية. وتحظر هذه النظرية على وسائل الإعلام نشر أو عرض ما يساعد أو يحرض على الجريمة أو العنف أو ماله تأثير سلبي على المجتمع.

لذلك فإن ثمرات الحوار في الثقافة كبيرة ومهمة، بقدر ما للثقافة من أدوار وتأثيرات في كل الأنساق الفكرية والسلوكية في المجتمعات عبر العصور، لكن الذي يكسب الحوار الثقافي إيجابياته وبعده الإنساني القويم هو التعدد الثقافي والقبول به.

وفي غياب الحوار الثقافي نفتقد إيجابياته وثمراته الكبرى، وتثمر في مقابله ثقافة الاستبداد بحيث يقود المجتمع إلى حالة سلبية من عدم التوازن وعدم الترابط، وبالتالي وضع المجتمع في إطارين؛ إمّا التصادم بين الأفكار والاتجاهات المتعارضة والوصول للصدام المادي، أو اضمحلال الكل في فكر واحد واتجاه تسلطي منفرد مما يعني انقراض الإبداع، وموت التنوع، والتوقف التام عن الحركة الحيوية المستمرة.

ولنشر وإشاعة ثقافة الحوار والتعايش بين الشعوب علينا الاعتماد على الإعلام بمختلف محاوره المسموعة والمرئية، وذلك لنشر ثقافة الحوار بدلا من ثقافة الصراع ؛ لأنه من المتفق عليه أن وجدان الأفرد والشعوب تتشكل من خلال منظومة ثلاثية الأضلاع؛ (الإعلام، التعليم، والثقافة)، ومن المتفق عليه أن الضلع الأول والأهم هو الإعلام، ويكتسب أهمية خاصة في صياغة فكر ووجدان الشعوب.

وتزداد أهمية الإعلام في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية، فوضعت العالم على أعتاب عصر جديد، ونظام دولي جديد، شارك الإعلام في صنع هذه المتغيرات العالمية الجديدة، فقد دخل العالم عصر المعلومات، أو ثورة المعلومات التي أصبحت ذات دور أساسي في صناعة القرار، وتوجيه السياسات، وخاصة بعد الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات، وانتقال عصر الإعلام إلى عصر الفضاء والأقمار الصناعية وغيرها من تكنولوجيات الاتصال المتطورة، وخاصة الإنترنت وأجهزة الحاسب الآلي الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي، فقد تحول العالم نتيجة لثورتي المعلومات وتكنولوجيا الاتصال إلى وحدة كونية واحدة.

ولكي يقوم الإعلام بدوره في خضم هذه التغيرات، عليه واجب الدعوة لثقافة الحوار مع الآخر، فإن على مسؤولي الإعلام، تحمل توضيح القيم الإسلامية البناءة لأصحاب الديانات والعقائد وتصحيح الصورة الذهنية التي تروج لها الوسائل المغرضة لتشويه هذه الصورة. والتأكيد على أن الحوار بمبادئه النبيلة التي يحث عليها الإسلام لتحقيق العدل والتكافل والتضامن والخير للناس جميعًا.

الموضوعية في الإعلام:

أصبحت وسائل الإعلام أداة رئيسة في بث روح التعايش، والسلم العالمي، وحماية المجتمعات من الآفات، ومن واجب هذه الوسائل الإعلامية ألا تنزلق عن المواثيق الدولية في حماية الأفكار العامة لتتحول عن مواثيقها الشرفية، فتصبح

معول هدم، أو استهتار، أو تحقير لدين، أو لرمز من رموزه، وهنا ينبغي على وسائل الإعلام أن تبقى بعيدة عن الإساءة للأديان، وترفض المساس برموزها وما يترتب عليه من استثارة لمشاعر أتباع هذه الأديان.

إن الحوار الذي يسعى المسلمون إلى تبنيه، نابع من معتقدهم بحرية اختيار الدين، فلكل فرد حق في المعتقد كفلته الشريعة الإسلامية، والحوار يستوجب احترام الآخر المختلف في اللون أوالعرق أواللغة أوالدين أوالثقافة. ومن أهم شروط نجاح الحوار الإسلامي مع الآخر، أن يتخلص المثقفون المسلمون من الشعور بأنهم متهمون في خطابهم، وأن يتخلوا عن الأسلوب الاعتذاري، والدفاع المستمر عن الذات.

ولذلك فعلى وسائل الإعلام في الدول الإسلامية حين تتناول الآخر في وسائلها وضع خريطة معرفية تساعدها لمعرفة كل تيار في العالم الغربي على حدة، حتى تستطيع مخاطبته واستهدافه وفق صياغة تتناسب معه، مع الحفاظ في الوقت نفسه على الثوابت الدينية للمجتمع المسلم.

ومن ثم لابد أن تسبق هذه البرامج معرفة تامة بالتيارات المؤثرة المستهدفة وتوجهاتها الثقافية، واعتماد منهج علمي في الحوار معها، والالتزام بالموضوعية ليكون سبيلاً للوصول إليها وتحديد جماعات الحوار التي يمكن حصرها في رجال الإعلام والمفكرين والأدباء والفنانين وممثلي منظمات المجتمع المدني.

وعلى وسائل الإعلام البحث عن الوجوه الإيجابية في الثقافات وإبرازها، وتنمية روح النقد الذاتي لتلافي السلبيات في النظرة المضخمة للذات، أو ازدراء

الآخر، وصياغة صورة الأنا والآخر، في إطار من الفهم المعمق والمتبادل، وتعزيز الرغبة المشتركة في الدفاع عن القيم الإنسانية التي تضمن التفاعل الإيجابي الخلاق بين الشعوب والثقافات والسعي لأن يكون الحوار رصينًا وبعيدًا عن كل أشكال التشنج والتعصب، واعتماد النزاهة الفكرية، وعدم التحيز للذات على حساب الآخر، ونبذ الانتقائية في تطبيق القواعد والمواثيق الدولية، واحترام حقوق الإنسان ورفض سياسة الكيل بمكيالين، أو التحدث بأسلوبين مختلفين في الحوار الداخلي وفي الحوار مع الآخر، وعدم توظيف الحوار لخدمة أغراض آنية ورفض وجود معايير ثابتة لمفاهيم التقدم والتخلف الثقافي والحضاري يفرضها طرف على الآخر.

كما ينبغي البحث عن مساحة لفهم الآخر، وتقدير مساحة الاختلاف معه. ويمكن البدء بالافتراض أن ضخامة حجم الاختلاف ليس أمرًا سيئًا للغاية إذا كان ينطلق من مبدأ الاعتراف بواقعيته وحق صاحبه في أن يكون مختلفًا، أو إذا كان يوظف كمدخل أساسي لفهم فكرة التعددية وقبول وجود التنوع في إطار الذات.

ثمرات الحوار في الإعلام:

إن من أهم ثمرات الحوار في الإعلام تصحيح صورة الآخر، من أجل الوصول إلى رفض نظريات حتمية الصراع بين الحضارات والثقافات، والتحذير من خطورة الحملات التي تسعى إلى تعميق الخلاف وتقويض السلم والتعايش،

وكذلك التعريف بحق الآخر في الاختلاف الفكري والمعرفي من أجل خلق أفكار جديدة ورؤى متغيرة، ومع انتشار القنوات الفضائية نجد أن البرامج الحوارية قد حصلت على جزء يسير من برامج هذه القنوات، ويتم فيها الدعوة إلى ثقافة الحوار البنّاء، من أجل تعزيز التماسك الاجتماعي.

وبذلك نجد أن من أهم ثمرات برامج الحوار في المجال الإعلامي نشر الأفكار الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة عن طريق القنوات الفضائية، والإذاعات، والتلفزيونات، والإنترنت، والمجلات، والصحف والمجلات، والكتب، وغيرها. ونشر المعلومات الصحيحة عن المبادئ الإسلامية بشتى اللغات ولاسيما الإنكليزية، والفرنسية، والروسية، والصينية، ويتولى ذلك العلماء المتخصصون.

وقد جرى في اليونسكو أثناء الدورة الرابعة والسبعين بعد المائة للمجلس حوار تم التأكيد فيه على التكافل والتداخل والعلاقة الوثيقة التي تربط بين حرية التعبير واحترام العقائد والرموز الدينية[١].

ومنه نستطيع أن نستنتج التوصيات التالية:

- إن احترام الخصوصيات الثقافية والمحافظة في الوقت ذاته على حرية التعبير أمر سيبدو على الدوام بمظهر توتر يتعين مناقشته والتداول بشأنه في أي مجتمع ديمقراطي.

---

(١) http://www.unesco.org.

- يجب احترام حقوقنا المتعلقة بالديانة والثقافة. فلا يوجد أي نظام تراتبي أو هرمي فيما يتعلق بحقوق الإنسان، فحقوق الإنسان سلسلة مترابطة واحترامها هو بالتحديد ما يضمن للفرد كرامته.
- الاعتراف بأن التنوع الثقافي يستمد معينه من تجارب وإسهامات جميع البلدان والثقافات والشعوب.
- التنوع الثقافي يعزز القيم الإنسانية ويقيم أرضية مشتركة ، بحيث لا يمكن لأي ثقافة أن تدعي الفضل على سائر الثقافات.
- وسائل الإعلام إن كانت حرة وتعددية ومهنية قادرة هي أيضًا على توفير منتدى للتفاوض السلمي بشأن هذه الاختلافات.

* * *

الإعلام وقضية الحوار (*)

تؤكد المتغيرات أن وسائل الإعلام اليوم تضطلع بمهام اتصالية، تمركزت في صياغة وتكوين الصورة الإعلامية العربية التي حاصرت (العرب والمسلمين) عبر آلاف الرسائل اليومية من خلال استخدام وسائل الإعلام، لذا أصبح من الضروري رصد وتحليل ملامح الصورة الذهنية ومحاور الحوار العالمي بين الأديان والثقافات وسبل التعامل معها علميًّا وإعلاميًّا، ومن المؤكد أن المؤتمر العالمي الذي تنظمه وزارة الأوقاف وبرعاية السيد رئيس الجمهورية يمثل فرصة عظيمة للتوصل إلى الأسس المعرفية والفكرية، وكذلك الاتفاق والوفاق على إستراتيجية متكاملة تجعل من حوار الأديان والثقافات جسرًا للسلام والمحبة بين دول العالم:

مفهوم حوار الأديان:

يطلق مفهوم حوار الأديان على المنتديات والاجتماعات التي تكون بين أتباع الدّيانات السّماويّة المختلفة بهدف تحقيق غاياتٍ معيّنة منها نبذ العنف والتّمييز العرقي والطّائفي، ومكافحة الإرهاب، والوصول إلى نقطة تلاقي، وقاسمٍ مشترك بين جميع أتباع الدّيانات السّماويّة بهدف التّعاون من أجل مصلحة البشريّة وبما يعود بالنّفع عليها في جميع المجالات، وبما يجنّبها مخاطر الخلاف والتّناحر.

(*) أ.د. سامي السيد عبد العزيز، عميد كلية الإعلام الأسبق- جامعة القاهرة.

مفهوم حوار الثقافات:

وهو عبارة عن مفهوم يشيرُ إلى دور تعزيز الحوار بين ثقافات الشعوب المختلفة، ممّا يسهمُ في بناءِ تبادلٍ ثقافيّ بين الشعوب، كما يُعرفُ حوار الثقافات بأنّه عبارةٌ عن مشاركة الأفكار، والآراء الثقافيّة المتنوعة بين فئاتٍ شعبيّة، أو عرقيّةٍ، ويؤدي ذلك إلى فهمِ الاختلاف بين الثقافات، والعمل على تقريب الآراء معًا من خلال توضيح التقارب الثقافي المبني على خصائص محددة، مثل: اللغات، والأخلاق، والتاريخ، والدين، وغيرها.

شروط حوار الثقافات:

- وجود الاحترام المُتبادل بين أطراف الحوار الثقافي كشرطٍ أساسي من شروط نجاح حوار الثقافات، وتقدير الثوابت الفكريّة بين أطراف الحوار، واحترام الاختلاف في الآراء.

- احترام الخصوصيّة الثقافيّة بين أطراف الحوار، والتي تعتمد على فهم أن لكل ثقافةٍ قيمًا خاصةً بها لا يجوز تجاوزها، أو التعدي عليها بأي شكل من الأشكال.

- تجنّب إطلاق الأحكام المُسبقة حول ثقافةٍ معيّنة، من خلال الاعتماد على تقييم أحد مظاهرها الثقافية، مثل: الفنون، والأدب، وغيرها.

- فهم التأثر الثقافي الظاهر: عند الثقافات التي اعتمدت على التبعيّة الثقافية، وخصوصًا التي كانت تعاني من الاستعمار السياسي، أو الاقتصادي، أو الثقافي.

أهداف حوار الثقافات:

- بناء جسور من التواصل الفعّال بين الثقافات الشعبيّة والعالميّة المختلفة، والمساهمةُ في منع اندلاع الحروب بين الدول من خلال: الاعتماد على التقريب الثقافي، والفكري بين الشعوب.

- تعزيزُ دور التبادل الدبلوماسي الثقافي بين الدول، ممّا يسهمُ في بناء ترابطٍ ثقافي عالمي.

- تقديمُ الدعم للتعاون الاقتصادي بوصفه مجالا من المجالات الإنسانيّة التي تعتمدُ على وجودِ حوار ثقافي مستمر.

- دعم دور الحوار الأخلاقي القائم على ثابت الإيجابيّات بين الثقافات المشتركة، والسعي لتجنّب السلبيّات الثقافيّة المُختلفة قدر المستطاع، فمجالات حوار الثقافات يعتمدُ على دعم مجموعةٍ من المجالات، وهي:

المجال الثقافي الديني: وهو من أهم مجالات حوار الثقافات؛ إذ يعتمدُ على ضرورةِ التقريب بين الشعوب، والأفراد من الديانات المختلفة عن طريق بناء علاقات قائمة على وحدةِ الفكر الثقافي الإنساني، وتجنّب أيّة مظاهر للعنصريّة الدينية التي تؤدي إلى حدوث العديد من الكوارث بين الأفراد بسبب الاختلاف الديني.

المجال الثقافي السياسي: وهو المجالُ الذي يعتمدُ على تطوير العلاقات السياسيّة بين الدول، من خلال الاستعانة بالخبرات السياسيّة والثقافيّة مثل: انتشار فروع للأحزاب السياسيّة بين دولِ العالم.

المجال الثقافي الاقتصادي: وهو وجود تقارب اقتصادي بين الدول عن طريق استقطاب فروع للشركات متعددة الجنسيات مما يسهم في تنوع الثقافات، ودعم الاستثمارات الدولية المشتركة، ومن الأمثلة على هذا المجال من الحوار الثقافي افتتاح فروع للمطاعم العالمية بين دول العالم.

المجال الثقافي الاجتماعي: وهو المجال الأكثر شمولية بين المجالات السابقة؛ إذ يهدف إلى الجمع بين كل المجالات الثقافية، من خلال الاعتماد على دعم الحوارات الثقافية والدينية، والسياسية، والاقتصادية.

مفهوم الحوار البناء:

الحوار هو شكلُ من أشكال التواصل اللفظي أو الكلامي بين شخصين أو أكثر، ووسيلة بين الأفراد والشعوب، وطريقة للدعوة إلى الأديان، ويعدُّ سمة حضارية لمن يلتزم بقواعده، وهو يتناول موضوعًا معيَنًا، أو وجهات نظر، أو همومًا شخصيّة كالحال بين الأصدقاء، وقد يتخذ الطابع الرسمي حين يكون ضمن أماكن تعليمية كالمحاضرات مثلًا أو الحوار بين السياسيين، بينما يعتمدُ على الإيماءات، أو على طرف واحد متكلم، كذلك الحوار الذي يدورُ بين الأم وطفلها قبل وصوله لمرحلة النطق، بيد أن هناك أنواعًا من الحوار التي تبنى على أساس الأسلوب والنتيجة.

الحوار الذى يكمن وراء إجرائه هدف حقيقي نافع، ويتم التوصل من خلاله إلى نتائج إيجابية؛ مدرب التنمية البشرية كان يجري حوارًا مع المتدربين حول تقبلهم للآخر، ويجري النقاش بتقديم وجهات نظر مختلفة، وبطريقة هادئة

تخلو من التجريح أو الخروج عن المعقول، وفيه تحترم كل الأطراف بعضها، ويقدم الجميع ما لديه من حجج وبراهين، دون تكذيب الطرف الآخر، وتوجيه الاتهامات له، وتكون المحصلة الوصول إلى النتيجة المنشودة من ورائه.

شروط الحوار البناء:

البحث عما يجمع المتحاورين على أرضية مشتركة كاللغة، وعادة ما تتسم بالهدوء، إلى جانب توّفر الحقائق الموضوعية لدى كل طرف.

استعداد الأطراف للحوار وليس للمُطاحنة؛ فالهدف الرئيس منه هو التفاعل والوصول إلى نتائج إيجابية تخدم التفكير الصحيح، ولا تعزز وجهات نظر شخصية، أو تدعم تفوق أشخاص دون غيرهم.

الاستماع للطرف الآخر دون مقاطعته، أو إبداء عدم الرغبة لسماعه من خلال التأفف والتبرم، والقيام بحركات جسدية لا تنم عن أدب الاستماع.

عدم توجيه الاتهامات للأطراف الأخرى، أو بدء الحوار بكلمات مثل: "من المفروض عليك، أو لزامًا عليك"؛ وذلك لأنها تنهي الحوار وتقطعه من منبته، فكيف لشخص يقبل التحاور مع من يوجه له كلامًا مغلفًا بنبرة التحكم والاستعلاء.

التمتع بالمرونة التي تفرض علي المتحاورين تقبل حقائق جديدة كانوا يظنونها غير قابلة للنقاش أو المس.

التخلص من الأحقاد تجاه أي شخص حتي يحقق ذلك الأريحية فى الحوار، وينهي توقع نتيجة سلبية مسبقًا بسبب كراهيتنا تجاه الشخص الذى نتحاور معه، فيتخذ القصد من التعبير عن كره، وفرصة للانتقام من مواقف شخصية سابقة.

التزام الهدوء وعدم الانفعال، فالسلوك العصبي سيضيع الحقائق الإيجابية التي يمتلكها المتحاورون.

أهمية الإعلام في دعم قضية الحوار:

إن لوسائل الإعلام قدرة على إحداث تغير فى الصورة القائمة اليوم وبامكانية استثمار مختلف الرسائل الاتصالية؛ لترميم ذاكرة الدول والشعوب والمؤسسات وإحداث تغييرات مهمة في الصور، ومحاولة رصد صورة العرب والمسلمين في الصورة النمطية والذهنية، واستنادًا إلى الدراسات والبحوث السابقة، ونتائج الدراسات الميدانية والتي تؤكد على أهمية الصورة الإعلامية وخصائصها ومستقبليات تغيير هذه الصورة.

وتواجه الصورة الإسلامية أشد التحديات فيما يتعلق بالصور النمطية السلبية؛ لذا تتحدد أهداف البحث فيما يلي:

١- الكشف عن جذور الصور النمطية السلبية التي تواجهها المنطقة الإسلامية والعربية في وسائل الإعلام الغربية.

٢- التعرف على مفاهيم الصورة الذهنية من خلال آلياتها الإعلامية وأساليب استخدامها عبر وسائل الاتصال المختلفة.

٣- تحفيز المعرفة تجاه التعاطي مع العمل على إنتاج صورة أخرى مغايرة لما تطرحه وسائل الإعلام الغربية.

ولم يعد جديدًا أن نقول: إن وسائل الإعلام تساعد في بناء الصورة الذهنية لدى المواطنين، وفي أحيان كثيرة ترسم تلك الوسائل، بيئات زائفة في أذهان

المواطنين، كما تعمل على تشكيل الرأي العام، وتتزايد استجابات المواطنين للصورة الذهنية التي تقدمها تلك الوسائل، وهذا يعني أن تشكيل معلومات واتجاهات الجمهور نحو القضايا الخارجية تبرز قدرة وسائل الإعلام على وضع الأطر المرجعية التي يستند إليها الجمهور في تقييمه، وأن هناك تأثيرات مباشرة لوسائل الإعلام تجاه الجمهور، وتعد اليوم وسائل الإعلام بمختلف أنواعها من أهم المصادر التي تسهم في تكوين الصورة الذهنية لدى الناس نظرًا لانتشارها الواسع، وقدرتها البالغة علي جذب الجمهور نحوها، وبذلك يحصل الفرد على المعلومات والآراء والمواقف منها لتساعده في تكوين تصور للعالم المحيط به، لا سيما أن لوسائل الإعلام وما تمتلكه من تأثير في بناء تصورات الجمهور عن العالم، ولأن ما تبثه وسائل الإعلام يعد كنافذة يطل منها على العالم وما يحدث فيه.

إن المجتمع المعاصر اليوم يتعرض لعمليات ومعلومات مختلفة في كافة نواحي الحياة، بسبب تعرض الفرد لوسائل الإعلام بصورة تختلف عن السابق لا سيما بعد التطور التكنولوجي وثورة الاتصالات والمعلومات، وبات من الواضح أن الإعلام واستخداماته واستنفار جميع الأنشطة الاتصالية التي استخدمت في الحرب النفسية والدعائية، والذي كانت تقود وسائله دولٌ ومؤسسات قد أصبح بفضل التكنولوجيا المتقدمة متاحًا للأفراد والجماعات، وأصبحت وسائل الإعلام تربط الأفراد بعلاقات وآراء وأفكار بعيدًا عن تسلط وسائل الإعلام إلى أدوات تحرر الأفكار والتواصل والإعلام اليوم بات يواجه لغة الصمت، أو سياسات الإقصاء أو التحريض أو ندرة المعلومات.

لذا لا يمكننا أن نغفل أهمية البعد الثقافي والحضاري الذي ينبغي أن تسلكه البرامج الوطنية للمؤسسات الصحفية والإعلامية، لا سيما وأن الإعلام بات اليوم قضية معقدة، فضلا عن تنوعه والاتهامات الموجهة إليه بقلب الحقائق من وجهة نظر الجمهور مهما كانت مستويات مصداقيته.

دور التواصل الاجتماعي وحوار الأديان والثقافات:

هناك حاجة ماسَّة لإدراك الخط الفاصل بين حرية التعبير وعدم الانخراط بخطاب الكراهية عبر الإنترنت بأي شكل من الأشكال والتي يصعب احتواؤها في حال حدوثها نظرًا لطبيعتها ولسهولة انتشارها بسرعة، فكل منصة تواصل اجتماعي لديها قوانينها الخاصة لما يعتبر محتوى مناسب للنشر من عدمه (أو ما يصنف بخطاب الكراهية عبر الإنترنت)، ومع ذلك لا نزال نرى تعليقات عنصرية أحيانًا وعدوانية أحيانًا أخرى منتشرة بسرعة وبكثافة؛ لذا بات من الضروري في المجتمعات الديمقراطية منع أي من أشكال التعبير التي تعمل على تحريض وتشجيع أو تبرير الكراهية على أساس التعصب.

❊ ❊ ❊

الإعلام وثقافة الحوار (*)

تعددت المفاهيم والتعريفات التى كتبت عن "الحوار الاجتماعي" فقد اعتبره البعض مدخلاً تنمويًّا يسهم فى تفهم الناس لمجتمعاتهم بأسلوب إجرائي يعتمد على التعلم الذاتي والتشاور من خلال دعوة أطراف متنوعة من المجتمع للحوار المباشر حول موضوعات ذات أولوية بالنسبة لهم.

كما يعرف الحوار الاجتماعي بأنه :"جميع أشكال التفاوض والتشاور بين الأطراف المختلفة الذين تتوفر لديهم الإرادة السياسية الصريحة والالتزام الكامل بحسن النوايا"، ويعرف كذلك بأنه :"أية مفاوضة أو مشاورة أو أي نوع من التفاعل داخل المجتمع، تضطلع به جميع الفئات أو بعض منها من أجل صياغة توصيات، أو اتخاذ قرارات تحقق مصلحة المجتمع المعني".

وأيًّا كان التعريف الذي نتفق عليه، فإن "الحوار الاجتماعي" يعنى بتشكيل آليات مستمرة للتواصل تضمن مشاركة فاعلة من مختلف الأطراف فى عملية صنع القرار بصورة دائمة، ولا شك أن إرساء "الحوار الاجتماعي" يعتبر الوسيلة الأمثل من أجل تحسين المناخ الاجتماعي؛ مما ينعكس بالإيجاب على تعزيز تنافسية المؤسسات ودعم الاقتصاد الوطني.

(*) أ.د/ سامي محمد ربيع الشريف، عميد كلية الإعلام بالجامعة الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات، رئيس لجنة الإعلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ولما كانت "الحقيقة الثابتة" ليست ملكًا لأحد أيًا كانت مكانته أو قدراته، ولما كان ما يجمع الناس ويقربهم أكثر بكثير مما يفرقهم ويباعد بينهم، فإن "الحوار" هو السبيل الأهم وربما الوحيد لتحقيق "الانسجام المجتمعي" الذي يؤدي إلى استقرار المجتمعات البشرية واستمرار تقدمها، كما أن "الحوار الاجتماعي" يعد أحد أهم مظاهر الحياة الديمقراطية التي تميز المجتمعات المتقدمة عن غيرها من المجتمعات النامية أو المتخلفة التي تلجأ إلى حل خلافاتها بالصراع والعنف بديلا عن الحوار والتوافق.

ويستهدف "الحوار الاجتماعي" تحقيق العديد من الغايات، من أهمها:

-إتاحة الفرص أمام القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة للاشتراك في حوار وتشاور حول القضايا المطروحة ذات الأولوية.

- تشجيع التطبيق العملي لممارسات الحكم الديمقراطي، ومهارات التفاوض الفعَّال، والتعاون البنَّاء في مجال تحديد احتياجات واهتمامات وأولويات المجتمع.

- توسيع نطاق الفرص المتساوية والمتاحة أمام القاعدة الشعبية للتعبير عن نفسها.

- إيجاد قنوات الاتصال والنفاذ إلى قواعد عامة للتعامل بين أطراف المجتمع المختلفة، وتوجيه الاستثمارات وتوزيع الفرص لأجل مصلحة المجتمع.

- تفعيل أدوار القوى المختلفة في المجتمع مما يؤدي الى التعرف على ما فيه من نقاط القوة ونقاط الضعف، وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلات المجتمع.

- بلورة أمثلة حيَّة للتعاون والتشاور البنَّاء للمنظمات والمؤسسات الأهلية من خلال دعمها لجهود عمليات التنمية والإصلاح.

- السعي لتوفير دعم ومساندة فاعلة من جانب وسائل الإعلام.

وتتفق تلك الغايات والأهداف – إلى حد بعيد- مع الأسس التي يجب توافرها لتشكيل رأي عام ناضج وصحيح حول القضايا المجتمعية المطروحة.

أسس الحوار الاجتماعي وشروطه:

من أجل تحقيق حوار اجتماعي فعَّال، يجب التعرف على الأسس والشروط الواجب توافرها، وأهمها:

- وجود الأطراف الرئيسة في الحوار: فلا حوار دون أطراف لديها رؤى ووجهات نظر ومواقف محددة تجاه القضايا المطروحة للحوار.

- استقلال الأطراف الرئيسة في الحوار: يتطلب نجاح الحوار أن يكون أطرافه مستقلين استقلالا كاملا، حتى يمكنهم اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى جهات أو قوى مرجعية ربما تعطِّل سير الحوار.

- قوة الشركاء الاجتماعيين: يجب أن تتمتع الأطراف الرئيسة في الحوار بالقوة والثبات لتكون مؤهلة لإكمال حوار جاد وفاعل.

- وجود مصالح مشتركة: لا يمكن نجاح أي حوار اجتماعي ما لم يستشعر أطرافه بوجود مصلحة مشتركة مباشرة سوف يحققونها من هذا الحوار؛ فوجود المصالح المشتركة يدفع جميع الأطراف لإنجاحة حفاظًا على تلك المصالح.

- توفر المناخ الديمقراطي: يتطلب الحوار الاجتماعي وجود مناخ ديمقراطي يكفل توفير حقوق متساوية، ويحترم الحريات العامة والخاصة.

- وجود مظلة تشريعية واضحة: حيث تعتبر التشريعات الضامنة لتنظيم الحوار الاجتماعي وتحديد ضوابطه شرطًا أساسيًّا من شروط نجاحه، سواء كانت هذه التشريعات متعلقة بعمل كل طرف اجتماعي على حدة، أو متعلقة بتنظيم عملية الحوار وتحديد أولوياته، وآلياته، وكيفية إدارته.

- اقتناع الأطراف الرئيسة بأهمية الحوار: يجب أن تتوفر "قناعة كاملة" من جانب مختلف أطراف الحوار بأهميته وقيمته، إلى جانب استعدادهم لتحمل تبعاته وتنفيذ ما سوف يسفر عنه من استحقاقات.

- توفير التدريب اللازم على مهارات الحوار: يتطلب إجراء الحوار مهارات خاصة بعضها شخصية تتعلق بشخصية المحاور وقدراته الذاتية، والبعض الآخر مهارات يمكن اكتسابها بالتعلم والتدريب المستمر.

- حسن الظن بالآخر وقبوله: يتوقف نجاح الحوار الاجتماعي على مدى حسن نوايا أطرافه، ومدى قبولهم للاختلاف مع الآخر، وعادة ما يسفر الحوار عن مكسب وخسارة لدى كل طرف، وهو ما يجب أن تكون جميع الأطراف على استعداد لقبوله.

- الاعتراف والاحترام بين أطراف الحوار: يجب أن يشعر كل طرف فى الحوار بالاحترام والتقدير للأطراف الأخرى حتى نضع أسس نجاح الحوار.

الإعلام وثقافة الحوار وتعزيز الانتماء:

ليس الغرض من الحوار الاجتماعي أن يكون تظاهرة أو مناسبة عارضة، بل إنه يجب أن يكون أسلوب حياة، ومنهج معاملة، ولا يتوفر ذلك إلا بإتاحة الأجواء المناسبة والمؤهله لذلك، فالحوار الاجتماعي آلية لا توجد من فراغ، بل إنه مرهون بتوفر عدد من العوامل الموضوعية والتي يأتي في مقدمتها: الإرادة القوية والمستمرة لكل أطراف الحوار، إلى جوانب توفر البيئة الديمقراطية التي تقبل بالاختلاف في الرؤى والمناهج، وتحترم التعددية، وتعتبرها السبيل الوحيد والمقبول لعمليات الإصلاح والتطوير، كما يجب توفر بيئة قانونية وتشريعية تؤطر وتنظم آليات الحوار.

وترتبط كل هذه العوامل على اختلافها بالبعد الإعلامي، فوسائل الإعلام في ظل ما يشهده العالم من تطورات تكنولوجية غير مسبوقة أصبحت أحد أهم وسائل إمداد المواطنين بالمعلومات، كما أنها واحدة من أهم وسائل إحداث التغيير المجتمعي.

ولقد حققت ثورة الاتصال وتكنولوجيا المعلومات طفرة واسعة لوسائل الإعلام؛ لتكون واحدة من أكبر وأرقى أدوات الحوار الاجتماعي، فقد امتلكت هذه الوسائل في السنوات الأخيرة قدرات واسعة للوصول إلى مختلف قطاعات المجتمع وفئاته، ووفرت سبلا للتواصل الاجتماعي لم تكن مسبوقة، وليس أدل على ذلك من شبكة الإنترنت التي وفرت مجالا واسعًا للتواصل الاجتماعي

اللامحدود، ويمكننا القول: إن شبكة الإنترنت هي عالم بلا حدود ولا قيود يتيح فرصًا لا مثيل لها للحوار الاجتماعي في أفق غير محدود.

ولما كان نجاح "الحوار الاجتماعي" في أي مجتمع مرهونًا بتهيئة المناخ المناسب للحوار، فإن متغيري التعليم والإعلام يعدان من المكونات الأساسية لتشكيل فكر وثقافة أفراد المجتمع، ومن ثم يتزايد دور الإعلام في تأصيل قيم الحوار والتواصل المجتمعي، وإحداث تغيير حقيقي في مفاهيم المجتمع بقبول الآخر، واحترام التعددية، إلى جانب ما تقدمه الوسائل من المعلومات التي تعد وقودًا ضروريًّا لإنجاح أي حوار، وتعد الإتاحة غير المقيدة للمعلومات أحد أهم مقومات بناء المجتمع الديمقراطي والحوكمة الرشيدة.

* * *

عوامل نجاح الحوار (*)

الحمد لله الذي "خلق الإنسان علّمه البيان"، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم، وبعد:

فيقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وذلك في تبليغ الرسالة بالحوار المقنع والسلوك القويم، والحرص على هداية الناس، والاستماع إليهم، ومحاورتهم بالتي هي أحسن، وحرصه ﷺ على نشر السلام والدفع بالتي هي أحسن ، وعملًا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)، فكان الحوار من أهم أدوات نشر رسالة الإسلام والتواصل الفكري والثقافي والاجتماعي في صدر الإسلام، فحاور أهل الجاهلية بأسلوب رقيق، ورد عنفهم بأدب جمّ إعمالا بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، من ثم كانت معاملة الرسول ﷺ دافعة لكثير من الناس للدخول في الإسلام .

هذا يدلل على أهمية الحوار في مجتمعنا المعاصر؛ وذلك لما له من أهمية وأثر بالغ في تنمية قدرة الأفراد على التفكير الإيجابي المشترك، والخروج من دائرة

(*) أ.د/ مصطفى محمد عرجاوي، أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة والقانون -جامعة الأزهر بالقاهرة.

التشدد والانغلاق؛ لأن الحوار يعني ضم عقل إلى عقل، وفكر إلى فكر، ونتائج تلاقي الأفكار الجيدة، يثمر أعمالا متميزة، ويفتح المزيد من قنوات التواصل الإنساني، الذي يؤدي إلى المزيد من المعرفة والوعي.

أنواع الحوار ومجالاته وأهدافه ومقاصده

أولاً: أنواع الحوار البنَّاء:

تتعدد أنواع الحوار، ويتم تصنيفها تبعًا لنوع القضية التي يتناقش فيها أطراف الحوار البنَّاء ومن أهمها في الحياة الإنسانية بوجه عام ما يلي:

الحوار الديني: وهو حوار بين أشخاص يختلفون في عقائدهم السماوية أو الوضعية، فيتناقشون بهدف التعرف على تعاليم هذه الشرائع والأديان الحقيقية والمختلفة بهدف التعرف والوصول إلى الفهم الحقيقي لروح وطبيعة وأحكام هذه الأديان، بلا تعصب أو ضغط أو إرهاب.

الحوار الاجتماعي: هو حوار يتم بين مؤسسات المجتمع الحكومي، أو مؤسسات المجتمع الأهلي، بهدف التعرف على أهم القضايا الاجتماعية، وللتوصل إلى أفضل السبل لحل جميع ما يعرض للمجتمع من قضايا عامة أو خاصة تتطلب أو تستدعي نقاشًا مجتمعيًّا موسعًا، للبحث عن الحلول المناسبة لهذه القضايا؛ لأن التلاقح الفكري المجتمعي يثمر من النتائج التي تعود على المجتمع بأسره بأفضل ما يمكن تحقيقه للنهوض والتقدم في إطار الحياة الاجتماعية المترابطة من خلال التواصل في الفكر، والتلاقي في الأهداف.

الحوار الاقتصادي: ويتم هذا الحوار من خلال اللقاءات والمؤتمرات الاقتصادية على المستوى الدولي والمحلي، لمناقشة قضايا الاقتصاد من أصحاب الخبرة في هذا المجال من المواطنين والوافدين، وبحث جميع الرؤى الاقتصادية لتخير أفضلها وأنسبها للتطبيقا في المجتمع.

الحوار التربوي: هو حوار تقوم به المؤسسات التربوية مع الأشخاص المعنيين بهذا المجال، من المفكرين، والباحثين، وذلك عن طريق عقد المؤتمرات أو اللقاءات التربوية الموسّعة، لنشر الأفكار التربوية الصحيحة في ربوع المجتمع، وإثراء الكليات المتخصصة في التعليم التربوي بكافة ما يستجد في هذا المجال؛ ليعيش الطالب في دراسته الواقع السلوكي في مجتمعه، والأصول التربوية المتطلبة لخدمة ونهوض أفراد المجتمع؛ لأن التعليم النظري لا يغني عن التعرف على الواقع العملي والتحاور في كل القضايا التربوية والسلوكيات المستجدة أو الوافدة على المجتمع، لتلافي سلبياتها، وتفعيل ونشر إيجابياتها، ولا يتم ذلك إلا من خلال نشر روح الحوار في هذا الشأن من المتخصصين من الداخل أو الخارج مع الاستفادة من آرائهم وتطبيق ما يصلح منها في مجتمعنا المعاصر.

هذا ويمكن تسمية نوع الحوار من خلال موضوعه أو بما يتم فيه من مناقشات وتبادل للآراء أو الأفكار – كما أسلفنا – فهناك ما يعرف بالحوار الوطني الذي يتناول قضايا الوطن، والحوار السياسي الذي تنتج عنه ثمار الاتفاقيات الدولية من صلح ومعاهدات وغيرها، وهناك كذلك الحوار الأمني الذي يعالج قضايا الأمن في المجتمع، من خلال البحوث الأمنية ومواجهة كافة

ما يؤثر في الأمن والسكينة والاستقرار في المجتمع، وهناك الحوار الرياضي الذي يهتم بالأندية والأنشطة الرياضية، والحوار التلقائي وهو الذي يتم في المناسبات اليومية، وفي الاتصالات الهاتفية، وهي بطبيعتها العفوية لا تركز على مجال معين، لكنها وسيلة أيضًا من وسائل التواصل الاجتماعي لا غنى عنها.

ثانيًا: مجالات الحوار في حياة الإنسان:

إن الحوار هو أسلوب متميز بمنهجه المنطقي، وهو من أنجح الأساليب لحل المشاكل بين الأفراد، ويعدُّ الحوار من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد يرى بعض المفكرين أن مجالات الحوار هي بذاتها أنواعه؛ لأن كل مجال يدخل في نطاق نوع من أنواع الحوار بحكم موضوعه – كما أسلفنا – فالحوار الديني نلمسه فيما ورد في القرآن الكريم من قصص، ومحاورات حتى إن الحوار وصل إلى درجة في قمة الروعة والقوة عندما سمح الحق- جل وعلا - لإبليس اللعين بالحوار معه جل جلاله، بالرغم من امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، بعد أمر الله تعالى للملائكة الأخيار بالسجود فاستجابوا جميعًا للأمر الإلهي إلا إبليس وقد جاء ذلك في سورة البقرة، والأعراف، وص، ومع كفره وإجرامه بالامتناع عن السجود سأله الملك العلام جل جلاله عن سبب عدم سجوده وتنفيذه للأمر الإلهي المتمثل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ (ص: ٧٥)، وهذا يدلل على مدى حرص الإسلام على سيادة روح

التحاور مع المخالفين، اقتداء بما ورد في الذكر الحكيم، وهو دستور المسلمين، فرد إبليس وسجل الحق سبحانه وتعالى ذلك في كتابه المنزل على خير خلق الله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾ (ص: ٧٦)، وسجل الذكر الحكيم العقاب الموقع من الملك العلام جل جلاله على هذا اللعين لامتناعه عن تنفيذ الأمر ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ (ص: ٧٧ – ٧٨)، وبالرغم من طرد الله تعالى لإبليس لم يمنعه من الكلام واستكمال الحوار، لنتعلم عدم المصادرة على الرأي الآخر مهما بلغت درجة تجاوزه؛ بل ننتظر حتى تستمع لكل ما يجول بخاطره؛ لأن الذكر الحكيم يعلمنا ذلك بهذه الآيات الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١﴾ (ص: ٧٩ – ٨١)، وعندما اطمأن إبليس اللعين لوعد الله الحق، أصر على ضلاله بل تجاوز الحدود بالتهديد بإغواء العباد أجمعين: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ (ص: ٨٢ – ٨٣)، وكان الرد الحاسم من العلي القدير سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ (ص: ٨٤ – ٨٥).

هذا الحوار القرآني، يدفع كل عاقل للتمسك بالحوار في كل شئون حياته، العقدية والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها ومهما كان وضع الطرف الآخر، فلا يحول دون التحاور معه، اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فمجالات

الحوار البناء تتعدد بحكم طبيعة ومجرى وموضوع الحوار، فكل حوار يصبغ بلون مجاله، فلا نستنكف ولا نتراجع أو نترفع عن التحاور مع كل من يرغب في ذلك، دون أن نحول بينه وبين إبداء رأيه الحر، مهما بدا تطرفه، للتوصل إلى الهدف المنشود من الحوار، ولنا في كلام الله تعالى خير أسوة؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

ثالثًا: أهداف الحوار ومقاصده:

من أهم أهداف الحوار ما يلي:

١- الحوار يساعد على عرض الأفكار بصورة واضحة المضامين من قبل الطرفين أو أطرافه، فضلاً عن الحجج والأدلة على صحة الأسلوب الذي يتعاملون به.

٢- الحوار يعمل على تذليل العقبات، ودفع الشبهات، ويمكن المحاور من عرض أفكاره بصورة سلسة، وبيان أسباب اختياراته وغاياته منها، وتوضيح الشبهات أو دحضها.

٣- الحوار يمكن المحاور من دعوة من يحاوره بشكل حضاري إلى الإفصاح عن كل ما لديه، وعرضه بشكل صريح ومريح، بلا ضغط أو تنفير أو مصادرة على كلامه.

٤- الحوار من أهم عوامل التقريب لوجهات النظر بين المتحاورين، ويزيل الفجوات بينهما، ويبتعد بهما عن ميادين الصراع والتباغض والتناحر والعداء فيما بينهم.

٥- الحوار يؤدي إلى إظهار الحقائق، وكشف الأباطيل والأكاذيب والترهات والمفتريات، بصورة حضارية وموضوعية وعملية في ذات الوقت.

٦- الحوار من الأسباب الرئيسة في نشر المعارف والثقافات، كما يعزز ويؤكد المعلومات الصحيحة بين المتحاورين، وينشر بينهم روح الألفة والمحبة، وتوطيد الروابط والعلاقات الجيدة المؤدية في نهاية المطاف إلى إنشاء صداقات قائمة على المصارحة، والتفاهم والتبادل للمعلومات والخبرات.

٧- الحوار يفتح أمام المحاور العديد من الخيارات والحلول، لما يعرض له من أمور، مما يسهّل عليه الفهم لهذه الأمور، والاختيار الصحيح والسديد لما يناسبه من رأي حصيف يعالج ما يصبو إلى تحقيقه.

من مقاصد الحوار:

تتعدد المقاصد المنوطة من الحوار بحسب الهدف منه أو الغاية المرجوة ويمكن إجمال أهم مقاصد الحوار فيما يلي:

١- إقامة الحجة: المقصد والغاية من الحوار قد يكون إقامة الحجة على المحاور ودفع الشبهة عنه، أو دفع الشبهة والفاسد من القول والرأي بوجه عام، وذلك للسير بالحوار إلى طريق الاستدلال المنطقي للوصول إلى الحق.

٢- تقريب وجهات النظر: إن الحوار يؤدي إلى تضييق هوة الخلاف وتقريب وجهات النظر، وتلكم من أهم ثمراته، ويؤدي في نهاية المطاف إلى إيجاد

حل وسط يرضي الأطراف المتحاورين، في زمن كثر فيه التباغض والتناحر، ربما على أتفه الأسباب.

٣- كشف الشبهات: لا يظهر الحق ويندحر الباطل إلا بكشف ما يحيط به من شبهات، وهذا يستلزم ضرورة المواجهة بالحوار والشرح والبيان، وباستعمال الحكمة للوقوف على وجه الحق الذي يؤدي إلى تهافت الشبهات.

٤- الرد على الأباطيل: من أهم مقاصد الحوار المنطقي دحض الأباطيل، وكشفها، إعمالا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام:٥٥)، فالباطل كالسرطان إذا لم يتم اجتثاثه فينتشر ويدمر الخلايا المجتمعية المترابطة، بل يدمر العلاقات والقيم إذا لم تتم مواجهته وإبطاله بالأدلة الصحيحة والمنطق السديد.

٥- الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة: فإن من أهم مقاصد الحوار على الإطلاق الدعوة إلى الله تعالى بالحوار الهادئ المؤدي إلى فتح مغاليق القلوب وإحياء النفوس استجابة وتفعيلا وعملا بقول الله عز وجل:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فبمقتضى ذلك ينبغي على الداعية أن يكون من خيرة من يحافظون على القيم قولاً وعملاً؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولا ينبغي لأحد أن يدعو إلى خلق حميد، أو سلوك قويم، وهو على خلاف ذلك، وإلا انطبق عليه قول الحق جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢ ، ٣)، وقمة

أهداف الحوار الحرص على أداء رسالة الدعوة إلى الله تعالى بلا إفراط أو تفريط ووفق ما نص عليه الذكر الحكيم؛ لتحقيق النتيجة المرجوة من الدعوة الصادقة.

أسس وعوامل نجاح الحوار

يقصد بأسس الحوار أن تتوافر فيه المواصفات التالية:

١ - أن يتعلق بقضية معينة ويدور الحوار حولها بهدف الوصول إلى اتفاق يؤدي إلى حل هذه القضية، حلًّا يؤدي إلى الاتفاق بين أطراف الحوار.

٢- أن يتوافر الإخلاص والصدق والأمانة في الأطراف المتحاورة، فهذه القيم تثمر نتائج جيدة للحوار طالما تمت مراعاتها عند التحاور بهدف الوصول إلى الحق.

٣- حرص الأطراف على العدل في القول والعمل، فالعدل من الأمور المهمة والأساسية للحوار، ويتوقف عليه تقبل الآراء الأخرى طالما أنها لم تخرج عن سياقه، فالحوار يهدف دائمًا إلى إقامة ميزان العدل والحرص على الاستمساك به بصرف النظر عن شخص من سيتحقق له بالتحاور والإنصاف وفق قواعد العدالة الإنسانية ما يصبو إليه.

٤ - إخلاص النية في تحقيق الإصلاح المراد من التحاور؛ لأنه بغير هذه النية الحسنة لن يتم التوصل إلى شيء مفيد إعمالا لقول الله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحا يُوَفِّقِ الله بَيۡنَهُمَآ﴾ (النساء: ٣٥).

هذا يتم دائمًا في شأن المحكمين، طالما خلصت النية، وصدقت الطوية، وتم التوجه إلى ما يحقق المصلحة والحق والعدل والانتصاف للمظلوم إذا انتهى

الحوار إلى استحقاقه لذلك، بلا تعال أو غرور من أي طرف من الأطراف المتولية التحكيم في أمور الزوجية أو غيرها من شئون وقضايا الحياة.

أهم عوامل نجاح الحوار المعاصر:

عوامل نجاح أي حوار يعتمد على أطرافه ومدى وعيهم بأصول وقواعد وعوامل إنجاح الحوار، بحسب ما يتضمنه من قضايا أو شئون عامة أو خاصة، وعوامل نجاح الحوار العصري تشتمل على ما استجد في عصرنا من وسائل فنية، وعلوم وتخصصات مستجدة، ومن أهم هذه العوامل العصرية المستجدة لإنجاح الحوار ما يلي:

أولاً: من أهم عوامل نجاح الحوار في عصرنا، حرص المحاور على الإلمام بفنيات الحوار المعاصرة ومن أهمها:

أ- التركيز على استخدام الأرقام والإحصائيات الدقيقة والحديثة.

ب- استخدام الرسومات البيانية التي تحدد تسلسل موضوع الحوار وتفاعلاته.

ج – تقديم المؤشرات المهمة المستخلصة من استقرائه للموضوع عند تعرضه له بالنقاش أو الرد في محاوراته المتصلة بالحوار الدائر بحسب موضوعه، وظروفه وملابساته.

ثانيًا: يلتزم المحاور بالاستقلالية، ويبتعد تمامًا عن الانطباعات الشخصية في حديثة وحواره أو يقلل بصورة ملموسة من هذه الانطباعات حتى لا تحمل حواراته على الذاتية أو الشخصنة، لأن الحوار ينبغي أن يقوم على أساس

الاستقلال التام، والتجرد من العصبية والمشاعر الشخصية البعيدة عن مقتضيات وحقائق ومضمون ما يتم من قضايا بهدف الوصول إلى رأي رشيد.

ثالثًا: الحرص على تسخير وسائل التقنية الحديثة في بيان وشرح واقع وحقيقة ما يعرض له، حتى يتفاعل معه من يحاوره، ويهتم بما يقوم به من استعراض للحلول للقضايا أو الموضوعات محل المناقشة أو الحوار، بحيث يكشف عن أفكاره بصورة إيجابية تساعد الطرف الآخر على الاستيعاب والتوافق على ما يتم الانتهاء إليه.

رابعًا: المحاور العصري هو الشخص المفكر المرن الواعي بحقوق الآخرين، فيلزم أن تتوافر فيه الحكمة والقدرة على تقديم الأولويات، والتدليل على أهمية الأخذ بها معتمدًا كافة الوسائل العصرية والتقنيات المتوفرة صوتًا وصورة، ومعلومات ووثائق، لتحقيق النجاح المطرد للحوار، ولإمكان الاستفادة من قدرات وإمكانيات باقي المتحاورين، فضم عقل إلى عقل، وفكر إلى فكر، يؤدي إلى التوصل إلى الرأي الرشيد مصداقًا للقول المأثور والشائع بين عموم الناس "ما خاب من استشار ولا ندم من استخار".

إن هذه هي أهم عوامل نجاح الحوار بصورة عامة أو تقليدية أو معاصرة فكلها مجتمعة في صعيد واحد، مهمة للغاية كعوامل لنجاح الحوار، وهو بحق أقصر الطرق لتحقيق الاستقرار على مستوى الأسرة والمجتمع، بل العالم بأسره، فلا حياة سوية بلا حوار وتفاهم، للقضاء على التطرف الفكري والعنف السلوكي بجميع صوره.

من أهم النتائج المستخلصة ما يلي:

١- الحوار الهادئ المستنير هو الحل لكل القضايا والمسائل والمشاكل المعاصرة بجميع صورها، داخليًّا وخارجيًّا، إذا حسنت النوايا، وصدقت الإرادة.

٢- لا أحد من البشر معصوم من الخطأ إلا الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكل رأي صواب يحتمل الخطأ أو العكس كما قال الإمام الشافعي -رضي الله عنه-؛ لذلك الرأي الجمعي هو الحل.

٣- أن تفعيل لغة الحوار بين الأفراد يحقق الاستقرار على المستوى الأسري والمجتمع بأسره، في كافة القضايا الشخصية الخاصة، والمسائل القومية العامة فرأي الجماعة لا تشقى البلاد به، ولكن الرأي الفردي المتعصب يضنيها ويتعبها كما هو مسلم به ومعلوم.

٤- يمكن حل جميع قضايا ومشاكل المجتمع من خلال المشاركة الواسعة في الحوار والبحث عن أنجح الحلول ؛ لمواجهة جميع مثيري الشغب والشبهات والشائعات، فالحوار المستنير كفيل بحل المعضلات إذا خلصت وصفت النوايا وصحت العزائم .

* * *

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــــــوع	الصفحة
١	مقدمة	٥
٢	وثيقة القاهرة للحوار	٧
٣	أبجديات الحوار أ.د/ محمد مختار جمعة	١٣
٤	مفهوم الحوار وغاياته أ.د/ عوض إسماعيل عبد الله	١٧
٥	مفهوم الحوار وآدابه وغاياته المستشار الدكتور/ على عمارة	٣١
٦	مفهوم الحوار وغاياته في واقعنا المعاصر أ.د/ جمال رجب سيدبى	٤٥
٧	ضـوابـط الحـوار وغـايـاتـه أ.د/ السيد محمد الديب	٥٧
٨	الحوار في الإسلام .. مفهومه وغاياته وآثاره أ.د/ صابر عبد الدايم	٦٢
٩	غايات الحوار أ.د/ جمال فاروق الدقاق	٧٥
١٠	الحوارات القرآنية قراءة تأملية أ.د/ محمد عبد المطلب	٨٩

١١	بين الحوار والنقد الموضوعي أ.د/ عبد الله مبروك النجار	١٠١
١٢	عقلانية الحوار وعلاقتها بقضايا التجديد أ.د/ بكر زكي عوض	١١٣
١٣	بين عقلانية الحوار وقضايا التجديد أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد	١٢٧
١٤	الحوار الهادف والتعصب البغيض أ.د.م/ هاني تمام	١٤١
١٥	الأصول القرآنية للحوار د/ عمر ابراهيم حمروش	١٥١
١٦	الحوار وأنماطه أ.د/ سيف رجب قزامل	١٦٦
١٧	ضوابط الحوار ومعوقاته د/ عبد الحميد متولي	١٧١
١٨	الحوار في القرآن الكريم (أنماطه وعلاقته بالمقاصد) د. محمد فوزي عبد الحى	١٧٨
١٩	الحوار وأهمية المشترك الإنساني د/ محمد أحمد الخلايلة	١٨٩
٢٠	الأديان وتشاركها في بناء حضارة الإنسان د/ محمد بشاري	١٩٩

٢١	الحوار والمشترك الإنساني أ.د/ محمد الشحات الجندي	٢٠٩
٢٢	التعددية والقواسم المشتركة د/ أحمد علي سليمان	٢٢٢
٢٣	الحوار بين الحضارات واحترام الخصوصية أ.د/ أسامة العبد	٢٣٠
٢٤	الحـــــوار وإنصـــاف الخصـــم أ.د/ أحمد ربيع يوسف	٢٤٢
٢٥	احترام الخصوصية الدينية أ.د/ محمد عبد الدايم الجندي	٢٥١
٢٦	الحوار واحترام خصوصية الآخر أ.د/ محمد عبد الستار الجبالي	٢٥٩
٢٧	الحوار بين الثقافات د/ فوزية العشماوي	٢٧٠
٢٨	الحوار بين الواقع والمأمول أ/ هاني لبيب	٢٧٥
٢٩	ثقافة الحوار في مواجهة العنف والتطرف والجماعات الإرهابية أ.د/ نبيل السمالوطى	٢٨٠
٣٠	حوار الأديان وأثره في مكافحة التطرف والإرهاب وصنع السلام الإنساني المستشار الدكتور/ محمد عبد الوهاب خفاجى	٢٩٧

٣١	أثر الحوار البنَّاء في مواجهة الإرهاب أ.د/ محسن محمد أحمد	٣٠٤
٣٢	أثر الحوار البنَّاء في مكافحة الإرهاب وصنع السلام الإنساني د/ إبراهيم نجم	٣١٤
٣٣	دور الإعلام في ترسيخ الحوار د/ عبد الله حسين الشيعاني	٣٢٥
٣٤	الإعلام وقضية الحوار أ.د/ سامى السيد عبد العزيز	٣٣٩
٣٥	الإعلام وثقافة الحوار أ.د/ سامى محمد ربيع الشريف	٣٤٧
٣٦	عوامل نجاح الحوار أ.د/ مصطفى محمد عرجاوي	٣٥٣

❊ ❊ ❊